حزب مايورکا

اسم الكتاب: حرب مايوركا
التأليف: نورا نورالدين
نوع العمل: رواية
إخراج فني: عمرو سالم سواح
غلاف: عمرو علاء
رقم الإيداع: 2020/ 0000
الترقيم الدولي: 978-977-000-000-0
الناشر: دار الراوي للنشر والتوزيع
٣٤ ش المدارس –الصيادين– الزقازيق – مصر

الراوي للنشر والتوزيع
Facebook
Email elrawy502@gmail.com
Tel 002 01124168880
whats 002 01010928048
WhatsApp

المدير العام /عبد الغني عبد الله
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©
لدار الراوي للنشر والوزيع

لا يحق لأي جهة طبع أو نسخ أو بيع هذه المادة بأي شكل من الأشكال
ومن يفعل ذلك يعرض نفسه للمساءلة القانونية

حرب مايوركا

رواية

للكاتبة

نورا نورالدين

لقد كان فى إمكانى أن أربح هذه الحرب
ولكن
"كانت المعركة كلها فى عينيكِ يا مايوركا "

إلى عام ٢٠١٩.. لقد كنت عاما رائعا حقا

تغيرت الحياة كثيرا معه بعدك.. ليتك ما

انتهيت

أحيانا تتزاحم الكلمات في رأسي حتى لا
أستطيع أن أخرج منها شيئا
وأحيانا أعتصر الحروف من ذهني حرفا بحرف
وفي كلا الحالتين
الكتابة صعبة ومرهقة

نورا

لا تبدو الأرض كما لو كانت معدة لمعركة.. تطل الزروع الخضراء على الجانبين حول المتقاتلين فتلفهم فى حنان يليق بخصوبة المكان وتعيق الحشائش الخضراء حركة الجنود عليها...

مظاهر الحياة تنبعث من كل اتجاه.. لا مكان هنا لقتال أو لموت

عن اليمين أشجار الأكاسيا التى تميز بلدة كاستيليا بحجمها الصغير كما لو كانت أقزاما خضراء تقف لمتابعة ما يجرى دون أى دور حقيقى

تشرق زهراتها الصفراء الصغيرة مطلقة عطرا ناعما لا يتناسب مع الأجواء ويلعب دورا غير مفهوما فى الصراع بتلطيف الأجواء بين الطرفين وتقليل حماستهم فيختفى الجميع تاركين الفرصة للبذور التى دهستها أقدام الجنود عميقا داخل الأرض الخصبة لتنمو من جديد

يمر الصيف ومن بعده شتاء، وينتهى النهار ومن وراءه الليل دون أن يضيف اختلاف الفصول والطقس الكثير.. فقط أصوات السيوف والرماح ولمعة الدروع والسترات المذهبة و رائحة الدماء المختلطة بالعفن الذى يصيب الجثث المتراصة بلا اهتمام بدفنها حتى يجئ الليل فيبدأ كل فريق فى سحب أشلاء ضحاياه إلى حيث يمكن البكاء عليها بلا خوف من خسارة المزيد

ثم من جديد تشرق الشمس فى الصباح التالى تحاول منح الجميع فرصة جديدة للحياة ولكن بدلا من ذلك ينطلق الفريقين إلى أرض المعركة ليبدأ مرة أخرى اقتتال هزيل ويعيد المشهد تكرار نفسه

جنود متفرقون منهكون لا يميزهم عن أشجار الأكاسيا القزمة من حولهم سوى الشارات الحمراء التى تعلو زيهم المكفهر، يرسلون بضربات واهية فى الهواء ثم يعود كل منهم ليختفى خلف شجرة محاولا الحفاظ على حياته..

***

الهزيمة.. الهروب

"العودة برؤوسنا سليمة يا إلهنا

تنطلق الألسنة تخاطب قوى عظمى بيأس لتنقذهم من هذا الإنهاك الذى لا يتوقف فى معركة خاسرة.. وعلى جانب الطريق تبادل جنديان يائسان الحوار:

_ هيا نلحق بهم

_ نلحق بمن يا معتوه؟!.. هذه أرضنا ... لا مكان آخر لنا لنذهب إليه

_ أنا أعرف الطريق الذى يفرّون منه .. تعال يا صاح ... لا شئ هنا سوى الموت .. هذه الأرض لم تعد صالحة سوى لإنبات الحشائش الخضراء التى تتغذى عليها الطيور المهاجرة

_ فلنمت إذن فوقها لتحوّلنا أرضها لسماد يطرح حشائش خضراء جديدة، وتظل هذه الأرض حية ولو من أجل الطيور

_ اووه أصبحت أشك أنى قد أغرى الطيور نفسها بأكلى، لم يعد تحت جلدى ما يصلح للالتهام

_ هاهاها فلما الخوف من الموت إذن يا صديقى وكأن الليالى الملاح تنتظرنا بالداخل

لقد أصبحنا بين شقى الرحا يا صاح، فقط هنا موت بشرف وهناك موت بهوان

التفت الجنديان لصوت تدافع الجنود جريا يقطع حوارهما فأسرعا الخطى للحاق بباقى الجيش ليجدا أن الجميع يتقهقر للخلف

وصيحة قوية تتردد

انسحاااااااب

انسحاااااااب

عودوا للخلف جميعا

زادت همهات الجنود حتى أصبحت أعلى من صوت ضرباتهم، نظر الجميع للخلف للتأكد من وجود جبل جينوم الذى يطل من خلفهم

صحيح أنه جبل قزم تماما مثل أشجار الأكاسيا

لا هو بالطول القادر على حمايتهم، ولا بالتواضع الذى يسمح لهم بتسلق ظهره للقفز إلى الوراء، إلى داخل ربوع كاستيليا التى لا تزال تحافظ بقدرة مذهلة على هدوئها وسلامها الداخلى بعيدا عن ما يجرى هنا فى ساحة المعركة

***

كاستيليا

التقى الجنديان مرة أخرى بعد إتمام الانسحاب

تعلو وجوههم نظرات رضا وارتياح تشى بنسيان أمر الموت الوشيك الذى كاد يفتك بأحدهما أو كليهما

ما أن لفحتهم نسمات هواء كاستيليا المعتدلة واخترقت أنوفهم رائحة الأزهار الصادرة من بساتين الفاكهة حتى راق مزاجهما ليتلائم مع حرارة الجو المعتدلة

دلف الجنديان إلى واحد من البساتين وقطفا بعضا من ثمار الكرز، ثم عادا لتبادل الحوار

_ جيد أن أشجارك ما زالت تثمر أيتها البلدة

بعد كل هذه الجثث المتحللة كان حريّ بك أن تطرحين رؤوس جنود جاهزة ليلعب بها بيدرو لعبته المفضلة

اكفهر وجه صديقه لذكر الموت و بيدرو

_ إذا سمعك الإله ذو الوجوه السبعة لربما نفذ خطتك الشريرة هذه ولم نعد نجد حتى ثمار الفاكهة لنقتات عليها

ضحك الجندى؛ حسنا لا ينقصنا فوق كل ما نعانيه سوى غضب الرب أيضا

لحق الجنديان بباقى الجيش فى المعسكر المتآخم لجبل جينوم، خلع كل منهم ثياب المعركة تاركا رمحه بجواره، واستسلم للنوم بعد أن هبت الرياح الخفيفة ذاتها المحملة بروائح أزهار شجرة الكرز مرة أخرى لتكنس آخر ما تبقى فى الجو من آثار المعركة وتمسح عن وجوه الجنود المتعبين بقايا العرق اللزج الملتصق بجلودهم ليكسبها لمعة تضيف لملامح أهل كاستيليا الجميلة رونقا إضافى إلى جانب العيون الزيتونية والشعر الكستنائى المشهور عنهم

تبدو كاستيليا وهى تتابع هذه الحرب كما لو كانت لا تخصها

وكما لو لم يكن كل هذا القتال الدائر من أجلها

من أجل الأرض الحمراء

هذه البلدة التى استعصت على جنود مملكة الشمال والتى تمتد من حدود الجبل وحتى مسافة

سبعة آلاف كيلو متر مربع للداخل

يمضى جيش الشمال كل مرة بإتجاهها فى محاولة لاقتحامها واستكمال السيطرة على تلك الكيلومترات الأخيرة التى تفصلهم عن البحر، يملأ جنود مملكة الشمال الساحة الخضراء المعروفة باسم ساحة "قرص الشمس" والتى تقع تماما بمحاذاة جبل جينوم من الجهة المقابلة لمعسكر مملكة الشمال لتفصل بينه وبين الفتحة الصغيرة التى جاد بها جينوم حيث يمكن من خلالها اختراق حصاره المطبق حول كاستيليا لحمايتها

صغيرة ساحة "قرص الشمس" سرعان ما يحتلها جنود بيدرو بعددهم الكبير مقارنة بجيش كاستيليا المتواضع يحملون أسلحتهم المصقولة تضيف إليها الشمس الساطعة دوما فى هذه المنطقة لمعان يرهب من يراها من بعيد بجانب خبرة جيش الشمال فى أمور الحرب التى تفوق هؤلاء القرويون بما لا يدع وجها للمقارنة بين الفريقين

***

مملكة الشمال

ماهرون فى كل شئ حقا جنود الشمال بحكم نشأتهم فى هذه المملكة العريقة التى يمتد تاريخها لآلاف السنين

هناك فى عالم آخر موازى لكاستيليا البسيطة معابد ضخمة لآلهة الشمال ومنازل فسيحة لشعبها وقصور بلا عدد للحكام وأسرهم، طرقات ممتدة، وشمس مشرقة لا تغيب

" لا تعرف مملكة الشمال طعم الغروب، ولا طعم الهزيمة بالطبع"

بعض الشائعات التى يسمعها الكاستيليين عن أهل الشمال تقول أن لكل منهم قصرا كبيرا يعيش فيه وحده، ويملك كل منهم تاجا أو سوارا ذهبيا أو ماشابه

المهم أنهم يرتدون مشغولات من الذهب مثلهم مثل الملوك، ويرتدى كل منهم عدة قطع من الملابس مصنوعة من الفرو والأقمشة الصوفية لتحميهم من البرد؛ يعرف الكاستيليون هذا فهم من يرسلون الصوف هذا لمملكة الشمال، هو صوف أغنام كاستيليا الدافئ وفرائها، يحمدون الإله على طقس كاستيليا المعتدل، وعلى أشجار الزيتون والبرتقال والكرز والعنب التي ترطب هوائهم وحلوقهم، تصلهم أنباء احتفالات مملكة الشمال بمد سيطرتها على أرض جديدة، تقف في حلوقهم ثمار الفاكهة اللذيذة ليتحول سكرها إلى علقما بطعم مرارة التساؤل الذى يطاردهم في مناماتهم؛ متى تطلق مملكة الشمال سهام احتفالاتها بضم كاستيليا لحكمها؟!

قوية مملكة الشمال وقوى حقا شعبها، يقولون أيضا أن جميع أهل الشمال يتعلمون فى صباهم علوم القراءة والكتابة والحساب والفلك، وبالطبع الفنون العسكرية، وإن كانوا ليسوا جميعا يذهبون للمعبد لحفظ النصوص الدينية، ولا يهتمون بذكر آلهتهم

إن تردد اسم إله في ساحة "قرص الشمس" من أحد الجنود فهو حتما إله كاستيليا ذو الوجوه السبعة

رب هذه الأرض الذى لم يتخل عنها رغم كل شيء تقديرا لوفاء أهلها لها

يحفظ أهل كاستيليا النصوص الدينية ويلقنونها شفهيا لأبنائهم، فليس من حق كل كاستيلي تعلم القراءة والكتابة، الإله ذو الوجوه السبعة هو من يمنح هبة الحق فى المعرفة للمختارين من أبنائه

ويقرر ذلك "الحكيم" وقت منح البركة للأطفال المولودين .. ويكتفى الباقون بمهارات الزراعة ورعى الأغنام التى لا يضاهيهم فيها أحد

إلى جانب حب أرضهم التى يستبسلون فى الدفاع عنها ضاربين بموازين القوى التى تصب فى صالح جيش الشمال كل قواعد المنطق

يكاد الكاستيليون لا يجيدون شيئا فى أمور الحرب مثل إجادتهم التحكم فى هذه الرقعة الضيقة التى منحها لهم جينوم "خندق الروووم"

يمر جنود كاستيليا منه خارجون إلى ساحة المعركة حيث تتمركز قوات جيش الشمال، يؤدون ما عليهم من واجب يقضى بضرورة الاشتراك في هذه الحرب اللعينة ثم يفرون سريعا إلى داخله

***

المعركة

عشرة أعوام مرّت ولا تزال المعركة دائرة و تدور

خسرت كاستيليا كل زعمائها وقادتها، وعلى الجانب الآخر أرهقت الحرب جيش مملكة الشمال بزعامة قائدهم "بيدرو الثالث" الجنرال العظيم صاحب أشهر المعارك الحربية، تبدو النهاية قريبة لجيش بيدرو باختراق هذه الثغرة الضئيلة حجما وقدرا بجبل جينوم، ولأهل كاستيليا بأن يصيب الشماليين اليأس، أو ربما بأن يتدخل إله كاستيليا العظيم بدور أكبر من هذا فيرسل لعنته على هذه المعركة وتنتهى

عشرة أعوام لم ييأس بيدرو، ولم تجف الأرض الخصبة لكاستيليا عن طرح مدافعون جدد عن شرفها

والنتيجة

لا الشمال ينتصر ولا كاستيليا تنهزم

الجنرال بيدرو الثالث!!!

وهل يعجز بيدرو _العظيم_ كما يعرفه أعدائه قبل أصدقائه عن هزيمة هذه البلدة الصغيرة؟!

يجوب التساؤل أراضى مملكة الشمال الممتدة

هزم الجنرال جيوشا كثيرة، خرج منتصرا فى كل معاركه.. لم يبق له سوى إحكام سيطرته على كاستيليا ليعلن سيادته على الإمبراطورية العظيمة التي حلم جده بها إمبراطورية تمتد من المياه إلى المياه من البحر الجليدى بأقصى الشمال إلى الرمال البيضاء لبحر بارين

يعرف الجنرال تماما كيف يهزم أعدائه، يدرس خصمه جيدا، ويصيبه تماما فى نقطة ضعفه اقتل سيدهم ..

تعلم الجنرال هذه الحكمة جيدا ونفذها فى كل معاركه المتتالية مع جيش كاستيليا بنجاح كبير استطاع هزيمة القادة السبع لكاستيليا وزعزعة أركان مجلس حكمها

فكاستيليا تتكون من سبع قبائل كبيرة يحكمها مجلس يضم الزعيم الأكبر لكل قبيلة ويتناوب

القادة السبع على حكم البلاد ومن ثمّ إدارة المعركة بترتيب أعمارهم

فى كل مرة يترك بيدرو لجنوده مهمة اللعب بقروبى كاستيليا اللطفاء كما يداعبهم في الحرب، بينما يصطاد الجنرال بنفسه أكبر رأس لجيش كاستيليا فيتقهقر جيشها أمامه، يسقط الأب الأكبر، الزعيم الكبير قائد كاستيليا، تتساقط دموع الجنود لتختلط بدمائه، ثم لا يجدون مهربا من بيدرو سوى النداء بأعلى صوت للإله الواحد، تدّب القوة في أقدام جنود كاستيليا كما في صوتهم الذى ينطلق صياحا باسم كاستيليا الحبيبة، ليتسميت الجنود على المنفذ الوحيد الذى يمكن أن يمرّ منه جنود الجنرال ليقتحموا أرضهم قبل حتى أن يشير بيدرو باصبعه لجنوده بالاقتراب، وينتهى كل شيء.

***

هدنة

صحيح أن جينوم ليس فى حقيقته أكثر من هضبة بسيطة التكوين الرملى تبدو من بعيد سهلا بسيطا تصلح لأن يعتليها صبية ماهرون فى ليلة سمر، غير أن رماله الناعمة تجعل حلم تسلقها بعيد المنال لأعتى جنود الأرض، ومن بينهم جنود بيدرو

لا أمل سوى من خلالك أيها الثقب المسحور

"خندق الرووم"

يليق بجرذان مثلكم الاختباء فى خندق

لولاك أيها الجبل لعصرت هؤلاء القرويين مثل ثمار فاكهتهم وصنعت منهم شرابا يطفئ نار كل هذا الانتظار الطويل

أطلق بيدرو سبابه صوب الكاستيلين كآخر قذيفة له قبل أن يأمر جنوده بالتراجع لمعسكر الشمال على مقربة من الساحة ومن حدود جبل جينوم الممتد داخل مملكته أيضا

وماذا الآن يا جنرال؟ سأل فورتان كبير قادته

لا شئ سنعيد الكرّة، أجاب بيدرو

مرة أخرى؟!، أعاد القائد سؤاله بصوت مستنكر

ومرات ومرات يا فورتان، قال بيدرو بثقة مواصلا حديثه

وهل عاد بيدرو مهزوما من قبل!

ارتجف صوت فورتان تأثرا بالجرى المتواصل في المعركة، وبآلام جسده ثم قال

مضت سنوات طويلة يا جنرال ونحن رهن هذه الساحة.. اشتاق الجنود لأرض الشمال، لنعيمها وراحتها، لغذاء مطهو جيدا ولسير آمن بين طرقاتها ونومة هنيئة ولو لليلة واحدة

أمسك فورتان ببطنه وأضاف، لقد ملّ الجميع من طعام الفاكهة الماسخ الذى تجود به أشجار كاستيليا علينا وكأنها تعاقبنا به

وضع بيدرو يده على كتف فورتان شادّا من أزره

غدا يا فورتان

غدا سنشوى هؤلاء الفئران ونصنع من لحمهم وليمة، انفجر بيدرو ضاحكا

بينما امتعض وجه فورتان .. وغاصت ملامحه الشمالية الكبيرة لتتداخل فى بعضها من أثر الاشمئزاز الذى أصابه

فهم بيدرو أنه أساء التشبيه، استعاد جديته وترك كتف فورتان، انتصب في محاذاته بوقفته العسكرية الصارمة ثم قال

حسنا فلتذهب الآن. وسأرسلك على رأس سريّة من الجنود غدا لإحضار بعض المدد من الشمال فى الصباح

ابتهج فورتان وراح يبشر الجنود الذين تدافعوا للاصطفاف أمامه ليختار من بينهم على أمل أن يفوز كل منهم بفرصة الحصول على استراحة قصيرة فى أرض الوطن

أجّل بيدرو أمر المعركة بضعة أيام، أعطى إشارته لجنوده بالامتثال للراحة حتى يعود فورتان والجنود، وذهب هو الآخر لقصره الملحق بالمعسكر ليستريح

تاركا لكاستيليا فرصة قصيرة تلتقط فيها أنفاسها كعطية من الجنرال المشهور بكرمه

إعادة تنظيم الصفوف، ثم عودوا أيتها الفئران للخروج من جحركم تحت قيادة جرذ جديد، ردد بين نفسه مخفيا آثار الإحباط التي تملأ نفسه عن جنوده

فهذه الهفوة هي ما يضيّع عليه فرصة النصر بكل مرة

يملّ جنوده من القتال المتواصل، هم يريدونها ساحة مفتوحة تتراص رقاب الأعداء فيها أمامهم ليجيلوا الضرب فيها بسيافهم ثم يمصوّن آثار الدماء العالقة بوجوههم وأيديهم في تلذذ ليمضوا فرحين كالمعتاد للاحتفال والاستمتاع بمملكة الشمال

أما كاستيليا فتجيد تدويخهم في كل مرة، وفى كل مرة يمنح جنوده ما يريدون بالامتثال للراحة قليلا، تحصل كاستيليا هي الأخرى على ما تريد

اتخذ الجنرال قراره هذه المرة مستريحا لكونه قضى على آخر فرد في سلالة الحكم الكاستيلى

كيف لكاستيليا أن تسترد قوتها الآن، وقد فقدت قادتها السبع واحدا تلو الآخر أمام بيدرو، كما فقدت عددا لا يحصر من أبنائها المخلصين ؟! تهامس الجنود الكاستيليون العائدون من الحرب بعدما وصلهم نبأ الهدنة الذى أعلنه بيدرو

خلف القادة من ورائهم ورثة ضعافا ليس لديهم عزم الآباء والأجداد ولا همتهم .. وجنود تطاردهم أشباح سابقيهم فى كل مكان لتثير فى أنفسهم الشك حول جدوى الدفاع عن تلك الأرض الحمقاء التى لا تهمهم شيئا يستحق الموت من أجله

كيف يمكننا مواصلة هذه الحرب؟! يتسائل الجميع، صدى أصواتهم الهامسة يضيع بين حفيف أوراق الأشجار، ودبيب خطى الهاربين المتسللين كل ليلة إلى خارج البلاد حتى لتبدو قرقرة بطونهم الجائعة أعلى صوتا من كل ذلك

ومع كل يوم تضيق الأحوال بأهلها من أثر الحصار والحرب شيئا فشيئا، يفقد الجنود قدرتهم على الحياة وعلى مواصلة استعراض الجسارة في مواجهة الموت

ما عاد الجنود يجدون ثيابا تليق بالموت فيها؟! صاح أحدهم بينما راح يقطع بضعة أوراق من أغصان الشجر ليضمد بها جراح جسمه المكشوفة من بين فتحات ثوبه الممزق

تبادل الجندى ورفاقه نظرات لا تجد ما تقوله ثم نام الجميع

***

الرحيل

كان الضجيج هذا الصباح عاليا .. يبدو مصدر الصوت أقرب من جهة خندق الرووم حيث يأتى الخطر دائما من محاولات اقتحام جنود بيدرو للبلدة من خلاله..

ليس المصدر الخندق وهذه ليست أصوات جيش الشمال، لا يخرق بيدرو اتفاق الهدنة فهو رغم وحشيته مقاتل مشهور بنبله وحفاظه على العهد

استيقظت كاستيليا كلها على صهيل الأحصنة العالى وعلى صوت السياط اللاذعة تنزل فوق ظهورها لتدفعها للجرى بأقصى سرعتها

مصدر الحركة غير المفهومة يأتى من محيط القصر الأحمر الذى يعيش فيه سيلجانو ابن القائد الأكبر والذى من المفترض أن يؤول إليه الحكم الآن، وكذلك القصور الصغيرة المجاورة والتي يسكنها باقى أبناء القادة، وعائلاتهم

تتمركز العائلات السبع في دائرة صغيرة من القصور المتواضعة حجما باستثناء القصر الأحمر تتوسط كاستيليا ويسهل الوصول إليها من كل اتجاهات البلدة

ما سهّل تجمع أهل كاستيليا في وقت قصير

التف المتجمهرون من سكان البلدة حول الحكيم ليوبو متسائلين عما حدث

لم يجد ليوبو سوى الدموع ليرد بها .. ثم جثا على ركبتيه فوق أرض حديقة القصر.. يهيل على رأسه التراب ويردد التراتيل التى يحفظها من كتاب كاستيليا المقدس

يا رب هذه الأرض

يا إله يا واحد

تعلم أننا آمنا بك بوجوهك السبع

لا تتركنا يا قدير

لا تترك بلدتك الطيبة التى ورثت دينك وحافظت عليه

أى ذنب فعله هذا الشعب الطيب فى حياته ليكون ابتلائه فى قادته.. لقد سرقوا كل شئ

سرقوا كل شئ وهربوا

سادت نظرة مفادها "أن فهمنا " على وجوه الحاضرين فقد باتوا متأكدين من الشكوك التى كانت تساور الجميع حول خلافات أبناء القادة السبع؛ يرفض كل منهم تولى أمر الجيش وإدارة المعركة هرب بقية أبناء القادة ومعهم أسرهم تاركين كاستيليا تواجه مصيرها وحدها.. قال ليوبو

رد أحدهم

النهاية شبه محتومة الآن...

معركة بلا قائد

حرب بلا أسلحة

جنود بلا عزيمة

لم يعد هناك مفر من الاستسلام

تعالت الصرخات والأنات مختلطة بأصوات ليوبو الحكيم ، وألكسو كبير الجنود

كيف يا حكيم؟! ماذا تعنى بكل شيء؟! سأل ألكسو

قلت لك كل شيء أيها المحارب، رد ليوبو يغلب الحنق على ملامحه الوديعة التي يعرفها عنه الجميع

سرقوا الذهب والأموال، سرقوا التماثيل الثمينة، سرقوا الثياب والأبسطة

حتى مبخرة المباركة بتولى الحكم سرقوها يا ألكسو

سرقوا كاستيليا وهربوا

ربت ألكسوا على ظهره مهدئا، مواصلا حديثه

اهدأ يا حكيم، دعنا ندخل إلى القصر مرة أخرى أنا وأنت، كيف لبضعة أحصنة أن تحمل كل هذا

تدخل الجنود والمواطنون في الحديث، وهتف المحيطين بالحكيم والقائد

نعم دعونا ندخل إلى القصر

نعم .. لقد أصبح القصر فارغا الآن

اندفعت الجماهير باتجاه القصر لاقتحامه و السيطرة عليه

فأشهر ألكسو سيفه، وقف بمحاذاة الجموع مديرا ظهره للقصر المنير بالأضواء تتسلل للخارج

بسهولة من بين شرفاته وأبوابه المفتوحة

تراجع الجميع، فأغمد ألكسو سيفه ونادى جيريد نائبه وعددا من الجنود بأسمائهم، ثم هتف في الجموع بالعودة لأماكنهم

سنقوم والحكيم ليوبو بمراجعة الموقف من جديد، اطمئنوا أهل كاستيليا العظام لن يضيعنا الإله

تفرقت الجماهير دون أن يُسكت حديث ألكسو المطمئن صيحاتها وهمهماتها، مضى كل منهم يخبر من يعرفه ويوقظ من لا يزال نائما

حمدلله أننا في هدنة، قال جندي

رد عليه أحد القرويين ساخرا، وكأنكم كنتم تفعلون شيئا أكثر من التنزه في ساحة قرص الشمس

احمرّ وجه الجندى، وقال غاضبا

حقا كيف كنت أعرّض حالى للقتل يوميا من أجل قروى ساذج مثلك ومثل هؤلاء

اقترب منه القروى ممسكا بذراعه في حنق صارخا اذهب و الحق بقائدك الخائن إذن

تدخل باقى الجنود لفصل المتشاجرين، لم يضف أحد شيئا

الصمت وابتلاع الريق هو الرد الوحيد الذى يملكه كل من يصله الخبر.

راحة عاشها أهل كاستيليا رغم كل الحزن الذى يعتصرهم، فقد انتهت أوامر القادة اليومية بالاصطفاف في طوابير التحية الصباحية، ونقل الطعام والمياة للقصر الأحمر وما حوله، وأعمال رعاية الحدائق المحيطة بقصور القادة

طالت إقامة ليوبو وألكسو وجيريد والجنود بالداخل لأيام، ولكنهم لا يطلبون شيئا

فقط أرسل ألكسو المنادين يطوفون بالبلاد بتكتم الأمر حتى لا يصل الخبر لجنود الشمال

بينما عكفت ثلة الجنود التي اختارها لترافقه داخل القصر على البحث بكل أركانه

_ ألم أقل لك حملوا كل شيء، قال ليوبو وسط دموعه التي لم تتوقف من يومها

بينما توافد الجنود واحدا وراء الآخر يخبرون ألكسو وليوبو بنتيجة بحثهم الخائب

_ لم نجد أى حلى، لم نجد أي نقود، ليس هنالك أي رقائق جلدية تلك التي تحمل وثائق تاريخ حكم كاستيليا اختفت جميعها

_ ألا زال لديك أي أمل أيها القائد، همس جيريد لألكسو

يعرف ألكسو أن بين أهل كاستيليا البعض يعود تاريخ دمائهم للعائلات السبع، ولكن القادة كانوا يُخفون جميع الوثائق الخاصة بالأنساب

إذا وجدناها ووجدنا نسخة أخرى لخاتم الحكم، يمكننا إعلان حاكما جديدا للبلاد، قال ألكسو موجها حديثه لليوبو

حاول أيها الحكيم أن تتذكر

أنت دخلت كثيرا إلى القصر، وتعرف بالطبع أين يخبئ القادة أوراقهم

رد ليوبو يائسا: وهل هذا عمل سهل؟! العكوف على أوراق وسجلات تاريخ العائلات الحاكمة لنستطيع إيجاد وريث شرعى لحكم البلاد أمر يحتاج لوقت طويل، وهل ينتظرنا بيدرو لإنهاء هذه المهمة التي تحتاج لسنوات عمل

_ ساعدنى يا ليوبو، أنت تملك نسخة من الخاتم، نحتاج لوثيقة شرعية فقط ل...

قاطعه جيريد منعفلا، لماذا يا ألكسوا، لماذا؟، لنعيد أي ذيل لهؤلاء الخونة للقصر؟!

وهل يقبل الكاستيليون بذلك!

أنا أفضّل لو أعلنت نفسك أنت حاكما وبايعناك أنا وألكسو

وهل يقبل الكاستيليون ذلك أيضا؟! رد ليوبو مستنكرا

غامت ملامح وجه ألكسو خجلا، حدثته نفسه علام تدافع أيها الجندى

عن شعب لا يرى في دمائك التي تسيل كل صباح على أرضه سببا كافيا ليمنحك عزه

يعرف الكاستيليون أن منصب كبير الجنود دائما ما يمنحه القادة لأقل الجنود نسبا، حتى لا يفكر يوما في التمرد عليهم أو منافستهم على الحكم

تعشق كاستيليا نسبها وتقاليدها وتاريخها الملكى العريق

قطع ليوبو حديثه الهامس قائلا، آه لو كانوا تركوا وصية حتى بنقل الحكم قبل مغادرتهم فصاح به جيريد بنفس غضبته التي ما فارقته منذ هروب القادة

وهل علىّ الآن أن أبحث عن وصية الخائن لتنفيذها له،

رفع سيفه ضاحكا بهستيريا، ها ها ها ها

تخيلوا؟! ماذا؟!

لقد تقاعس الخائنون حتى عن منحنا وصية نقضى عمرنا بعدهم في تنفيذها لأجلهم

رمى سيفه أرضا مهددا بالمغادرة إن استمر ليوبو وألكسو في خطتهما بمحاولة تدبير أمر نقل الحكم لأى شخص يمتد نسبه للعائلات السبع

ازداد نحيب ليوبو، أخرج الخاتم من جيبه قائلا

مجدك يا كاستيليا

مجدك .. ها هو حائرا تائها فى الأرض

تاجك ملقىّ على الطرقات لا يجد من يحمله على رأسه

من لكِ أيتها البلدة الطيبة اليوم

بكى ألكسو وجيريد والجنود متأثرين بكلماته، حتى قاطعهم صوت لاهث يخترق الأبواب المفتوحة بسهولة كنصل مسنون دبّه مقاتل محترف في قلوبهم جميعا

عاود بيدرو الهجوم.. الهدنة انتهت

هبط الوجوم على الجميع

قال ألكسو، لا وقت لتنفيذ أي خطط

لن تقبل كاستيليا بأى حل، ولن يصبر بيدرو علي أهلها ليدبرون أمرهم

قام ليوبو من جلسته فوق كرسيه الخشبى المذهبة أطرافه المثبت أدنى الدرجات العالية التي تحمل فوقها كرسى العرش، والذى عادة ما كان يجلس عليه بجوار أقدام الحاكم بأيام احتفالات كاستيليا القديمة واجتماعاتها الكبرى

خلع ليوبو شاله القطنى الأبيض وأعطاه لألكسو الجندى الماهر، فهم ألكسو مقصده دون كلام

حمل الشال القطنى فى صمت ومضى يتبعه جيريد والجنود باتجاه جبل جينوم

تبع بقية الجنود قائدهم كالعادة فى وجوم يخفى ارتياحا يشبه ارتطام حجر مقتطع من جبل

عريق ظل يدور فى الخواء يتخبط بين أرجاء الكون الواسع وقد استقر أخيرا فى باطن النهر العميق مستسلما لنهايته

رفع جنود كاستيليا الراية البيضاء فوق جبل جينوم من جهتهم

معلنين الاستسلام

لم يبق سوى تسليم خندق الرووم

والسماح لبيدرو بالمرور وجنوده ليتسلموا أمر حكم كاستيليا

***

الراية البيضاء

الراية البيضاااااء

رفعت كاستيليا الراية البيضاء.. وصاح جنودها طلبا لحقن الدماء

جرى جنود الشمال المكلفين بمراقبة المكان باتجاه معسكر الجنرال الذى كان نائما فى استراحته، يصرخون فرحا

نهض بيدرو من نومته، وهَمّ بالجري باتجاه باب قصره ثم توقف للحظة وعاد لمخدعه، متجاهلا خبطات الجنود على بابه مرددين في أصوات متقاطعة

افتح يا جنرال

الراية البيضاء

أعلنت كاستيليا استسلامها

رفعت الراية البيضاء

يعرف بيدرو أن هذه النتيجة حتمية، فقد قتل آخر قائد لكاستيليا يمكنه أن يشكل خطورة عليه

ومع هذا منح كاستيليا الفرصة لتلعب معه لعبة أخيرة يتسلى فيها بضعف أبناء القادة ويستمتع بهرولتهم جبنا في الحرب

لطالما لمحهم عن بعد من موقعه في المعركة يختبئون خلف جنودهم لا يبادرون بالهجوم، ويكونون أول الفارين

كان يعرف أن أول مواجهة قادمة مع كاستيليا ستمنحه انتصارا مستحقا لفارق قدراته وخبرته عن هؤلاء الجرذان

ومع هذا كان قرار الاستسلام دون أي حرب مفاجئا له

أيقظه من نومه بشعور غبطة من نام دهرا حتى شبع، هو القائد الذى يقطع رقبة من يحاول النقر على طرف سريره خلال نومه، ولا يتردد في إشهار سيفه ليحارب ذبابة أقضّت مضجعه

ارتدى بيدرو كامل زيه العسكرى تعلوه القطع الذهبية التي تزينه بالأكتاف والأكمام وبحزامه

المرصع بالأحجار الكريمة يتدلى منه مغمد سيفه البراق المشهور بقبضته البلاتينية، ليبدو فى أوج أناقته

ثم مضى ليلحق بجنوده الفرحين

آه يا فورتان،

ألم يكن فى إمكانك تبكير عودتك يوما آخر، قال بيدرو بعد أن سأل الجنود عن قائده فأجابوه بأنه لم يعد بعد، أعاد فورتان الجنود مخبرا إياهم بلحاقه بهم في الغد لينهى جلسته الأخيرة مع حكيم السيدر، والقائد زينان

ستفوتك وليمة الفئران المشوية

راح بيدرو يضحك بينه وبين نفسه على مزحته التى لم يفهمها غيره

غير أن سعادة الجنود دفعتهم للحاق به فى قهقهته العالية حتى بدون فهم

هتف بيدرو فى جنوده فلنبدأ الإعداد للاحتفال إذن، ثم نعيد الاحتفال مجددا في الغد حين يعود فورتان

أردف قائلا، من سيأتينى بآخر رأس كاستيلي تم قطعه، ثم بحث بنظره بين آثار الجثث المرمية بالساحة عن أشلاء كاستيلية

لو أعرف أن رأس أباك يا سيلجانو العفنة ستكون آخر رأس أقطعها، لأتعبت يدا بيدرو العظيمة بحملها فهناك مهمة أخيرة تنتظرها

بحث الجنود بين الأشلاء حتى وجدوا رأسا يزينها تاج كاستيليا المعروف فأحضروها فوق الرمح لبيدرو

تلقف بيدرو الرأس وقذف بها بخبطة من سيفه باتجاه جبل جينوم، لتتعلق بطرف الجبل وسط صيحات الإعجاب من حوله

إطلاق رأس قادة الأعداء بعد انتهاء المعركة فوق جبل جينوم هو إشارة الجنرال بيدرو لجيشه لبدء احتفالات النصر

غدا ندخل كاستيليا .. غدا نرفع علم مملكة الشمال الكبرى فوق رمال بحر بارين البيضاء

غدا تدخلين القصر الأحمر لتحملين كل ما يعجبك فيه يا مليسا

قال الجنرال مخاطبا زوجته التي تسير بجواره فرحة فوق الأشلاء البشرية يجرجر طرف ثوبها المرصع مصطدما بالعظام الجافة وبقايا الرماح المكسورة، تضحك مزهوة بزى أسطورى يخيطه لها مهرة كاستيليا رغم العداء بينهما،

لطالما كان يعجبها أذواق أهل كاستيليا، الأقمشة المستوردة من بلادهم، والسلال المميزة التي يرصون بها الفاكهة وأعلام الاحتفالات الحمراء التي يرفعها الكاستيليون يزينها ثمار الكرز المشهورة بها أرضهم

الآن صار كل هذا ملكا لها.. صارت ملكة العالم من طرفه الجليدى حتى شاطئ بحر بارين الأبيض

***

بحر بارين

دار قبطان السفينة التى حلّت لهذا اليوم على شاطئ بارين بين طرقات كاستيليا بحثا عن من يبادله بضاعته بسلال الفاكهة فلم يجد أحدا في استقبال السفن كالعادة، انطلق إلى الداخل طمعا في خيرات كاستيليا كما نصحه سابقيه فالكل يعلم خوف الكاستيلين من رمال البحر المليئة بالأصداف، واكتفاءهم بعدد قليل من المزارعين يرصدون مجئ السفن فيرصون البضائع بمحاذاة الشاطئ حتى يأتى البحارة لمبادلتها وترك المقابل

يعتبر الكاستيليون بحر بارين الواسع الممتد على طرف كاستيليا الجنوبى النهاية فعلا ليس لحدودهم فقط، ولكن للأحلام أيضا وللمغامرات وللترحال، وللحِل وللسكن معا

تجارب أهل كاستيليا مع البحر مخيفة، "لطالما ابتلع البحر أحبابا" يردد الكاستيليون حكمتهم الخالدة هذه دوما عنه، فتاريخه الدامى مع من حاولوا اقتحامه منهم جعله مصدر رعب وتهديد لهم خاصة وقد كان دائما مدخلا للأغراب وللأخطار فى آن واحد.. تعيش كاستيليا في هدوء محصنة ما بين بارين وجينوم أو مُغيّبة عن المجهول .. عن العالم الآخر بكل وحوشه وذئابه، وبكل رياح التغيير التي تعصف به كذلك تتداول الحكمة بين أهلها

"لا يأتى البحر بالخير"

"الأرض ثابتة، البحر قلّاب"

"كاستيليا العريقة لا تقبل أبدا الاختلاط بالأغراب"

ولهذا لم يجتذب بارين أهل كاستيليا أبدا

لا يعرفون شيئا عن كنوزه ولا يحبون الغوص فى أعماقه كما لم يحبوا تسلق جبل جينوم هو الآخر أبدا.. فقط ينتظرون سفن البحارة القادمون للحصول على المدد ليبادلونهم بضائعهم الغريبة المذهلة بخيرات كاستيليا

أعلن ليوبو خبر استسلام كاستيليا، مطالبا الشعب بالاستعداد لدخول جنود الشمال

أمرهم بصوت تذبحه النهنهة بالامتثال لأوامر بيدرو حفاظا على أرواحهم

مضى الجميع يحاول كل منهم البحث لنفسه عن مخبأ، امتلأت طرقات كاستيليا وأسواقها حتى حدود الشاطئ بأهلها يودعونها الوداع الأخير ويشترى كل منهم ما يؤمن حاجته لأطول فترة ممكنة حتى

لا يضطر لإخراج رأسه ليلتقطها جنود بيدرو ويدءون بها

تتردد الهمهمات؛ ستكون الأيام الأولى صعبة بالتأكيد، لن يشفى غليل بيدرو بعد هذه الحرب الطويلة سوى أن يقطع كل الرؤوس التي تصادفه

بحث القبطان عن شخص يفهم منه ما يحدث، أو يبيعه شيئا من الفاكهة

انتهى أمر كاستيليا، قال له أحد القرويون ابحث لنفسك يا قبطان عن مرسى آخر

استمع القبطان لقصة هروب أبناء القادة لأول مرة، كيف سرقوا كل شيء من القصر الأحمر

راح يواسى المزارع، قائلا

لقد ملأت انتصارات بيدرو الأرض.. هذا الجنرال العظيم لم تكن لتعجزه بلادكم على أى حال

انفعل القروى قائلا، صه .. إنها كاستيليا يا أحمق ولطالما أعجزت الجميع

أنت يا من عشت حياتك فوق موج يتقاذفك.. كيف لك بالشعور بدفء الانتماء للأرض

إنها كاستيليا يا أحمق ..

كاستيليا العريقة

انظر لطبيعتها الساحرة

تطلع القبطان حوله بانبهار، دائما ما كان يعزى بيدرو فشله فى الانتصار على كاستيليا لطبيعتها هذه رمال جينوم من جانب وأمواج بارين من جانب آخر

هم من يأخّرون النصر

أما الكاستيليون فليسوا سوى فئران مزارعين لا يجيدون سوى الاختباء فى الأرض

انسحب القبطان باتجاه الشاطئ ليعلن بأعلى صوت على الجميع خبر انتصار بيدرو

كاستيليا سقطت يا بحارة

اهربوا سريعا

بيدرو قادم

لا سفن هنا بعد اليوم

لقد أصبحت من الآن أرض الجنرال، ولن يسمح لأحد باقتطاف برتقالة بدون إذنه

***

كاستيليا أرض الغناء والكرز

التقط الحكيم ليوبو الذى يسير هو الآخر بين الجموع ثمرة من حبات الكرز المعروضة للبيع بالأسواق بينما يمضى متأملا بعينيه البساتين المجاورة يودعها ويندب حظ بلاده قائلا: آآه يا كاستيليا..

لقد أتقن أهلك زراعة الزيتون والعنب و الكرز الأحمر.. هذه الفاكهة التى تمنحك سمعتك المدوية بين أرجاء الكون كالأرض التى تُطعم الملوك

غير أنك لم تستطيعي تربية ملك واحد منهم

أردف ليوبو في حديثه، مجيلا نظره بين أهل كاستيليا الذين تغطى التعاسة ملامحهم الجميلة

ما عاد هنالك من أحد

ليس بين أبناء القادة من يحمل همة الدفاع عن الوطن

كانت السفينة تنقص فى كل صباح واحدا ثم واحدا ثم واحد

هل كان غريبا بعد ذلك أن يستيقظ جنودك أيتها البلدة ذات صباح بلا صافرة تجمعهم للعرض الصباحى.. ليجدوا أن لا أحد هنا ليلقى التعليمات ؟!

كفى يا عجوز.. قال أحدهم

- ليس أمامنا سوى أن نختبئ تحت الأرض أن ننتظر الموت فى بيتونا سيكون هذا أفضل حالا

- رد ليوبو، وهل الاختباء فى الأرض مشينا، وهل الاختباء في أرض كهذه الأرض مشينا ؟!

كلا

ليست أرض كاستيليا بقليلة

الموت بين يدى صديق أو حبيب يهوّن من السكرات كثيرا

على الأقل ستخفف الدموع المنهمرة فوق جثتك من معاناة الاحتضار

كست علامات السخرية وجه القروى خاطب ليوبو بحدة غير معهودة، اذهب أنت أيضا.. ابحث لنفسك عن قلب يحتضنك فى لحظتك الأخيرة يا ليوبو

رد الحكيم بأسى، ليس هناك قلب يمكنه احتضان ليوبو مثل قلب كاستيليا الحبيبة

كفى يا عجوز.. لقد شبعنا حبا فى هذا الوطن، صاح قرويا

ما عادت الأغانى تكفى لتديم رؤوسنا فى مكانها..قال القروى

على الجانب الآخر كان ألكسو بين الجنود و قد حملوا أمتعتهم هم أيضا استعدادا لمغادرة المعسكر، تابع الجنود وهم يلملمون حاجياتهم استعدادا لهدم المعسكر

قال ألكسو بصوت مكسور؛ لا تتركوا سلاحا واحدا لا رمحا ولا سيفا ولا حتى قطعة حجر خبأوا كل شيء من يدرى ماذا يمكن أن يحمله الغد

جاوبه جيريد ساخطا، بينما يحمل بنفسه كل رمح يصادفه ويقسمه إلى نصفين ثم يلقيه أرضا، لم يعد هنالك الكثير بالأساس يا ألكسو

التقط جندي آخر رمحا وفعل مثل جيريد ثم قال لم يعد هنالك الكثير، صدق جيريد حتى أن أحدا ليس بإمكانه أن يجادل في الرماح القليلة التي حطمتها

ليت هناك ما يكفى لنفرغ فيه غضبنا يا جيريد

أصر ألكسو على نبرته الهادئة الواثقة، متجاهلا جيريد الغاضب

كفى تحطيما حافظوا على كل شيء رجاء جنود كاستيليا العظام،

كل رمح ..كل سيف ..كل سهم

ادفنوها بأقرب مكان آمن، أو احملوها معكم إلى بيوتكم

ستعود كاستيليا لمجدها

ستعود بلادنا لنا يوما، وإن رفعنا الراية البيضاء اليوم فحقنا للدماء

خرجت كلمات ألكسو الحماسية روتينية خالية من الحرارة، عديمة الهدف

انتهى الجنود من حمل متعلقاتهم واستعد الجميع للمغادرة

و هناك بجوار ساحة قرص الشمس، تتعالى الكؤوس الممتلئة بشراب نبيذ الكرز الذى كان أول ما حصل عليه بيدرو من عطايا كاستيليا وخيرها.. وتتعالى صيحات الجنود المحتفلين بالهتاف

فى نخب قائد مملكة الشمال وريث عرش الملك خوان العظيم

الجنرال بيدرو

تعيش مملكة الشمال

يحيا الجنرال

صاح بيدرو بين الجنود الفرحين بصوت يتجاوز فرحتهم، فلينعم خوان العظيم فى مرقده الآن لقد حقق له نجله حلمه الأكبر

أتمنى لو كنت بيننا يا جدى الآن لترى جيشك وهو يقف على شاطئ بحر بارين

أمامه المياه الهادرة التى طالما حلمت بخوض غمارها ومن خلفه مملكة الشمال تمتد ربوعها من كاستيليا إلى سيداد والسيدر

أخذت بيدرو الحماسة فى خطابه الجنونى الذى ألقاه بمناسبة النصر حتى كاد يسقط متأثرا بفعل النبيذ

سقط بيدرو بالفعل فحمله الجنود إلى بيته ليستريح

نام طويلا

ربما يوم

أو يومين

أو ثلاثة أيام

***

مايوركا

نجمة من اللهب اخترقت السماء لتشعل الجميع من جديد

التفت الجميع ينظرون حولهم بحثا عن مصدرها

مايوركا!!!

بين ربوع المزراع كانت مايوركا مثل معظم صغار كاستيليا تعمل بالأرض، تقضى يومها بين أعمال الزراعة وحصاد الكرز، غير أن لقرب مزرعة والدها من الجبل حيث يقع معسكر الجنود احترفت مايوركا عملا آخر بخلاف غناءها الطفولى والركض بين المزارع

تعلمت مراقبة الجنود ومتابعة التدريبات التى لا تنتهى

فى كل معركة جديدة تضع صورة للفارس الذى سيحمل راية النصر وينهى هذه الحرب التى حاصرت طفولتها و حتى صارت ابنة الـ٢١ عاما

اليوم، بينما يحمل آخر الجنود أمتعتهم

تجرى مايوركا بين جنبات المعسكر، ممسكة بأطراف الجنود الراحلون تجرّ خلفها خصلات شعرها البنية الطويلة وتذرف عينها الخضراواتين دموعا صادقة لا يكاد يستبين الحاضرين من خلالها معنى الكلام الذى تقوله

هنا كانت دائما ما تركض فرِحَة تحمل سلة الغذاء التى يرسلها بها أبيها لإمداد الجنود بالقوت اللازم لمواصلة المعركة

مازال فى جعبة كاستيليا المزيد، قالت بحماس

طالما لدينا قُوتنَا لا يجب أن نرفع الراية البيضاء أبدا

إذا كنا لا نموت جوعا فلا يمكن أن نقبل أن نموت عارا

يستحق الوطن أن ندافع عنه حتى نسقط صرعى المعركة، أو صرعى انتهاء الزاد والعتاد

مالكم يا جند كاستيليا.. لا يفرّ الجنود من المعركة لمجرد احتمال الهزيمة

مضت مايوركا توزع حبات الكرز الشهية كالمعتاد بين الجنود، وتهتف بينهم محاولة منعهم من التراجع وهدم المعسكر

يتناول الجنود الكرز من يديها ثم يستكملون لملمة أشيائهم غير عابئين بكلامها

واصلت مايوركا حديثها رافعة صوتها بغضب

كيف يا جند كاستيليا ستفعلونها؟!،

هل هذه هى نهاية تليق بكم؟!

لا

اصمدوا قليلا أبناء كاستيليا العظام

لا يمكن أن نسلّم وطننا لقمة سائغة لأعدائه

ألقت بسلة الكرز من بين يديها، رافعة إياها عاليا

لن يدخل بيدرو وجنوده أرضنا ليجدونا فى انتظارهم ذليلين منكسى الرأس

لن يدخلوها إلا فوق أجسادنا أو صرعى مدفونون تحت أرضها

بدت هتافاتها الجوفاء كالعدم لا تحدث أى أثر في الجنود

أشفق عليها واحدا من الجنود فواساها قائلا، اهدئى يا مايوركا صحيح أنك منذ ميلادك تعيش بيننا هنا فى أرض المعركة، نعرفك جميعا ونحبك.. لقد تابعت منا هذا الصراع الدائر بين كاستيليا وجيش بيدرو العظيم يوما بيوم، كان صوتك أيتها الطفلة تغنين باسم الوطن دائما ملهما فى كل الحروب السابقة

تذكرت مايوركا كيف كان الجنود دائما ما أن يسمعون غنائها وهى تشدو باسم كاستيليا حتى يلتهب حماسهم للدفاع المستميت عن أرضهم، كفكفت دموعها وراحت تغنى

يا كرز كاستيليا الأحمر

يا قلب كاستيليا الأحمر

هل تسمعوا صوت الطيور

يا كرز كاستيليا الأحمر

يا قلب كاستيليا الأحمر

انظر معى لون الزهور

يا كرز كاستيليا الأحمر

يا قلب كاستيليا الأحمر
اقرع إذن صوت الطبول
يا جيش كاستيليا الأحمر
اغضب فداءا للوطن..
يا أيها الجندى الجسور
لم يفلح الغناء الخارج من حنجرة مايوركا المختنقة بدموعها المحبوسة
اليوم الوضع يختلف أيتها الطفلة
رد عليها جيريد بنبرة تخلو من الحماسة رافضا الكرز الذى قدمته له مضيفا بعصبيته المعهودة
ليس هنالك شهية للطعام ولا للغناء يا مايوركا ولا لحديث النصر هذا الذى صار بلا معنى أيضا
لقد هرب الجميع يا مايوركا
اقترب منها ألكسو متحدثا بصوت خفيض، ألم تسمعى الخبر، لقد هربوا وتركونا وكاستيليا فى انتظار مصير محسوم
اهربى أنت أيضا قبل أن تجدى نفسك أسيرة لأحد جنود بيدرو يفعل بك ما يشاء
استسلمت مايوركا لأمر القائد ألكسو، واختفت عن الأنظار قليلا
عادت مايوركا من جديد تقذف اللهب لأبعد مدى تطاله عيون الجنود
لمح الجنود نجماتها المشتعلات فوق جبل جينوم
انفجرت إحداها في الهواء مخلفة وراءها دويا هائلا وفتات لهيب
ظن الجنود فى البداية أنها حيلة جديدة من جيش الشمال فبدأوا يُسرعون أكثر فى لملمة متعلقاتهم
قبل أن ينتهوا لمايوركا تعتلى فرسا من بين الأحصنة الهائمة فى أرض المعركة
وفيما بدا كما لو كان إشارة سحرية أطلقت سهما جديدا يحمل فى طرفه خيشا مبللا كالذى تصنع منه حقائب الطعام التى توزعها وأبيها فى فترت الراحة على الجنود
انطلق الخيش المبلل للسماء ليصيب النجمة المشتعلة تماما فى وسطها ويُطفئ اللهب
اندهش الجنود

ثم بدأوا يطلقون سخرياتهم
ما هذا يا مايوركا
هل هذا وقت ألعاب فتيات
لا وقت للمزاح..
قال ألكسو جادا، قلت ختبئ أنتى وأبيك فى مكان آمن
ربما استطعتى إطالة عمرك ولو لأيام
ردت بثقة، مايوركا لن تموت إلا هنا
على هذه الأرض
ولن يغادر أحدا موقعه إلا عندما تعود كاستيليا حرة
إذا كنتم ستذهبون لانتظار الموت مثل الفتيات الصغيرات فى بيوتكم
فسأظل هنا وحدى
أقاتل بتلك الألعاب الصبيانية التى لا تعجبكم
وجه ألكسو حديثه إليها بنبرة أكثر رقة متأثرا بلمعة عينيها بالدموع والحماسة، الأمر ليس أغنية يا مايوركا
استكمل جيريد الغاضب
هذه حرب
ولا حرب بلا قائد
لقد هرب الجميع
هل فهمتى
انتهت الحرب
خسرت كاستيليا
وانتهينا
قفزت مايوركا من فوق فرسها لتقف ممسكة بلجامه قائلة بثقة، لا.. لم ننتهِ،
فى جعبتنا السلاح وفى قلوبنا حب الوطن..

ما حاجتنا لأبناء القادة الجبناء الذين ما عرفوا عن بلدنا يوما سوى سرقة لحمها الطازج والمتاجرة بكرزها وشرفها فى آن واحد

راحت مايوركا تدور بين الجنود رافعة صوتها الناعم بالحديث أكثر شيء ممكنا لتُسمع الجنود الباقون بالمعسكر

دعونى أساعدكم

سنعيد بناء الجيش

سنصنع أسلحة جديدة

تحمس ألكسو لحديثها كمن وجد إبرة بكوم قش، وسألها كيف يا مايوركا؟! كيف؟! أنا أتمنى هذا أكثر منك ولكن كيف؟!

أجابت، لطالما عرفتم عن مايوركا اختراعاتها المبهرة

صحيح أن الجنود دائما ما كانوا لا يصدقون كيف تأتى هذه الصغيرة بأفكارها السحرية، تجيد ألعاب الحرب منذ صغرها

قذائف حارقة من خلاصات الزهور والأعشاب ... سهام بأوتار معالجة بزيوتها الخاصة تستطيع الوصول لأبعد مما تراه العين، تصنع من بذور وأخشاب الشجر سلاحا .. ومن الأقمشة والأصباغ والحبال سلاحا

تبدو لعبة تصميم الأسلحة مثل تزيين العرائس لمثيلاتها، تظل عدساتها التى صقلتها بنفسها من معالجة رمال بحر بارين أكبر معين لهم مكّنهم من التنبؤ بهجمات بيدرو في أوقات كثيرة

ربما تفلح هذه الصغيرة فى ما فشل فيه الكبار.. قال ألكسو لجيريد، ثم أضاف

لقد خسرنا كل شئ ولم يعد أمامنا غير أن نحاول ولو لآخر مرة قبل أن نموت

لان رأس جيريد قليلا ، صحيح أن لا شئ فى مظهرها يدفعهم للتفاؤل.. غير أن الإنهاك الذى أصابهم لم يدع مجالا للرفض أو الجدال

ذهب ثلاثتهم لمكان جانبي مستظلين بشجرة أكاسيا، لتبادل النقاش بجدية بعيدا عن الجنود

كفكفت مايوركا عن عيونها الخضراء الدموع، واستعادت بريق بشرتها المختلطة بالحمرة واستطردت فى شرح خطتها

لن يتوقع بيدرو أبدا أن كاستيليا يمكنها معاودة الهجوم فى الصباح

الصباح ؟! صاح ألكسو.. كيف يا مايوركا هذا جنون

ردت مسرعة بلهفة، ليس كالجنون الذى أصاب بيدرو وسيصيبنا به إن تركناه يدخل أرضنا بسهولة

صاح جيرد مستفهما وهل سيعجز بيدرو عن توقع هجومنا

فردت مايوركا بثقة، يعميه انتصاره عن كل شيء

***

حرب مايوركا

_ دائما ما كنت طفلة مختلفة منذ اللحظة الأولى لميلادها.. فى عينيكِ تلك اللمعة المدهشة التي تميز الملائكة والحالمون، حتى صوت صراخك كان مختلفا.. قال ليوبو الذى جاء مبتهجا لأخبار استئناف المعركة

_ ومن يحب مايوركا أكثر منك أيها الحكيم.. أنت من ربانى

_ لقد أحببتك يا ابنة هذه الأرض الطيبة كما أحبك الجميع .. أحبوا بكاءك طفلة كما أحبوا صوت غنائك عندما كبرت... مذهلة فى كل شئ تفعلينه يا مايوركا وفى كل يوم تكبرين فيه تزداد مهارتك

داخل الخيمة الملكية المعدّة فى السابق لاستراحة أبناء القادة أخرجت مايوركا لألكسو وجيريد جعبة مليئة بنماذج الأسلحة المتنوعة ليبدأ الجنود فى صنع مثيلاتها قائلة، أستطيع صنع سلاح بلا عدد حتى تقولون كفى يا مايوركا ما عدنا نرغب في أي سلاح ويمكننا هكذا معاودة الحرب

حسنا قال ألكسو يحفظ الجنود مواقعهم داخل المعركة ولا يحتاج الأمر لجهد كبير لترتيب المعركة

فقط ينقصنا السلاح .. كيف سنتمكن من صنع عدد يكفى لكل الجنود فى أسرع وقت؟

هذه مهمتى.. ردت مايوركا مبتهجة ثم أضافت فقط احتاج لمساعدة عاجلة

ستولى جيريد طبقا للخطة مهمة تسليح الجيش، قال سنحتاج إلى رماح وسهام جديدة لتحمل كرات اللهب، وقذائف لحاء شجر الأكاسيا السامة

هتفت مايوركا، أنا بالفعل لدى الكثير منها

ومن سيطلق نفير الحرب ؟! سأل ليوبو

نظر الجميع لصاحب بذلة الكرينتا الأخير الذى مازال هنا

إيزندر العجوز ابن سلالة القادة السبع المنبوذ منهم دائما لقربه من المزارعين.. لقد رحلوا جميعا وخلفوه ورائهم، فقد نُزع منه لقب الشريف، ومنع من حمله مجددا للأبد بعد اكتشاف اصابته بمرض يؤثر على قدراته العقلية، من يومها يحظى بحب وتعاطف الجنود وكره واستنكار واستهزاء القادة الذين لا يقبلون عيبا يمس الذات الملكية النبيلة للعائلات السبع، ومع هذا مازال يحتفظ بحقه في

ارتداء بذلة الكرينتا ويمكنه اطلاق صافرة الحرب.

ناداه ألكسو.. خبط على كتفه خبطة اهتزت لها النجوم الذهبية اللامعة التى تزينه وأطلق الغبار المنبعث من خيوطها فى الجو محدثا متعة خفية ابتسم لها جيريد ومايوركا وألكسو

_ إيزندر!

ستتزعم أنت الجيش فى المعركة القادمة فأنت أكبرنا سنا

اعتبرها إيزندر مزحة جديدة فانفعل متهتها

_ هل تركتم كل الخراب الذى لحق بنا، وتفرغتم للسخرية منى

إذا كان الوقت مناسب للضحك فلتذهبوا لتُضحِكوا أهل كاستيليا معكم بدلا من العويل الذى نفرت منه الطيور ذاتها..

حتى الطيور هربت ألا تلاحظون ذلك

أخذت مايوركا مهمة الكلام من ألكسو وقالت فى جدية

_ نحن نحتاجك حقا سيد إيزندر

لا تتخلى عنا

سحبته من يده وأرته السلاح الذى جهزته وشرحت له خطة الحرب

لمعت عينا إيزندر المحبتين لهذا الوطن، صاح متلعثما

_ حقا يا مايوركا ، سنحارب

أمسك بيدى مايوركا مطوحا في الهواء وساحبا إياها لمجاراته في القفز واللف حول ذاته وأردف قائلا

لقد هبطتى علينا من السماء ككرات لهبك لتنقذينا

تعلمين كم أكره هذه الحرب وأكره ذاك اليوم الذى دفعت دفعا للاشتراك بها

هدأ إيزندر وتحدث بجدية أكبر .. مهلا هل أنتم تريدون التضحية بى تريدونى توريطى!

لولا صلات القرابة البائسة التى تربطنى بالقادة السبع لما كنت فى هذه الورطة

ردت مايوركا سريعا، ليست ورطة سيد إيزندر لقد اختارتك لنا السماء.. وحدك من بينهم أبناء القصر الأحمر ما زال يجرى فى دمك حب هذه الأرض

قل إنك لن تخذلنا

التف إيزندر حول ذاته فى حركة دائرية بمساعدة حجمه الصغير وبطنه المستديرة حاول افتعال بعض الهيبة فبدا مثيرا للسخرية وهو يقول بنبرة مفخمة

هذه أول مرة يشعر فيها إيزندر بخطورته

ضحكت مايوركا قائلة

نعم إيزندر لطالما كنت مميزا فى بدلة الكرينتا الأنيقة بشرائطها الحمراء وأزرارها الذهبية اللامعة

أضاف ألكسو هامسا فى أذنها

نعم لولاها ما ميزه الجنود عن أشجار الأكاسيا القزمة

سمع إيزندر ما همس به ألكسو فاحمر وجهه غضبا وبدأ فى الدبيب على الأرض كالأطفال

أترين يا مايوركا لا يفعل العجوز إيزندر فى هذا المعسكر سوى إضحاك الجميع

شدت مايوركا على يديه

وهل هذا هدف سهل يا إيزندر!

رد العجوز، ليس سهلا علىّ، ومع هذا فأنا سعيد بذلك ، أوافق يا جميلة كاستيليا التى لا يمكن أن أرفض لها طلبا

رفع إيزندر قامته القصيرة، وأضاف بفخر صحيح أنى لم أرث أنا من قادة كاستيليا طول قامتهم أو جمال عيونهم الزيتونية... ولكن سأريك ما ستفعله بذلة الكرينتا الأخيرة فى هذه الحرب

قالت مايوركا بصوت يجمع الضحك والجدية معا

حسنا فعل القادة بتركك خلفهم يا إيزندر... بدونك تفقد كاستيليا الكثير المرح..

و صوت البوق.. وآخر الرجال الأنيقين ببذلة الكرينتا

***

الحرب من جديد

في الصباح التالى رفع إيزندر البوق إلى فمه وبدأ فى إطلاق صافرتين متواصلتين فيما يشبه النداء جاء على أثرهما باقى الجنود ليقف كل منهم فى ترتيبه المعروف يتوسطهم ألكسو وجيريد

قال إيزندر مغادرا، فعل إيزندر جلّ ما يستطيعه الآن بإمكانك شرح ما تريدين لهذين العابسين دائما

هل تكفى الأسلحة التى انتهينا من صنعها وجهت مايوركا سؤالها لألكسو ؟

نعم يا مايوركا

اليوم تملك كاستيليا أسلحة تكفى ليحمل كل جندى واحدا منها فى يده

لا يصدق الجنود ما يسمعونه .. سلاح جديد ومعركة جديدة!!

تدخل جيريد فى الحديث يا إلهنا الواحد ما كل هذه الأسلحة.. أين كانت تختبئ وقت نحتاجها فلا نجدها..أكاد أقسم أنى حملت جثث ضحايا فى هذه الحرب أكثر مما حملت السلاح

استيقظ الجميع على بوق الحرب الذى أطلقه إيزندر

حانت اللحظة المناسبة

تبادلت مايوركا حوارا طويلا مع ألكسو

_ الآن يا مايوركا

_ نعم الآن

_ ولكن مازلنا بحاجة لإعداد أنفسنا

لم يمض وقت طويلا

لم يتدرب الجنود علي استخدام السلاح جيدا بعد

_ لن ينتظر بيدرو أكثر من هذا، قالت مايوركا

سيفيق من وهم احتفالات النصر سريعا

إذا بدأ جيش الشمال بالهجوم فلن نستطيع صدهم، ولن يوقف بيدرو عن اجتثاث رؤوسنا جميعا شيئا

_ ولكن الهجوم بلا تدريب كاف للجنود سيقتلنا أيضا، نبهها جيريد لقد ذقنا ما يكفى من الموت

_ وسنذوق المزيد أيها القائد إن لم نكن البادئين بالهجوم، والآن،

انتقلت مايوركا بحوارها للجنود

هيا يا شجعان كاستيليا

كفى ترددا

سيساعدنا غرور النصر الذى أصاب بيدرو.. ستربكه المفاجأة

ليست أول معركة

يعرف كل منكم موقعه جيدا..

وهذه أرضكم تعرفون كل حبة رمل فيها ولن يخذلنا جبل جينوم وخندقه الحصين

التقط ألكسو أطراف حوارها الحماسى، رفع واحدا من الأسلحة الملقاة على الأرض قائلا؛

إن كان ينقصنا السلاح، فالآن وبفضلكم أيها الشجعان استطعنا إنجاز المهمة

خرج واحدا من الجنود سائلا مايوركا، وهل أنت واثقة من أسلحتك إلى هذا الحد يا مايوركا؟!

أخذت مايوركا سهما جديدا وربطت فيه كرة اللهب .. ضربتها لتلمع فى السماء ثم أعادت استخدام الخيش المبلل لتطفئ النار قبل أن تهبط على الأرض

تهلل وجه الجندى قائلا، حسنا يستحسن أن نذهب لنذيق بيدرو بعض اللهيب قبل أن يأتى ليحرقنا به على كل حال

ردت مايوركا بثقة وإصرار يطلان من عينيها اللامعتين من أثر ضوء اللهيب ورائحة احتراق الخيش

لن يأتى بيدرو

لن تحترق كاستيليا أبدا

مادامت تملك كرزها الشهى وصوت غناء أهلها الطيبيون وأنتم..

أنتم أيها الشجعان

إلى المعركة

ردد الجنود الهتاف خلفها

" إلى المعركة"

اندفعت مايوركا فى هتافاتها الحماسية بينما لاح الرضاء على وجه الجنود وهم يرددون من خلفها

من أجل كاستيليا الحبيبة

من أجل كاستيليا الحبيبة

فلتحيا أرض الغناء والكرز

فلتحيا أرض الغناء والكرز

شرحت مايوركا للجنود خطة الهجوم، وأعادت توضيح طريقة استخدام أسلحتها الجديدة، سهلة وفعالة وما يميزها أن جيش بيدرو لا يعرف عنها شيئا لم ير مثلها من قبل بأية معركة

ألقت تعليماتها، لا تنسوا أيها الشجعان أن يحمل كل منكم فى جيبه قطع الخيش لتلافى أثر ارتداد نجوم اللهب باتجاه جيش كاستيليا فى حال تصدى جنود الشمال لها

أعددت العدة لكل شئ حقا يا مايوركا .. قال لها ليوبو

فردت بصوت وجل يغلفه القلق، ليتنى أكون قد استطعت ذلك حقا أيها الحكيم

استعاد الجنود حماستهم القديمة وبدا كما لو كانت هى المعركة الأولى فى تاريخ كاستيليا

لن يصدق أحدا أن هذا الجيش هو نفسه الذى بات مهزوما مستسلما بالأمس مقرا بالهزيمة وانتظار الموت عارا بعد خسارة أرضه

***

مايوركا تنتصر

بدأت المعركة بحماس من جنود كاستيليا، قذائف مايوركا سهلة الاستخدام حقا قوية المفعول وجنود بيدرو الثملين لا يدركون ما الذى يحدث لهم

ينهارون متأثرين بتساقط اللهب عليهم فتلتقطهم سهام جنود كاستيليا من خلف خندق الرووم بسرعة جاء بيدرو بعد أن وصلته استغاثات الجنود

لا يبدو الجنرال فى حالته الطبيعية بمظهره غير المهندم فتأثير السهر والشراب واضح جدا على حركته، يحرك سيفه يمينا ويسارا بغير هدف ويتبعه الجنود فى حركته دون أن يفهموا حقا ما الذى يفعله قائدهم

الجنود يتساقطون وبيدرو غائب عن الوعى

وفجأة أصدر قراره بالتراجع

هرب جنود بيدرو

وخلفهم عاد الجنرال إلى بيته فى حال غير ما خرج به

آآه يا مايوركا

ماذا فعلتى؟؟

كان جديرا بك الجلوس فى موضع آخر ... هناك حيث يجمع بيدرو أشلاء أعدائه فى الركن الجنوبى من جبل جينوم ليرهب بها العالم ويباهى بها أمام جنوده

ذهب بيدرو إلى موقعته الأولى أمام مايوركا وهو مستعد تماما لاجتثاث رأسها ليملأ بها هذا الفراغ الباقى فوق قمة الجبل

ليست الخمر بما يمكن أن يعصف بعقل جنرال مملكة الشمال

صرخ فى جنوده صرخة يعرفونها جيدا عندما أخبره القائد فورتان أن كاستيليا أعادت الهجوم بقيادة فتاة تدعى "مايوركا"

حسنا يا فورتان، قال له هناك متسع فوق جبل جينوم لرأس فتاة

أقسم أن يزين رأس مايوركا هذه قمة الجبل. كان الأمر يحتاج حقا قطع رأس فتاة لحسم هذه المعركة

كيف سيقضى أشباح كاستيليا المعلقون فوقه ليالهم إذن، ضحك ضحكته المرعبة ثم أمر قائده

اذهب فورتان وأعد كل شئ

سيكون درسا قاسيا لا لأجل الانتصار فقط ولكن ثأرا لإهانتهم جيش الشمال العظيم بإضطراره للوقوف أمام إمرأة

ذهب فورتان لتنفيذ أوامر الجنرال

تمم بيدرو بنفسه على جاهزية الجيش واتجه فى مقدمتهم للساحة

بدأت مايوركا الهجوم بنفسها

همس بيدرو لنفسه تعجبا من حماقة هذه الفتاة الصغيرة التى تلقى بجيشها إلى حتفه.. ومن غباء أهل كاستيليا الذين سمحوا لها بقيادتهم

هى رقصة الموت إذا يا كاستيليا..

فامنحينى وقتا مسليا ولطيفا أيتها البلدة العنيدة.

انطلق جيش الشمال مندفعا نحو خندق الرووم الذى تحتمى به كاستيليا محاولا اقتحامه أو إجبار الكاستيلين على إغلاق فتحته والاختباء وراءه كعادتهم

غير أن جيش كاستيليا باغت جنود الشمال بقذائف لحاء شجر الأكاسيا السام التى راحت تنفجر فى وجه جنود بيدرو ليتقهقروا واحدا تلو الآخر لا تؤثر فيهم صرخات بيدرو المهيبة هذه المرة..

وجها لوجه وقفت مايوركا أمام بيدروالذى أشهر سيفه وانطلق بأقصى قوته ليجتث رأسها

تسمّر الجنرال فى مكانه وسط حيرة مايوركا التى لم تُعدّ خطتها لهذه اللحظة ،لم تستخدم سيفا حقيقيا بهذا الثقل من قبل، كل ما لديها من فنون الحرب هو الحيلة واللعب بأسلحتها، وسيوفها المصنوعة من أخشاب الشجر

استطاعت تشتيت جنود بيدرو ودفعهم للهرب فعلا، أما لقاءا وجها لوجه أمام أعظم قادة جيوش العالم.

هذا ما لم تحسب له مايوركا حسابها

سقط السيف الثقيل من يدها لمجرد رؤية الجنرال بيدرو المهيب أمامها

كان بيدرو مهيبا حقا يشبه آلهة الحرب الذين تجسدهم التماثيل التى تمتلأ بها حديقة القصر الأحمر غير أنه يبدو أكثر جاذبية منهم بخصلات شعره السوداء الكثيفة اللامعة، عينيه تحملان قوة صقر يودى بفريسته بمجرد النظر إليها، جبهته الواسعة، وأكتافه العريضة، وزيه المبالغ فى أناقته لساحة حرب.. تسبق جاذبية وجهه كل تفاصيل ملامحه الغائمة لبُعد مكانه عنها، ومع هذا فهو لا تخطئه عين فى المعركة بهيئته المهيبة ببذلة حرب زاهية تماما لا يمكن أن تكون قد سبق وتلوثت بدماء أو تراب المعارك يلمع سيفه البلاتينى المرصع بالأحجار الكريمة فى يده بينما يلوّح هو به بتمكن طفل يلهو بلعبته _ لولا أنها رأته بنفسها يخرج من بين تراب المعركة لظنته يؤدى دورا تمثيليا لمحارب رومانى قديم فى أعظم مسارح العالم بمظهره المنمق هذا

سمعت صوت هتافه فى الجنود يدعوهم للثبات فأفاقت من شكها

حسنا إن شراسة وجهه وصوت صرخته الذى يصم الآذان يؤكدان تماما أنه هو "الجنرال"

قائد جيوش مملكة الشمال العظيم

اقترب منها بيدرو حتى استطاعت أن تستبين ملامحه بوضوح أكبر..

لم يعد هناك أدنى شك فى أن هذا هو بيدرو ذاته الذى تحكى عنه النساء

سمعت إحدى زوجات القادة ذات يوم تتمنى لو قتل بيدرو زوجها وعاد ليأخذها أسيرة.. أثارت غضبها كيف تتمنى هزيمة زوجها تحت تأثير الافتتان بوسامة عدوها .. اقترب بيدرو منها أكثر بما لا يدع مجالا لتكذيب شائعات وسامته

تنطق عيناه بإيحاءات الخلود بسواد رموشه الكثيفة كشعره، وترمى بشرارات مغرية بالاقتراب لكل من ينظر إليه رغم حدة نظرته...أنف مستقيم رغم اعوجاج آخره، وثغر يزيده الغضب روعة

تتطاير خصلات شعره وراء ظهره كلما التفت أو تحرك بين أرجاء الساحة الواسعة

هزت مايوركا رأسها لتفيق من الأثر السحرى الذى تركته عليها ملامح بيدرو همست لنفسها بحقك يا إلهنا الواحد

كيف يخفى كل هذا الجمال الذى خلقته يدك الكريمة القبح والظلم الذين يعيث فيهما شخصا كهذا، وهل تغفر الملامح الجميلة لأصحابها خطاياهم ؟!

كلا و الله

كما أن هذه ليست خطيئة تغتفر يا جنرال..

هذه أرضنا..

إنه الوطن...

لا شئ يمكن لسحر طلتك هنا أن يفعله

أصابها التشنج تحت تأثير العصبية والغضب الذين اجتاحا نفسها مسترجعة كل الأيام الصعبة التى ذاقتها كاستيليا على يد هذا الرجل

حملت السيف بكل قوتها غير أنه فاجأها ثقل وزنه وهي تحاول عبثا رفعه فى وجه الجنرال وبدءه بالهجوم، أطلقت ضربة واهية ضعيفة تماما كحجم خبراتها وجسدها الضئيل أمام حنكة الجنرال الذى سرعان ما سيطر على المواجهة..

بدأ بيدرو هجومه بضحكة استهزاء خرجت منه مجلجلة _كعادته فى الضحك_ حوّلته إلى عملاق قادم من أساطير وحوش الغابات التى طالما خافت منها مايوركا فى طفولتها

أحقا؟هى أنت؟؟! أنت من أتوا بكِ لتحاربنى؟!

أشهر بيدرو سيفه فى وجهها استعدادا لقطع رقبتها فسقط السيف من يدها .. تبعثرت هيئتها ولم يعد ممكنا أن تستمر فى الإدعاء أمام بيدرو العظيم بدور البطولة سقط قناعها هو الآخر أثناء محاولتها التقاط السيف الملقىّ تماما تحت أقدام الجنرال

أعادتها نظرة بيدرو الحادة وصوت ضحكته المرعب لوضعها القديم فى لحظة

"مايوركا" الطفلة الصغيرة ابنة المزارع التى تطرب الجنود بصوتها كل ليلة

ابتسمت بحكم عادتها ابتسامة فى غير محلها.. سحبت الابتسامة سريعا محاولة إدعاء القوة والغضب ورسم الجدية على وجهها لتواجه شراسة ملامح الجنرال الذى سكت فجأة ثم فوجئت به ساكنا فى مكانه

لم يقتلها!!

انتظر حتى أعادت التقاط سيفها غير عابئ بارتباكها، نظر إليها مدة لم تحسبها مايوركا جيدا ثم التفت إلى الوراء مغادرا ليلحق بجيشه

كاستيليا تحتفل

تحسست مايوركا رأسها لتتأكد أنه ما زال فى مكانه

وكأن عمرا كاملا مرّ من هنا.. خلت الساحة تقريبا من جيش كاستيليا الذى عاد للاحتماء بمخبأه بعد نفاذ كرات اللهب التى بالكاد كانت كافية خاصة مع إساءة استخدام العديد من الجنود لها وضياع الكثير منها بلا هدف

وجدت نفسها وحيدة وسيفها الثقيل فوق فرسها الذى لم ينتظر منها أن تعطيه أوامر الالتفات للخلف

استدار حاملا إياها باتجاه خندق الروووم

عادت مايوركا إلى كاستيليا

الجميع يحتفل، اختلط الجنود بالعامة الذين ملئوا أرجاء المعسكر قادمين لمؤازرة جيشهم، ارتفعت الأصوات مهللة

نجحنا

نجحتى يا مايوركا

انتصرت كاستيليا

هرب جيش بيدرو

رفع الجميع كوؤس نبيذ الكرز ، إنه طعم النصر يا كاستيليا

تذوقيه للمرة الأولى إذن

هتافات النصر والاحتفال ملأت السماء الصافية ، وبينما حملت نسمات ربيع كاستيليا فرحة النصر لكل أهلها داخل المعسكر وخارجه

وحدها مايوركا تعرف أنها بالكاد عادت برأسها سليمة فوق جسمها.. عادت لخيمة المؤون التى تعيش فيها وأبيها.. اختلت بنفسها تسائلها

كان بإمكان بيدرو أن يقتلها بكل سهولة

لماذا لم يفعل؟؟

حتما لديه خطة أكبر..

ربما يخطط لإمهالنا وقتا وإعداد خطة لقتلنا جميعا فى ضربة واحدة

بيدرو لا يرحم أعدائه .. ويستمتع بالتفنن فى أساليب قتلهم

أحست مايوركا بإحساس مخيف على ذكر سيرة القتل.. إحساس لم يدر ببالها من قبل.. إذا ما قابل الجنود جيش بيدرو المرة القادمة وانتقم منهم بقتلهم؛ هل ستكون هى من قتلتهم؟؟

اختنقت همساتها بالدموع تحاول كتمها حتى لا تسمع المحتفلين بالخارج

آآه يا مايوركا ماذا فعلتى؟! خرج الصوت الداخلى لضميرها رغما عنها، لم تعد تحتمل كتمان تخوفاتها

كل هذه السنوات بين الجنود .. كل هذه المعارك الطويلة ولا تعرفين كيف يكون هذا الشعور قاسيا عندما يموت الجنود؟!

اندفعت مايوركا فى نوبة بكاء مريرة لمجرد فكرة أن يموت الجنود بسببها

يلاحقها شعور بالندم والتهور الذى انجرفت فيه

- فى كل الأحوال كانت هى المعركة الأخيرة..كنا سنموت حتما بك أو بدونك يا مايوركا

فاجأها صوت ليوبو الحكيم الذى ظهر أمامها بقامته المحنية بفعل الزمن وعصاه الخشبية التى يستند عليها وخصلات شعره الطويلة البيضاء

حكيما آتيا من عالم السحر بكل ما يحمله من غموض وحكمة ودهاء

دائما ما كان يزورهما الحكيم هي وأبيها فى الخيمة لإعطاء أوامره بتجهيز ما يلزم للجنود من غذاء، أو لطلب مايوركا لإحياء حفلات السمر التى كان يقيمها بأمر القادة للترفيه عنهم بين المعارك

محاولا طمأنتها مسح دموعها المنهمرة بيديه وقال

أعلم تماما ما تشعرين به

جميعنا شعرنا بغصة الدماء وهى تسيل لأول مرة أمامنا وكأنها تجرى بحلوقنا.. جميعنا مررنا بالأسى والبكاء على كل روح تسقط أمامنا

ستعتادين يا مايوركا على منظر الضحايا .. وستتعلمين تذوق طعم الدماء

هل ورطت نفسى أيها الحكيم و ورطت جنود كاستيليا معى؟ سألته مايوركا قائلة بوهن

كانت المعركة تبدو سهلة وأنا هنا بهذه الخيمة أبيع الطعام للجنود

أما وقد رأيت بيدرو بنفسى ..لا أعلم لماذا أشفق فى هذه اللحظة على كل من وقف أمامه من القادة السابقين

كم هو مهيب أيها الحكيم.. كم هو مهيب

لقد كاد يقتلنى ولكنه تراجع فى آخر لحظة لسبب لا أعرفه

ازداد بكاء مايوركا وعلا صوت نحيبها

كان الجنود محقون .. أنا طفلة ساذجة

راح ليوبو يتحسس خصلات شعرها الناعمة ثم قال

منذ أول لحظة وضعت فيها يدى على خصلات شعرك هذه يا صغيرة ، حين جاء بك أبيك لمنحك البركة يوم ميلادك، حملتك بين يدىّ لهدهدتك، توقفتى عن البكاء نظرت فى عينيك ورأيت فيكى هذا اليوم الذى نقف فيه الآن يا مايوركا

أتصدقين هذا!

لقد رأيت هذا اليوم يُطلّ من عينيك وقتها

لهذه الأرض الطيبة دَين على الدنيا فهى حملت فى رحمها الخصب بذورا تسد جوع سكان الأرض وخواء أرواحهم

لطالما منحت كاستيليا هذا العالم دائما الغذاء للأبدان والقوة للأرواح

منذ سمعت صراخك الأول يا مايوركا وأنا أشعر أنك نبتة هذه الأرض التى ستعيد إصلاح الحال الذى تبدل بها

توقفت مايوركا عن البكاء وابتسمت ليضئ وجهها بابتسامتها الساحرة

دائما ما كنت تسحرنى بحكاياتك الأسطورية أيها الحكيم

إذا كنت اليوم حالمة حد الجنون فهو بسببك وبسبب تعلقى فى ذيلك لأسمع عنك منذ مولدى

تحول وجه ليوبو لجدية أكبر

ليست حكاية يا مايوركا وليس كلامى هذا سحرا

أنا أنظر للنجوم كل ليلة منذ بدأت هذه المعركة و انتظر منها أن تقول لى كيف الخلاص

أعلم أن بلادى لم تفعل سوى إنبات الخير، وأقول لنفسى كلا .. لن يكون عقابها كل هذه السنون العجاف من القتل والدمار والعدوان ..

لكم رجوت الإله يا مايوركا أن يرسل علينا من السماء من يستطيع أن يُعيد لهذه البلدة حياتها الرائعة

أن يعيدها كاستيليا أرض الغناء والكرز

ولكن السماء لا ترسل بذورا ، البذور تنبت فى الأرض، نرويها عرقا وتعبا حتى نحصد يوما ما نتمناه

ألم تسألى يوما لماذا علمتك وحدك يا مايوركا كل شئ.. لطالما أحببت لهفتك على التعلم

تعلمين أن القادة يمنعون نقل العلوم لأبناء المزارعين، شيئا خفيا كان يدعونى لإلقاء بذرة العلم في داخلك

اليوم فقط أرى فيكِ ما تعبت لأجله كل هذه السنوات

أرى دعائى كل ليلة لأجل هذه البلدة الطيبة يتحقق أخيرا، وأراك أنتِ وقد كبرتِ لتصبحين شجرة تظلل على الوطن تحميه من لهيب الزمن الحارق الذى أفسد جمال وجهه

تجلّت على مايوركا علامات الامتنان التى تكنها لليوبو .. سحبت يده إلى فمها وقبّلتها

_ وإن شكرتك عمرى كله يا حكيم لن يكفى

لقد حافظت على سرنا هذا كما أمرتنى كل هذه السنوات

رد ليوبو، واليوم يا مايوركا هذا سر آخر

_ أنت الأميرة الموعودة التي كنتِ أرى صورتها مرسومة بين النجوم

امضى فى طريقك يحميكِ الإله الواحد

النصر قادم يا مايوركا

مكتوب هذا النصر على جبينك منذ أول لحظة لميلادك

كنت دائما ما أراه

والآن

لا تفكرى فى شئ غير النصر.

النصر يا مايوركا.. وبقاء كاستيليا

لقد وهبنا أرواحنا جميعا فداء لهذا الوطن..

قاطعت مايوركا حديثه بلهفة، ليتنى أكون قدر هذا الحلم حقا.. ليتنى أستطيع افتداء أرواح جنود كاستيليا بروحى

أجابها ليوبو، الموت ليس سيئا يا مايوركا .. أو على الأقل هو ليس أسوأ ما ينتظرنا

الحقيقة هى أن الجنود يسعدون بالموت فى سبيل أوطانهم المنتصرة أكثر من سعادتهم بالحياة فيها وهى مهزومة

***

هزيمة الجنرال

هدأت مايوركا بالفعل من تأثير كلمات الحكيم ليوبو

وبعد أن غادرها خلدت لنوم عميق.. لتستيقظ فى الصباح الباكر على أصوات احتفالات الجنود المستمرة منذ ليلة أمس

ألم تناموا قليلا؟! سألت ألكسو

فأجابها لم تذق كاستيليا فرحة النصر منذ أعوام كثيرة

الاحتفال بالنصر أُقوى من النصر ذاته

دعيهم يواصلون الليل بالنهار فرحا يا مايوركا.. من يعرف كم ستدوم هذه الفرحة على النقيض تماما

كان جنود بيدرو يستشيطون غضبا .. يتوعدون بالانتقام من كل جندى فى كاستيليا

كيف ابتلعوا الطعم؟!، خدعتهم الطفلة مايوركا

رفض بيدرو أن يدخل عليه أحد فى خلوته

لا...

لا يشعر بالهزيمة كما يتصور جنوده، كان فى إمكانه أن ينهى المعركة تماما كما يفعل كل مرة..

كان يمكن لكاستيليا أن تبيت الليلة ذليلة تحت قدميه، لولا عينى مايوركا التى داهمت قلبه، وشلّت يده، لم يستطع بيدرو أن يفعل أكثر من أن يراقبها وهى تنحنى فى ارتباك طفلة لتستعيد سيفها ثم تحاول مستمرة فى ارتباكها أن تعيد اللثام الذى يغطى وجهها

ليتك تعرفين شيئا عن فنون الحرب حقا يا مايوركا، ليتك استطعتى إحكام يدك على السيف، والسيطرة على لثام وجهك

لاستطعت وقتها هزيمتك بكل سهولة، لم يكن ليثنينى شيئا عن قطع رأسك

لولا لثامك الذى سقط كاشفا عن وجه لم تخطئ الآلهة فى تقسيم ملامحه ولو قدر قلامة ظفر

ما كل هذه الدقة التى صاغت الآلهة بها ملامحك يا فتاة.. جبهة صغيرة مناسبة تماما لحاجبين يعلنان عن نفسهما بوضوح شديد يخالفان فى سوادهما العميق شعرك الكستنائى الداكن يسكن

تحتهما فى أمان عيون زيتونية ذات أهداب سوداء كثيفة كحاجبيكِ .. تصلح عيونك هذه محورا للكون يا مايوركا وليس لدائرة صغيرة كوجهك الملائكى هذا

أنف أميرة، لا يمكن وصف أنف مايوركا المستقيم بشموخ بغير أنه أنف أميرة.

لن يصف أى أحد رأى ابنة المزارع هذه ببشرتها الحنطية المشرقة كأشعة الشمس وقد تزينت بالزى العسكرى بوصف يليق بمظهرها الجديد سوى أنها تبدو كأميرة حقيقية سليلة ملوك حتما

تذكر بيدرو ابتسامتها المضطربة .. وعاد يخاطب نفسه مجددا، مستكملا وصف ملامحها التي فتنته

شفتاكى يا مايوركا

وهل كانا ليخطئا كل هذا الجهد الذى بذلته الآلهة فى صياغه ملامحك؟!

.. كلا يا مايوركا.. لثغرك نفس روعة وبهاء عينيكِ وأكثر

... لا ..

ليس هنالك أروع من عينيكِ

قضى بيدرو ليلته حائرا فى وصف جمال وجه مايوركا.. أى من ملامحها الدقيقة أوقعه صريع هواها فى لحظة غفل فيها عقل الجنرال عن وعيه مُكرهاً... استغرق بيدرو فى ذكرياته مع لقاء مايوركا حتى وجد نفسه يضحك بصوت عالٍ شديد ضحكته المجلجلة المعروفة عنه إثر مداهمة لحظة ارتباكها الطفولى وهى تنحنى لالتقاط السيف لهذا الجدال الدائر فى داخله حولها، أوقف نشوته إحساس الشفقة الذى داهمه نحوها

آآآه

كان يليق بك ثوب طفلة مُزين بالورود في ليلة عيد يا مايوركا. وليس هذا الثوب العسكرى الردئ الذى ترتدينه.. لا تليق ثياب الحرب بجمالك

تعالى صوت صراخ الجنود ونحيبهم بالخارج فى الخارج إثر سماعهم لصوت الجنرال العالى الذى ظنوه حتما صراخا ونحيبا للقائد العظيم الذى عاد مهزما لأول مرة فى تاريخه من معركة

تجاهل بيدرو الأمر، واسترخى فى سريره تعلو وجهه ابتسامة عريضة وراح فى حلم يتخيل فيه مايوركا فى فستانها الوردى تلهو وتجرى كالأطفال تلعب معه ألعاب الحرب التى كان يعشقها صغيرا

طرقات عالية على الباب وهمهمات من الجنود

_ لماذا لايرد؟

_ هل مات "الجنرال"؟!

مات "الجنرال" حقا متأثرا بأصابع مايوركا الطفلة تفتعل إغماد سيفها الخشبى داخل صدره فى حلمه الطويل...

وفى الحقيقة

راح هو فى نوم هادئ عميق

لا يليق بقائد مهزوم ؟!

نعم ..

غير أنه يليق جدا بعاشق سقط توه فى بئر هوى فريد من نوعه يبدو عظيما جدا فى روعته تماما كعظمة وهيبة الجنرال.

ا

وفى الصباح التالى

استيقظ بيدرو ناسيا أمر المعركة والهزيمة... حتى صدمه صوت مليسا زوجته الحاد كالعادة تصرخ وتندب فأعادته لأرض الواقع مرة أخرى ، وأعادت لملامحه جمودها المعتاد

كنا نخشى أن يكون قد أصابك مكروه يا بيدرو

قضينا الليل كله ننتحب على بابك وأنت نائم!!

هل حقا انهزم جيش مملكة الشمال أمام إمرأة؟!، راحت تسأله وتهزه بعنف

قل لى يا بيدرو أن لديك سرا لتفسير ما حدث

أنا لا أصدق أنك تراجعت أمام جرذة كاستيلية جرباء

تدافعت الشتائم من فم مليسا لوصف مايوركا، وبيدرو يجرى داخل القصر من حجرة لأخرى محاولا الهرب منها

صه يا امرأة ..أنت لا تعرفين شيئا

أنت لم تريها

لم ترى جمالها

هذه الجرذة الكاستيلية هى أجمل ما رأت عيون بيدرو فى عمره الطويل

حدّث نفسه ثم نظر لمليسا وملامحها الغاضبة

كفاكى صوتا عاليا يا مليسا

اتركى الأمر لأهله

أفلت كتفه من يديها بقسوة قائلا، هل ظننت حقا أنك من سينصح بيدرو بما يفعله؟!

سكتت مليسا وعادت تحاول تلطيف كلماتها لتؤكد تقديرها وثقتها فى بيدرو وحنكته

بينما تركها هو مغادرا باتجاه قاعة مجلسه

أرسل بيدرو فى طلب فورتان، جاء مسرعا ومَثَل أمامه منكسا رأسه

ارفع رأسك أيها القائد وجهزّ سرية من الجنود سننطلق نحو جبل جينوم الآن

الآن

نعم يا فورتان، هيا سريعا

ذهب فورتان وعاد سريعا ببضعة جنود اصطحبهم بيدرو واتجه إلى ساحة قرص الشمس، وقف أمام جبل جينوم متأملا

كيف استطاعت مايوركا بجنودها صعود الجبل العصىّ ، فطبيعته الترابية جعلت من تسلقه أمرا عبثيا وإلا لكان بيدرو أول الواقفين على قمته الآن

لم يجد بيدرو ردا لدى قائده فخاطب جينوم قائلا، حسنا أيها الجبل الوفى فلتظل على عهدك لكاستيليا بالحفاظ على أسرارها، حتى يملأ بيدرو فتحات ترابك برؤوس أهلها، فلتحمهم إذن بداخلك وقتها كما تشاء من الزمان فلن ينتظر بيدرو طويلا ليعرف

خياران وحيدان للاستيلاء على كاستيليا، إما أن يصعد بجنوده جبل جينوم وينقض عليهم مع ما فى هذا من إرهاق للجنود وإهدار لطاقتهم، سيصل الجنود مهزومين إلى قمة الجبل قبل أن تبدأ المعركة

أو أن يعد أسطولا بحريا ويلتف من خلاله حول كاستيليا لإحكام سيطرته عليها من الجانب الآخر، جهة بحر بارين

وهو أمرا لطالما رآه معقدا، كما أن كاستيليا لا تستحق كل هذه المعاناة

آآه كاد الأمر ينتهى قال لنفسه

لولا عناد هذه الصغيرة التى ظهرت من العدم

مازال بيدرو يرى المعركة سهلة بل وأكثر إغراءا من ذى قبل

سيهزم جيش كاستيليا ويضمها لملكه، وسيهزم مايوركا ويضمها إلى بلاطه.. وقتها سينتقم من هزيمتها له على طريقته كرجل لم تهزه إمرأة بجمالها من قبل

بات بيدرو ليلته بعد أن عاد من الساحة يفكر فى طريقة ليهزم بها مايوركا..

لا ليست الهزيمة العسكرية هى ما يحلم به.

لقد أصبحت الحرب ممتعة الآن.. يود بيدرو لو تستمر هذه المعركة للأبد.

عاد الجنرال وجنوده من رحلة الجبل دون أن يستطيعوا تمييز سر النعال المدببة التى ابتكرتها مايوركا ليتمكن الجنود من خلالها من صعود جبل جينوم وقذف جيش الشمال بنجوم اللهب

ولو.. يا مايوركا

صعود الجبل عملا انتحاريا مهما كان الأمر لن تجرئى عليه مرة أخرى

غدا نعاود الكرة.. قال لفورتان

غدا يا جنرال؟

قطعا غدا

وهل يمكن أن تبيت مملكة الشمال مهزومة أكثر من ليلة واحدة

حسم بيدرو الأمر

وعاد لنومه يحلم بالنصر وبكاستيليا راكعة تحت قدميها،

وبها

مايوركا

***

المعركة الثانية

فوجئت كاستيليا بجيش الشمال مندفعا باتجاه فتحة خندق الروم يحاول اختراقها كعادته، أنقذتهم إشارات جنود المراقبة الذين لم يغادروا أماكنهم بمراياهم العاكسة لحسن الحظ.. استطاع جيش كاستيليا نقل المعركة لخارج الحدود.. إلى الساحة، والحفاظ على الخندق كالعادة حاملين ما استطاعوا الانتهاء منه من السلاح

بدأوا رشق جنود بيدرو بقذائف لحاء الأكاسيا، ونجوم اللهب المصنوعة على عجل لم يفلح الكثير منها فى الاشتعال وبدت كلعبة مسلية لجنود بيدرو وهم يتفادونها مرة ويصطادونها بسهامهم مرة أخرى ويتلاعبون بها فى الهواء مرات ومرات

تبدو المعركة كلعبة لجنود الشمال

انهزمت كاستيليا

لا بفعل هجوم جيش بيدرو الشرس وحده ولكن باستهتار جنودها الذين كانوا مازالوا غير عابئين بالموقف

تبدو لهم حربهم مع مايوركا كرقصة الموت الأخيرة

مستعدون تماما لنزف آخر نقطة من دمائهم

نعم ..

ولكن ليستسلموا بعدها لموتٍ مريح ينهى كل هذه السنوات من الحرب المتواصلة.

أما النصر!

ننتصر على مملكة الشمال؟!

لا يصدق جيش كاستيليا نفسه هذه المعجزة

حارب جيش بيدرو بشراسة فى القتال، حالة كرّ وفرّ أرهقت جنود كاستيليا المتعبين سلفا

أمرت مايوركا الجنود بالانسحاب للخلف فورا.. البعض انصاع للأمر غير أن الأكثرية لم تعرها أى انتباه

بدا جيش كاستيليا كفئران مذعورة فعلا كما يصفهم بيدرو دائما البعض يهاجم والبعض يفرّ

والجميع يصرخ فى الهواء

عن كثب وقف بيدرو يتأمل مايوركا تصرخ فى الجنود مبتسما... وفى لحظة قريبة جدا من حسم المعركة أمر جنوده بإشارة يعرفونها جيدا من يده بالتوقف والعودة للوراء

وسط عجب ودهشة الجنود، انسحبوا جميعا مطيعين أمر بيدرو

عاد بيدرو لمعسكره محمولا على الأكتاف كعادة جنوده معه بعد فوزه فى كل معركة

يرددون الهتافات باسمه وباسم خوان العظيم وباسم مملكة الشمال

هكذا عاد كل شئ لوضعه، قال فورتان

لماذا لم تزيح رأسها عن جسدها يا جنرال؟،حسنا فى المرة القادمة سيكون رأس هذه الكاستيلية الساذجة بين أيدينا حتما يا سيدى

اتركه لنا يا جنرال قليلا نلعب به قبل أن تضيفه لقمة جبل جينوم

يسمع بيدرو أسئلة فورتان وهتافات الجنود ومزاحهم بمزاج غير رائق محاولا الإفلات من كل هذا الصخب

ادّعى حاجته للراحة ما أن وصل للقصر دخل غرفته وأغلق الباب خلفه... حاولت مليسا الدخول فمنعها، استجابت لطلبه ومضت تشارك الجنود احتفالاتهم

ثم اختفى!

كيف خرج بيدرو ومتى عاد لم يلاحظ أحدا ولا حتى مليسا نفسها، أبحر بمركبه الخاص باتجاه بحر بارين

وعند الشاطئ المواجه لكاستيليا ترجل من المركب لتلمس قدمه رمال كاستيليا البيضاء لأول مرة

لطالما حلم بيدرو بهذه اللحظة

ولكن ليس هكذا

ليس متخفيا فى ثياب عجوز يتحسس موضع قدمه حتى لا يحدث صوتا يلفت إليه الأنظار

وإنما متقدما جنوده يضربون بأرجلهم الأرض لتهتف رمال البحر باسم خوان العظيم

قصير جدا الشاطئ الرملى حتى أنه لم يتسع ليتسكمل بيدرو أحلامه العريضة التى تملأ ذهنه

عن إحكام السيطرة على بلاد مملكة الشمال وضمها جميعا تحت ملكه كما كانت فى العهد السابق للجد الأكبر خوان العظيم الذى قاد حملة انتصارات عسكرية سابقة لتوسعة ملكه ومن بينها كاستيليا قبل أن يحررها أجداد القادة السبع، أطلق خوان علي مملكته اسم مملكة الشمال.. ودامت سيطرته عليها خمسون عاما هى مدة حكمه وحكم ابنه الملك خوان الثانى من بعده ثم واحدة فواحدة انفرطت حبات عقد المملكة مع ضعف الملوك التاليين وحركات التمرد التى ملأت أرجاء المملكة

لم يتبق سوى جاريسا وسيداد موطنه الأصلى حيث نشأ بيدرو، وأرض السيدر والتى هى موطن زوجته مليسا

ولد بيدرو ليكون حاكما طبقا للترتيب المتسلسل لأحفاد خوان العظيم

لم يقنع بيدرو بجاريسا وسيداد فسعى للتحالف مع أرض السيدر بزواجه من مليسا ابنة حكيمها وملكها

ثم ومنذ زواجه منها وأحلام بيدرو تتسع يوما بعد يوم تواصلت معاركه ربما بفعل دعم الحكيم وابنته

إلا أن الأكيد أن بيدرو كان حقا جنرال عظيم يعرف كيف يسرق النصر من فم أشرس أعدائه

انتصر على البلاد التى صادفها فى طريقه وضمها واحدة بعد أخرى

وبقى حلمه الأكبر بضم كاستيليا العنيدة

أعد بيدرو مركبه الخاص بنفسه منذ زمن وبعد كل انتصار يذهب فى جولة بمفرده لا يشاركه فيها غير حلمه العظيم ليقف هنا عند حدود الشاطئ الكاستيلي يتأمل نفسه فى انعكاس ضوء القمر على مياه البحر والجماهير تهتف من حوله باسمه وباسم جده وباسم مملكته الكبرى

أفاق بيدرو من الحلم سريعا

لم يشأ أن يلفت الأنظار إليه أكثر من ذلك

فمضى مسرعا

سار متخفيا فى السوق القريبة من البحر يتلمس خطاه بصعوبة في الطرقات الضيقة

هذه أول مرة يخطو بقدميه داخل كاستيليا

لما كل هذا العناء الذى ألاقيه لأجلك؟ سائل نفسه بينما تجوب عينيه بخفة أطراف المكان

لا يوجد هنا ما يستحق الحرب والتنافس عليه

فقط بساتين كرز وفاكهة على الجانبين تتوسطها بيوت بدائية مصنوعة من دور واحد أو دورين على الأكثر .. حقا منظر البساتين وجداول المياه والينابيع المحاطة بالأحجار عذبا غير أن صوت النحل الطنان القادم من البساتين وحركة الفراشات المزعجة وتلك الروائح المختلطة لا تسمح باستنشاق الهواء الرطب والاستمتاع بأى هدوء

طرقاتها ضيقة مزدحمة بالمارة رغم قلة عدد سكانها

يعيشون جميعهم فى الطرقات تقريبا

نعم كما كان يسمع عنهم دائما

يتسامرون.. يتشاجرون.. يأكلون .. يتاجرون .. يرقصون ..يغنون

هكذا هم الكاستيليون

لا يستسيغون حبسة البيوت رغم دفئها إلا للنوم ..

لا يكاد الغريب يميز الرجال من النساء بصعوبة فجميعهم يرتدون ملابس رثة ذات ألوان مكفهرة يبدو عليها القدم وضيق الحال ومع هذا تلمح لمسات الجمال فى تصميماتها الفريدة والمتنوعة تكاد تشعر أنه لا يوجد شخصان يرتديان نفس الملابس تقريبا..

سمع كثيرا عن مهاراتهم فى تصميم الملابس... مليسا نفسها كانت تحب أن تخيط إحدى الكاستيليات لها ملابسها

تاه بيدرو في ملاحقة مظهر أهل كاستيليا.. كما أن رائحة الأزهار المنبعثة من الحقول المترامية حوله كادت تخدره

حتى اصطدم بأحد المزارعين.. ادعى بيدرو الخَرس أمام أسئلة المزارع له من أنت؟ وماذا تريد؟

أخرج بيدرو قطعة فضية من جيبه أعطاها للمزارع وراح يشير له بحركات معناها أنه بحارة تائه وجائع أعطاه المزارع كل ما معه من طعام وطار راقصا من فرحته بالقطعه الفضية دون أن يكلف نفسه عناء التحقق من شخصيته

أصبح مظهر بيدرو وهو يحمل سلة الكرز أكثر تآلفا مع المكان مضى بثقة وهدوء أكبر يبحث عن مايوركا

لا يعلم ما هذا اليقين الذى كان يجعله متأكدا أنه سيجدها بنفسه .. سيعرف دون أن يسأل أحدا عنها

ليست كبيرة كاستيليا وأسواقها محدودة.. لم يزرها من قبل ولكنه يعلم كل شئ عنها

هذا هو السوق الرئيسى الذى ينتهى به إلى بيوت المزارعين، وفى نهايته غابة هيرتشى حيث تقيم كاستيليا احتفالاتها الدائمة

يوم الحصاد .. يوم جلوس القائد.. عيد الربيع.. عيد المطر

أبواق العازفين الماضين فى هذه الطرقات وصولا إلى وسط البلاد حيث القصر الأحمر ترتفع بين القصر والغابة مستمرة طوال العام يحتفلون بأى شئ وبكل شئ

حتى فى الزواج يصبر الكاستليون دهرا حتى يستطيعوا جمع كل زيجاتهم فى يوم احتفالي واحد

خاطب نفسه قائلا تكاد تحفظ عادات هذه البلدة أكثر من أهلها يا بيدرو

***

اللقاء

ها هو حدسك لا يخيب أيها الجنرال

اتسعت حدقتا عينا بيدرو وهو يلحظ أخيرا مايوركا تقف بين المزارعات في أحد أقسام السوق لا تخطئها عين

بخصلات شعرها غير المصفف جيدا

ضحك بيدرو فى سره

كاستيلية

من أين لك بتصفيف الشعر!

أشار بيدرو لها بسلة الكرز فى يده لتفهم أنه يريد استبدالها مع السيف المتواضع الذى تحمله فى جنبها

فتجاهلته ومضت تأكل بعض حبات كرز من السلة المعلقة فى يدها

وتتبادل النكات مع المحيطين بها

البعض يشيد بالمعركة الأولى والبعض يرثى المعركة الثانية

والكل متفائل بمايوركا وبنجاحها وبالروح الجديدة التى سرت فى كاستيليا

سمع بيدرو ما يكفى من شتائم فى شخصه وفى مملكة الشمال الظالمة

فهزها بقوة لتلتفت إليه .. نطق بعض كلمات كاستيلية بلهجة غريبة أخرجت مايوركا من مزاحها لتدرك أن من أمامها غريبا عن البلد

لا يحتاج الأمر لكثير من الذكاء لتعرف أن هذا هو بيدرو

بادرته بالحديث، معذرة أيها الغريب فكاستيليا مشغولة باحتفالات النصر.. قل لى ماذا كان طلبك.. لدينا من الكرم اليوم ما يكفى للعطف على الأغراب

تأمل بيدرو الحال الرث من حوله لكاستيليا وعقد مقارنة سريعة فى ذهنه بين معسكر مملكة الشمال الذى طالما ما كا يعتبره بسيطا ومتواضعا مقارنه بقصر خوان العظيم فى خاريسا أو حتى منازل أرض السيدر التى دائما ما كان يمزح مع مليسا حول تواضع تصميمها مقارنة بعظمة البنيان المميزين لبلاده خاريسا وسيداد

رد عليها ساخرا ... أحقا انتصرتم؟!

هنيئا لكم أهل كاستيليا.. أدام الإله لكم عزكم هذا وزادكم منه

كادت مايوركا تصرخ وتوشى به

فأسكتها بنظرة حاسمة من عينيه وأشار لها فلحقته باتجاه البحر

علام تدافعون يا أهل كاستيليا، بادرها بقوله أثناء مشيهما

عن بيوت الطين والملابس الرثة وحياة الطرقات

عن سلال الكرز التى لا تملكون سواها

لقد زاد يقيني بضرورة ضم بلادكم هذه لحكمى

إن لم يكن من أجلى.. فمن أجلكم

هى فرصتكم الوحيدة لتعرفو معنى الحياة

اقتربت منه مايوركا.. وأوقفته فى سيره السريع

لا عليك سيدى أنت الآن فى طريقك لمغادرة كل هذا الشقاء المحيط بك وكل مهمتى معك هى أن أضمن لك أن تصل إلى خارج أرضنا سليما ..

أسرعت مايوركا فى خطواتها حتى تجاوزته .. وصلت إلى شاطئ البحر ليس هنا سوى صخرة كبيرة يخيل إلى الناظر إليها من بعيد أنها ليست سوى حطام مركب، أو أن قليلا من الموج سيكون كافيا جدا لجرها معه إلى أعماق البحار مع مثيلاتها من الأشياء العتيقة التي يلقى بها البحارة

جلست مايوركا فوق الصخرة متجاهلة بيدرو الواقف بجوارها

حسنا هنا رائحة الجو ألطف كثيرا قال بيدرو

لقد كدت اختنق من رائحة الطين وروث الأغنام التى تملأ البلدة

تعلم مايوركا فى داخلها أن رائحة البحر الممتلئة بالحرية والنقاء ونسمات الهواء الرطبة المحملة بقطرات المياه التى تميز الشاطئ أفضل ما في كاستيليا، دائما ما كانت تغريها هى نفسها تأتى إليها هربا من زحام كاستيليا الخانق، ومن بدائتها الريفية

لطالما كان بحر بارين عالم آخر بالنسبة لها منفذا للأمل والحرية كلما يأست من أحوال كاستيليا الحزينة

ومع هذا قطبت ملامحها غضبا، وردت :

بالتأكيد لست معتادا على رائحة الزهور سيدى الجنرال

تلفت بيدرو حوله متأملا المكان، أو محاولا البحث عن شئ يضعه بين الصخرة وبين ملابسه حتى لا تفسد ثم قال

ألا يوجد هنا شئ وثير أو ماشابه يصلح للجلوس عليه

فبادرته مايوركا بالحديث

لن يطول الوقت يا جنرال

تحمل حالنا المتواضع قليلا

ثم امضى إلى قصرك

وبإصرار ونبرة أقوى أضافت، كما أتمنى أن تغير نظرة الامتعاض التى تعلو وجهك هذه من رغبتك فى الاستئثار بأرضنا

لا شئ يرضى غرورك هنا

تبسم بيدرو وسألها، مايوركا.. صح؟ هل هذا اسمك؟

أجابت، نعم

جيد أنك تعرفت عليه، ستسمعه كثيرا في صحوك وفى كوابيسك

ضحك الجنرال ضحكة عالية أثارت حركة المد والجزر بين أمواج البحر

فردت مايوركا فى غضب

أتمنى أن يظل اسمى مضحكا بالنسبة لك أيها الجنرال، أخفض بيدرو صوته وتحدث إليها بنبرة أكثر رقة

شكرا لك مايوركا

شكرا أنك لم تصرخى فى السوق

لم أكن لأستطيع أن أفتك من السيدات الملتفات حولك

حاربت قدر ما حاربت

ولكن حربا مع مجموعة من النساء الثرثرات هذا ما لم أظننى كنت سأنجح فيه أبدا

لم يستطع بيدرو استكمال ضحكته العالية، قطعتها نبرة مايوركا الجادة قائلة

هكذا رددت إليك جميلك

أنقذت رأسى مرة

وأنقذت رأسك مرة

متعادلون الآن يا سيدى

بإمكاننا إذن أن نتفاهم حول سبب مجيئك إلى هنا

سألها مستنكرا، فلتعرّفينى بنفسك إذا قبل أن تقررى أن بإمكانك الوقوف أمام بيدرو الثالث حاكم مملكة الشمال بهذه الثقة يا فتاة

من أنتِ يا مايوركا؟؟؟

أكسبتها نبرته الودية بعض الطمأنينة، فبدت طبيعية واثقة بحديثها عن نفسها قائلة

هل أتيت للتعارف سيدى!!

حسنا إذن

أنا مايوركا

ابنة أرض كاستيليا التى ستدافع عنها حتى الموت

ولن تسمح لك أو لغيرك باحتلالها.. فعلها أجدادى من قبل وأذاقوا جدك طعم الهزيمة وسأفعلها أنا مجددا

ضحك بيدرو ضحكة أعلى من أى وقت سابق

ألم تصلكِ أخبار هزيمة جيشك بعد؟

لقد تركت جنودى يلهون بألعابك لمرة أخيرة

حتى نتفاهم أنا وأنت

قبل أن ينتهى هذا الأمر وللأبد

انفعلت مايوركا، نتفاهم؟؟

نحن عدوان سيدى الجنرال

ما الذى يمكن أن نتفاهم حوله

جاوب بيدرو، مصلحة الجميع، هى ما يمكن أن نتفق حوله يا مايوركا

اسمعى لكلام جنودك ، الألعاب الصبيانية لا تصلح للحرب

حسنا استطعتى تجربة ألعابك مرة ونجحتى، ولكن لا يجعلك هذا تنسين مع من تحاربين

وقفت مايوركا ترفع رأسها وصوتها لتطال بيدرو، أتعلم سيدى لماذا أتيت بك إلى البحر؟

لم؟؟

لأن بيوتنا ليست جاهزة لاستقبال الأغراب

بيوت كاستيليا المتواضعة التى لم تعجبك هذه لا تليق سوى بأهلها

أما أنت سيدى الجنرال العظيم ومثلك كل هؤلاء الأغراب الذين يأتون لقطف بعضا من خيرات أرضنا، فأقصى ما يمكن أن تحصلوا عليه هو بعض الراحة فوق رمال هذا الشاطئ وسلة كرز.

ثم ..

فلترحلوا

والآن وقد استرحت بما يكفى، لا يليق بك سوى مركبك الفخم هذه

اركبها وامضى من هذا الطريق

يكفيك سلة الكرز التى حصلت عليها، ويكفيك كرم مايوركا وأهلها الذى أعطاك الفرصة لتعود سالما

رفع بيدرو نبرته المتواضعة دون صراخ، كفى عن هذه العبارات الجوفاء التى يصنع بها السذج بطولات زائفة فى عالم الخيال

ليس من بين أهلك هؤلاء الذى قابلتهم جميعا من يحمل أخطر من سلة الكرز

أخرج بيدرو سيفه من مخبأه ورفعه فى وجهها لتتراجع مايوركا خطوات قليلة متأثرة بالفزع الذى أصابها

أكمل بيدرو كلامه

أنتِ نفسك

لا تملكين شيئا تدافعين به عن نفسك الآن إذا أردت قتلك

ارتبكت مايوركا وراحت تتحسس سيفها، ففوجئت أن بيدرو أسقطه حين قابلها فى السوق دون

أن تشعر

أعاد بيدرو سيفه لمكانه، وخفف من حدة لهجته

اعتبري هذه الزيارة نصيحة فى أذنك يا صغيرة

أنت لا تعرفين شيئا عن مملكة الشمال

إذا وضعتى عقلك فى رأسك وقُدّر لك يوما

واستطعتى زيارتها

ستحلمين أنت نفسك

بضم بلدتك الساذجة هذه إليها

وبنرة حانية حقا لامست قلبها تطايرت كلماته تسابق خصلات شعره التي تحركها الرياح، فكرى جيدا مايوركا أنت فتاة طيبة جميلة وصالحة

حقا لقد أثرت اعجابى بموقفك هذا

ليس على هذه الأرض أفضل من شخص يحب وطنه، يحبه بصدق وهى مهمة آه لو تعلمين يا صغيرة أنتِ كم هى صعبة

أن ننسى أطماعنا ومصالحنا وقبليتنا من أجل حفنة تراب تقلنا عليها دون أن نحصل لقاء هذا على أى ثمن

ردت مايوركا مسرعة كمن وجد أخيرا كلاما يقوله بعد اختبار طويل صعب من الأسئلة المبهمة

إذن فلن تجد شخصا جديرا بالوقوف أمامك فى هذه المعركة مثلى

تأكد بيدرو أنها مصرة على رأيها

فابتسم، عاجزا عن إخفاء لمعة الإعجاب المطلة فى عينيه تكاد تلتهم مايوركا وتطيح بكل هذا الحوار العبثي الذي يتبادلانه

حسنا

سأقابلك فى المعركة القادمة

لأسمع منك أو أقول لك كلمة النهاية

***

الحرب مجددا

عاد بيدرو لمركبه

وعادت مايوركا لمعسكرها

بوجه عابس قابلها الجنود المنزعجين من فشل نجوم اللهب

لم يفلح السلاح يا مايوركا.. قال ألكسو

ألم نحذرك كثيرا؟ لا تصلح الألعاب سوى لملء ليالى السمر التى تحيينها فى خيمة الفنون، أحمر وجه مايوركا لهذا الاتهام تحديدا منطلقا من أحد الجنود

أثرنا غضب بيدرو لا أكثر.. قال إيزندر

سيكون انتقامه أكبر

تعالت أصوات الجنود الغاضبون

كُل يعارض بطريقته

فتركتهم مايوركا وذهبت لخيمة الموؤن التى خصصتها لتصنيع السلاح

بينما استلم ليوبو زمام الأمور إلى جانب ألكسو لتهدئة الجنود وإعادة الانضباط إلى المعسكر

استأنفت مايوركا العمل فى تصنيع أسلحة جديدة.. يعلو وجهها الوجوم والإصرار على مقاومة الأثر الذى تركته فى أذنها كلمات بيدرو ، وكلمات الجنود

ألقى هو بداخلها الفخر والحماسة والاعتزاز بالذات والرغبة في الانتصار عليه، وهى مهمة لكم تبدو ثقيلة الآن برفقة هؤلاء الجنود الذين يزرعون حولها الإحباط والفشل

اشتعلت روحها برغبة جنونية في استكمال الحديث مع بيدرو ترغب لو يلقنها فنون الحرب بيديه، لتعود بعدها لصفوف أهلها لتحاربه

ولكن كيف؟ كيف يكون هذا

أخرجت كل الجدال الدائر بأعماقها في صناعة أكبر كم من السلاح الجديد

انتصف الليل وهى تعمل فى صمت يساعدها عدد قليل من الجنود رشحهم لها ليوبو

بينما اندفع الباقين فى حوارات متواصلة حول الهزيمة القريبة وسُبل الهرب

وفى الصباح وجد الجميع كومة كبيرة من الرماح الخشبية المسنونة بدقة و نجوم لهب جديدة

وخيش مبلل يكفى الجميع

وإلى جانب ذلك أيضا كان هناك دوائر من الحبال المجدولة يرونها لأول مرة تبرز من أطرافها سنون مدببة ابتكرتها مايوركا بقص فروع الشجر الصغيرة وتهذيب أطرافها كإبر الخياطة ثم غزلتها بطول الحبال باستثناء أطرافها

بدأت تعليم الجنود كيفية تثبيت الحبال الدائرية فى طرف الرمح وإلقائها حول رقبة جنود بيدرو ثم شد الحبل حتى تخترق السنون رقابهم

مذهلة أنتِ يا مايوركا.. قال ألكسو

أين كنتِ كل هذه السنوات

وبيدرو يصطادنا برماحه

كنا نتبادل السلاح الواحد بيننا .. يحمل كل خمس جنود رمحا واحدا فيعود أحدنا به ويموت الأربعة الباقين قبل أن يأتى دورهم لاستخدامه

لم تشأ مايوركا أن ترد على السؤال الذى كان يخترق عقلها كل هذه السنوات

كما لم تشأ أن تحكى كيف كادت تفقد رقبتها عندما حاولت فى إحدى المرات عرض أسلحتها هذه على أحد رجال القصر الأحمر

ما دفعها لإخفاء ما تصنعه فى خيمتها تحت سريرها والتزام الصمت كما أمروها حتى لا يفقد أبيها حياته

صاحت مايوكا فى الجنود ليقتربوا منها ويتجمعوا حولها، متجاهلة الإشارة لكلماتهم الغاضبة والمحبطة التي ملأت رأسها قبل قليل، قالت بصوت مفعم بالهمة

ها هو السلاح الكافى يا جند كاستيليا .. وها هى أرضكم الحمراء مازالت ثابتة تحت أقدامكم لم تتشقق بعد وتخسفكم فى بطنها

إذا كانت أرض كاستيليا مازالت قوية بما يكفى لتصمد وتحملكم فوقها.. وإذا كنتم ما زلتم أقوياء بما يكفى ليحمل كل منكم رمحا

فأعدكم أنى لن أعدم طريقة لأدير بها هذه الحرب حتى يتحقق النصر

قولوها قولا واحدا إذن

معك يا مايوركا وليحمل كل منكم سلاحه

ثم التقطت مايوركا رمحا من الأرض وجهته إلى صدرها، واستكملت حديثها

أو فلتذهب مايوركا الآن بيديها حرة تليق بباطن أرضها كما عاشت حرة فوقها،قبل أن يأتى اليوم الذى يدفننا فيه جنود الشمال مكسوّين بعارنا فتلفظنا حبات ترابها وترفض حتى ديدانها أن تبتلعنا

تأمل الجنود وجوه بعضهم البعض، وقد انتقلت همتها إليهم

بدت مايوركا فى حديثها جادة قوية ... الرماح والسهام وحبال الخيش ونجوم اللهب الملقاة على الأرض يؤكدان جديتها وقوة موقفها

كان ألكسو أول المؤيدين

التقط رمحا ونزع شارته ككبيرا للجند وضعها على كتفها قائلا:

أنا معك يا مايوركا لن أموت إلا حرا فوق أرضى، ومن الآن فصاعدا أنتِ من سيصدر الأوامر للجنود

اتبع الجنود ألكسو فى مبايعة مايوركا لقيادة المعركة

بدأت مهمتها بإصدار الأوامر للجنود ليحمل كل منهم قدر ما يستطيع من السلاح

سنحارب مرة أخرى إذن، سأل أحدهم

سنحارب مرات ومرات، هتفت مايوركا

سنواصل المعركة حتى تصل نجوم اللهب لبيت بيدرو ذاته

سنحرق طموحه بالحصول على كاستيليا

ساخرا رد أحد الجنود

بيت بيدرو!!!

يا مايوركا

القليل من العقل

أفحمته مايوركا بحديثها المشتعل حماسا، أى عقل ووطننا فى خطر!

يجب أن يعي جيش الشمال أن كاستيليا لا تمزح

وأنها جادة فى مواصلة المعركة

اقتنع ألكسو برأى مايوركا وانضم إليها فى مهمة نقل حماستها بطريقته المقنعة للجنود الذين يجلّونه كأمهر الجنود بالجيش

استسلم الجميع فى النهاية لأمره بمساعدة مايوركا فى التدرب على الأسلحة الجديدة

فالمعركة هذه المرة يجب أن تكون قاسية

يجب أن يعرف جيش الشمال هذه المرة بحق أن كاستيليا جادة فى تحقيق النصر

مضى يوم آخر والجنود يتدربون على قذف الحبال المجدولة بالشوك

وفى الصباح الباكر أطلقت مايوركا صافرة النفير بنفسها، ومن جديد انطلقت معركة أخرى...

لا....

انطلقت معارك أخرى

معركة

ثم معركة

ثم معركة

***

الحرب لعبة

بالنسبة لجنود الشمال هى عادتهم بمواصلة الحرب .. تبدو المعارك دائما كنزهة لجيش الجنرال العظيم الذى يتلقى بطاعة عمياء أمره غير المفهوم هذه المرة من قائدهم بالالتحام دون إحداث أضرار عميقة فى جيش كاستيليا

فقط كَرّ وفَرّ

وإرهاق لكاستيليا

وإياكم ثم إياكم الاقتراب من رأس مايوركا

يؤمن الجنود حقا بقدرات قائدهم فى الحرب

بالتأكيد هى خطة ذكية منه للقضاء عليهم فى الوقت المناسب

أما بالنسبة لجنود كاستيليا فمجرد الثبات فى مواجهة جيش بيدرو يبدو لهم كتحدى.. يعودون فرحين لمجرد تمكنهم من الصمود ومواجهة جيش الشمال.. يحكى بعضهم بفخر عن التقاط الجنرال المهيب وجها لوجه أثناء المعركة، ويتباهى الآخرون بقدراتهم على تفادى الرماح والسهام والاختباء بمهارة بين الأشجار أو خلف الجبل

تزداد كاستيليا ثقة بنفسها مرة بعد أخرى وتزداد إيمانا بموهبة قائدتها الجديدة التى تأتيهم فى كل مرة بسلاح جديد تضعه فى أيديهم وتضع فى نفوسهم ثقة وقوة و إيمانا _كادوا يفقدونه_ بإمكانية تحقيق النصر..

فقط لولا حنكة بيدرو الذى يعلم تماما متى يوقف غرور كاستيليا عند حده.. متى يعبس فى وجه جنودها ليعيدهم فئران مذعورة فيتقهقرون أمامه عائدين إلى خندقهم للاحتماء به

وعلى جانب آخر بدت الحرب كلعبة اختباء حلوة يمارسها الجنرال مع مايوركا يحقق بها حلمه باللعب معها أحد ألعاب طفولته المحببة ليستطيع التلصص على وجهها.. يعلم تماما أنها تبحث عنه وما أن تلمحه حتى يستدير بوجهه للجانب الآخر مدعيا تعاليا وعدم اهتمام مفضوحين تماما

ينظر لها بيدرو خلال معاركه معها يقاتلها وهو هائم فى عينيها فتضيع ضرباته فى الهواء و يسقط سيفه من يده مخلفا صوت خواء بينما تحارب مايوركا على الجانب الآخر بكل قوتها وبكل صدق تضيع

ضرباتها أيضا فى الهواء لعدم إجادتها حمل السيف الثقيل أبدا غير أنها تخلف دبيبا فى قلب الجنرال لا تنتبه هى نفسها إليه فتعيد الضرب والصراخ كقائد عسكرى شرس يلاحق النصر

فاذا ما التفتت فجأة و نظرت إليه.. أعادت النظرة كل منهما لحجمه الحقيقى

تلتقى عينا مايوركا والجنرال.. ثم يهرب بنظره منها عندما تضبطه متلبسا بالنظر إليها

يرفع بيدرو رأسه وسيفه .. يسرق قوته من قلبه ويمنحها للسيف الذى يحمله ويواصل ضرباته في الهواء، بينما تهتز مايوركا لمجرد احتمال أن الجنرال ينظر اليها

وتنتهى المعركة كالعادة بلا فائز أو خاسر

ولكن فى النهاية هى حرب ...

والحرب لعبة يجب أن تنتهى بفوز أحدهم

أخذت الحماسة جنود بيدرو فى إحدى المعارك متجاهلين تعليماته بعدم التصويب تجاه مايوركا، انفلت السهم من أحدهم باتجاهها كاد يخترق رقبتها

و أمام السهم المنفلت ثبتت عينا الجنرال فى وجهه وتجمدت عروقه فاندفع مقتربا من مايوركا

استغرق كثيرا من الوقت وهو يراقب وضعها ويطمئن على افلاتها من السهم.. هرب الجندى عندما لمح الجنرال يتقدم بنفسه نحو مايوركا

يعلم جنوده كم يحب اصطياد القادة بنفسه ... حتما سيثور الجنرال إذا عرف أن غيره قد قتلها

استعادت مايوركا ثباتها بعد هروب الجندى وإفلاتها من تأثير السهم الطائش لتفاجأها عين الجنرال المثبتة عليها.. بادلته نظرته متوقعة أن يفر من عينيها كما يفعل في كل مرة غير أنه ولأول مرة استقرت عينا الجنرال على مايوركا عاجزة عن مفارقتها وكأنه يعوض لنفسه كل تلك الأوقات التى ما كان يجرؤ على النظر إليها

متوسط القامة بيدرو هكذا بدا لها عندما اقترب منها، ليس طويلا بهذا الشكل الأسطورى الذى يشيعه الآخرون عنك، ومع هذا تهابه القامات الطويلة من حوله

حدثت مايوركا نفسها، كيف تبدو عملاقا رغم ذلك؟، تضيف هيبتك إليك عددا لا بأس به من السنتيمترات يجعلك تفوق من حولك مهما طالت قامتهم

ومرة أخرى ابتسمت كعادتها ابتسامة فى غير موضعها، حيث لم يبدو بيدرو كعدو فى هذه

اللحظة، بل عنوانا للأمان وسط كل هذا الضجيج الصادر عن أصوات الرماح والسهام المتبادلة
استعادت رباطة جأشها وهدوئها لمجرد اقترابه منها
أما الجنرال فبدا كما لو كان أنهى مهمته بالاطمئنان عليها سالمة
فعاد لموقعه مرة أخرى دون أن ينبس بكلمة

***

سهم الحب

أى كلام يمكن أن يقال لفتاة تترأس جيش أعدائه ؟!

المواجهة تعنى الاستسلام .. تعنى خسارة الحرب وإن لم يخسرها

لا يقوى قلب الجنرال على هزيمة عقله، ولا يقوى عقله على الاعتراف بهزيمة قلبه

يعود فى كل مرة منتصرا حيث يجبره عقله على مواصلة الهجوم والحرب.. ولكنه فى داخله مهزوم القلب

غير أن هزيمة مايوركا كانت أكبر .. هذا الإحساس الذى ظلت تنكره مرات ومرات

" الجنرال يحبنى" !!

نعم يحبنى

أى هزيمة أكبر من تلك التى تلحق بقلب إمرأة ترى الرجل الذى كانت تحلم به يناديها بعينيه ولا تجرؤ على أن ترد النداء.. أبسط ما يمكن فعله هو الارتماء بين أحضانه

ولكن اللقاء كان قاصرا على احتضان عينيهما فقط... أى حميمية يمكن الظفر بها بين تراب المعارك هذا.. ليس هنا سوى الالتصاق بهذه السيوف ثقيلة الوزن، وضم الرماح إلى صدورنا استعدادا لارتكاب مزيدا من آثام سفك الدماء

انتهت المعركة

فى طريق عودتها لخيمتها

وجدت مايوركا الجماهير ساهرة تحتفل كعادتها. رغم أن لا نصر هناك ولكن شعب كاستيليا الذى كاد يفقد الأمل تماما يجد فى كل يوم يستطيع فيه الصمود أمام جيش بيدرو _ كل يوم تحياه كاستيليا حرة _ عيدا يستحق الاحتفال

مضى عهد طويل وكاستيليا البلدة الصادحة دوما بالغناء تعيش حالة من الخرس خفتت أصواتها شيئا فشيئا حتى فقدت كل مظاهر الاحتفال التى لطالما ميزتها

اندفعت مايوركا تغنى مستعيدة ذكريات طفولتها غير عابئة بالجنود ونظراتهم

راحت تغنى كما لم تغن من قبل

يا كررز كاستيليا الأحمر
يا قلب كاستيليا الأحمر
هل تسمع يا صغيرى
صوت الطيور
يا كرز كاستيليا الأحمر
يا قلب كاستيليا الأحمر
هل ترى يا صغيرى
لون الزهور
يا كرز كاستيليا الأحمر
يا قلب كاستيليا الأحمر
هل تشعر يا صغيرى
معنى السرور

تبدو كلماتها عن حب الوطن اليوم صادقة تحمل حنينا وشجنا يدفئان الأجواء الباردة التى بدأت بحلول الشتاء تحيل كل شئ فى كاستيليا إلى وضع السكون

انتقلت النشوة من صوتها للجماهير وبدا كما لو أن النصر قد تحقق والحرب انتهت وصار السلام يسود العالم..

حمرااء

بدت كاستيليا حمراء دون كرز..

ولكن حمرتها هذه المرة تشبه خدود العذراء التى أخجلتها نظرات الحب التى تلقتها لأول مرة بحياتها كهدية من السماء يرسلها لها أعظم قادة العالم

"الجنرال بيدرو المهيب"

أقامت مايوركا فى خيالها مئات من الانتصارات والاحتفالات يشاركها فيها بيدرو وهما يتوسطان أهل كاستيليا

كيف؟! لا تعرف

خُلقت الأحلام لتمكننا من فعل المستحيل.. هنا فى هذا العالم السحرى نستطيع جمع وطرح وقسمة الأقدار على أهوائنا لا يُعجزنا أمر علوم الجبر والحساب، ولا قوانين هذا العالم الظالمة

هنا فقط فى خيالها خلقت مايوركا عالما مثاليا يجمع الحب والسلام

العزة والشرف للأرض ..والرقة والضعف لقلبها

بدا بيدرو فى أحلامها حانيا رقيقا تماما كآخر مرة رأته فيها وهو يقترب منها تسبقه لهفته عليها ورقة قلبه نحوها

ولأيام ظلت ترسم صورته على رمال البحر

بيدرو

الحبيب رقيق القلب

***

اللوم

اللوم !!

لمن يا بيدرو، للجندى الذى أخطأ سهما وأصاب جرذة كاستيليا التي تناطحك في الحرب؟!

بدأت مليسا حوارها الغاضب مع بيدرو الذى أرسل في طلب الجندى الذى خالف تعليماته، صرفت الجندى بأمر لا يُرد منها وكانت مليسا دائما صاحبة أمر نافذ، وساطتها تكفى للعفو عن أكبر المجرمين، وإدانة فرخ بط مسالم لمجرد أنه لا يعجبها سلوكه، قبّل الجندى طرف ثوبها المزركش مهللا باسمها واسم حكيم السيدر العظيم، وباسم مملكة الشمال

فلتحيا الملكة

فليحيا الحكيم العظيم

فلتحيا مملكة الشمال

فليحيا جنرالنا المعظم

خرج الجندى يتحسس رأسه التي أفلتت من القطع، ومن حوله الجنود التفوا ليسمعوا القصة منه

تخترق همساتهم باب مجلس بيدرو وتغطى على حواره الغاضب مع مليسا

لماذا غضب الجنرال، كان جديرا به أن يكافئك، شكرا للملكة مليسا، هي حقا ابنة أبيها، ابنة مملكة الشمال الوفية

التقطت أذنا مليسا حوارات الجنود ثم تلفتت لبيدرو قائلة

أسمعت يا جنرال، هل تسمع جنودك؟!

كنت انتظر منك أن تأتيني برأسها يا بيدرو بنفسك، لا أن يأتيني الجنود يستغيثون بى من أمرك بقتل من حاول قتلها

مهزوما بيدرو كما لم يحدث من قبل أمام مليسا، أردف بصوت مختنق بالغضب والضيق معا، لن تُعرّفيني أنت والجنود كيف أدير معركتى يا مليسا

أنا بيدرو الجنرال العظيم

رققت مليسا نبرة صوتها، نعم يا بيدرو ولهذا يتردد السؤال كالصدى يخترق كل الجدران ويصلنى

كل يوم

الجنرال هو من يأمرنا بعدم قتلها، هي ليست سوى طفلة ساذجة لا تجيد حتى حمل سيفها

أسمع وأتعجب يا بيدرو

واليوم أطلب منك تفسيرا، قل لى بالله عليك، لماذا وإلى متى ستطول هذه المعركة، لقد اشتقت لأرضى.. لقصرى.. لرائحة طعام أرض السيدر

لم أعد أطيق عيشة الرعاة هذه

أمسك بيدرو بجملتها الأخيرة مستعيدا حدة صوته وقوتها قائلا

إذن قولى أنك لا تطيقين الصبر معى يا مليسا، قوليها وسأعيدك غدا لتنعمى بالحياة التي تريدينها في بلادك، ألا يرضيكِ بيدرو سوى منتصرا!

ألا يمكنك تحمل بقاءك بجواره لبضعة أيام يدير فيها معركته بطريقته

قوليها يا مليسا إذن

أن ما يغريك في بيدرو هو بضاعته من الرؤوس المقطوعة التي يعود بها إليك

نجحت خطة الجنرال وأعادت مليسا لموقف الدفاع عن نفسها بحكمة وتواضع لا يخليا من الذكاء والمكر الأنثوى

طويل هو عمر هذه الزيجة الوحيدة للجنرال منذ كان شابا بعشرينات عمره وكانت هي تتجاوزه عمرا بقليل يظهر جليا هذا الفارق في حكمتها وخبرتها الواسعة التي لقنها إياها والدها، بخلاف الكثيرين الذين لا يحصيهم بيدرو من الأسيرات والخليلات والإماء، ظلت مليسا زوجته الوحيدة وشريكته بهذا العمر الطويل من النجاح العسكرى، يعود إليها في كل معركة برأس جديدة تختلى هي بها في غرفتها لتستخرج مكنوناتها وتحضّر منها وصفاتها التي ورثتها عن أبيها الحكيم، غير عابئة بصوت الجنرال مستمتعا في الغرفة المجاورة لها بفريسته الجديدة

في الصباح تُناول زوجها مشروب القوة الذى تعده من النخاع، ثم تمضى بثقة لمخدعه لتسحب الفريسة من خصلات شعرها وتجرها للرمى خارج القصر

تناوبت الكثيرات على سرير بيدرو، واحتلت مليسا وحدها عقله بقوة شخصيتها وبدهائها وبسلطة والدها وكان هذا دائما كافيا لطمأنتها

مطمئنة تماما لامتلاك عقله بين يديها، أكملت حديثها

أريدك أن تأتيني أنت برأسها يا جنرال، ولكني لن أصنع لك منها مشروبك المفضل

لا يليق ببيدرو أن يحتسي شراب عقل هزيل لقروية كتلك، أخشى عليك وعلى قوتك يا حبيبي منه، ضحكت مليسا بميوعة محاولة احتضان بيدرو

أفلت منها مستعيدا شكل رأس مايوركا الصغير بملامحها الدقيقة في عقله، ذهب غضبه وبرقت عينيه بلمعة انتصار معتادة، تعرف مليسا طريقها لعقله نعم لطالما امتكلته بينما بقى قلبه شاغرا، أو هكذا اكتشف

لولا هذه المعركة الأخيرة لما عرف بيدرو هذه المعلومة، هذه الأذن التي اعتادت قرع الطبول العالى لم تكن لتنتبه يوما لهذا الهمس الصادر من بين عضو هزيل كهذا

من بين أعضاء جسده القوية؛ يداه الكبيرتان، وقدميه سريعتا الخطى، وحتى خصلات شعره الطويلة، عامل بيدرو قلبه دائما كفأر هو الآخر، لا يستحق منه سوى السحق

غير أنه ومع فئران كاستيليا الذين استعادوا ثقتهم بأنفسهم تحت تأثير سحر مايوركا، راح جرذه يراوغ بين ثنايا جوفه يُحرّك كل ساكن فيه، يقرض أثوابا بالية من المشاعر المركونة دهرا حتى بلّت وتفتت نسيجها، ويشعل صراعا من نوع جديد بين الجنرال ونفسه

حربا لم يخضها من قبل..

***

خطة النصر

عادت مليسا لمخدعها، بعد أن ملأت عقل بيدرو بوقودها حول تاريخه العسكرى وعظمة مملكة الشمال وسمعة جيشه وهيبته بينهم

خرج بيدرو للجنود المتهامسون على بابه، ليحسم بنظرته القوية جدالهم

رفع سيفه للهواء ليدور دورة عالية قطع خلالها أغصان شجرة الصنوبر التي تزين باب قصره ليعود بعدها بهدوء مرتميا في خشوع بين يديه، أمسك سيفه بقضبته وتحدث للجنود الذين مازالو واقفون بفناء القصر

أسمعت التعليمات التي ألقاها بصوته الجهورى للترتيب للمعركة الجديدة القاصى والدانى خلال دقائق معدودة

الجنرال أمر بالاستعداد لمعركة الحسم

الجنرال أمر بجمع كل الجنود

الجنرال أمر بسن الرماح والسيوف

الجنرال أمر بتحضير القذائف

الجنرال أمر .....

حضر فورتان مسرعا ومعه قادة الجيش للحاق بالحدث، فأدخله بيدرو منفردا للقصر ليعيد ترتيب أمر معركة الحسم

أريد هذا الجندى جثة قبل حلول الليل يا فورتان، قال بيدرو

من يا جنرال، أتقصد ألكسو قال فورتان مدعيا عدم فهمه

رمقه بيدرو بنظرته الحادة المعروفة فامتثل فورتان قائلا أمرك يا جنرال

حاول الدفاع عن الجندى، سيدى سيثير هذا حنق جنودك المحبين لك، هم يقدرون أمرك جيدا كما تعلم

رد بيدرو غاضبا، لا أحد يخالف أمر بيدرو يا فورتان ولا حتى من بين جنوده

لا تقلق بشأن الجنود سيحمسهم هذا كثيرا في معركة الغد

لا شيء يثير اللعاب للدماء غير راحتها، قال بيدرو ضاحكا

تلقى فورتان باقي تعليمات المعركة من حيث ترتيب الجنود وتجهيز السلاح وخطة الهجوم دون توضيح من بيدرو لموعد بدء المعركة

فقط ابقوا مستعدين.. كونو على أهبة الاستعداد دائما

هكذا هي عادة جيش مملكة الشمال، نحن خلقنا لحمل السلاح يا فورتان، لا لنقل الأحاديث والغمز واللمز أتفهمنى

قال ثم ذهب لنوم جفاه، تعصف الأفكار بعقله ويجول جزه الصغير بسريره يقض مضجعه

كيف؟!

كيف تكون المعركة؟!

***

سهم خادع

استيقظت مايوركا من أحلامها الوردية على صوت القذائف والسهام تنصب على معسكر الجيش الكاستيلى من كل إتجاه

لم تمض الليلة حتى خرج بيدرو بنفسه ليقود جنوده في المعركة الجديدة، لم ينتظر لتعصف الهمهمات بسمعته كمحارب، أثار بنفسه الحماسة لأجله بدلا من الحنق تجاهه في نفوس الجنود

الليلة يا فرسان الشمال

الليلة

قبل أن تظهر خيوط الصباح سنبدأ المعركة.. ستشرق شمس هذا الصباح لترانا منتصرين كعادتها

اندفع جيش بيدرو مهاجما بشراسة غير معهودة منذ استئناف القتال تحت قيادة مايوركا التى حاولت السيطرة دون جدوى على جيشها فلم تستطع

يهرب جنودها فى كل مكان بلا هدف.. لا يعيرون أدنى انتباه لنداءاتها بالمواجهة والصمود

لا يزيدهم صوتها الضعيف سوى رجفة وخوف من قوة بيدرو وجنوده وما يمكن أن يفعله بهم

أى صمود ذلك الذى تطلبه منهم وهى نفسها صارت تأتى إلى هذه الحرب مهزومة سلفا

أخطأتى يا مايوركا

أصابك سهم الجنرال الخادع فى قلبك..

فأضاع عقلك تحت تأثير الفتور الذى أخضعه لهواه

كيف ستسامحين نفسك الآن على ضعف خطتك وعلى افتقار الجنود للسلاح الذى كان يفترض بك تحضيره بدلا من الذهاب للبحر لتنشق رائحة الحب والحرية

تمضين وقتك كله على الشاطئ حيث صارت أحلامك تتلخص فى الانتصار على قلب بيدرو العظيم

تقضين وقتا فى التجهيز لحربك معه أطول من الوقت الذى تقضيه بين جنود بلادك لتمنحهم السلاح الكافى كما وعدتي الجميع لينتصروا على بيدرو العدو الخائن الذى يحلم باحتلال أرضكم

بكت مايوركا كثيرا.. ذرفت دموعا تفوق فى ملوحتها مياه بحر بارين، يعتمل فى داخلها غضبا يفوق تلاطم أمواجه

خائن حقا يا بيدرو

كيف؟!

كيف بعد ما كان بين عينينا تعود إلى أرض المعركة بكل هذه القسوة

تدير القتل بين أهلى كما لو لم يكونوا قطعة منى

صحيح أنك لم تقل شيئا

ولكن نطقت عيونك بالكثير

وأنا صدقتك

صدقت عيونك بيدرو

جئتك هذا اليوم بلا سلاح حقيقى

أدّعى الحرب وأنا أعرف أنى أذهب إليها فقط لألتقى بك، ولو عدوا يقف فى الجهة المقابلة

أى خديعة تعرضتِ لها يا مايوركا

كيف صدقتى أن لجنرال حرب كبيدرو قلبا يمكن أن يحب

بكت مايوركا كثيرا وعنفت نفسها بحوار قاس وباستنفار لكل قوى جسدها الهزيل لتحاول فعل ما يمكنها فعله وإنقاذ أي شيء ولو كرامتها كقائدة جيش فى هذه المعركة ثم أصابها اليأس فألقت بسيفها أرضا وهى ترى قتالا حقيقا من جيش مملكة الشمال

كل هذا وبيدرو غير موجود

لم تستطع أن تلمحه بين جنوده المندفعين نحوها

يفرّون حولها يمينا ويسارا يصيبون من يجدونه من جند كاستيليا ويتحاشونها، لاحظ الجنود الكاستيليون ذلك فبدأو بالاحتماء خلفها متقهرقين إلى الخلف للعودة للاحتماء بالداخل تاركين مهمة غلق الخندق

استماتت مايوركا وألكسو وجيريد وقليل من الجنود في القتال حتى استطاعوا غلق الخندق وطرد بقايا جيش بيدرو الذى بدا كما لو كان أتم مهمته المأمور بها فامتثل للعودة بهدوء

أصبحت مهمة غلق الخندق أكثر يسرا بتناقص أعداد جنود الشمال الباقين للقتال، وبدأ عدد غير قليل العودة مرة أخرى لمشاركة مايوركا والقائدين مهمتهما حتى أتماها بنجاح

نجحت حيلة بيدرو التي علّمها لجنوده، خرق الخندق، استهداف جنود المراقبة ومغافلتهم أثناء نومهم، وإثارة الرعب وتفريق الشمل ومنح كاستيليا جروحا تستعصى على الالتئام بكل أجزاء جيشها

ألم أقل لكم أن هذه المعركة تزداد متعة يا جند الشمال العظام قهقه بيدرو عاليا بين جنوده العائدين تعلوهم علامات السرور بالنصر

قضى ليلته ساهرا بينهم يحتسى نبيذ الكرز بينما كان كل ما استطاعت مايوركا فعله هو العودة خلف جيشها..

***

بارين من جديد

تركت مايوركا المعسكر الصاخب بأصوات الأنين والعويل وتأوهات الجنود المصابين بينهم ليوبو الحكيم يحاول علاج من يستطيع منهم، وانطلقت بأقصى سرعة لفرسها نحو بحر بارين تذرف الدموع لأجل الهزيمة وفقد السيطرة على الجنود وكسرة القلب وانهيار عالمها الذى بنته فى الخيال

لمحت مركبا تحمل مصباحا مضيئا سرعان ما اقترب منها باتجاه الشاطئ بداخلها شخصا ملتفحا بعباءة ذات غطاء رأس يخفى ملامحه، هبط الضيف الغريب من المركب حاملا مصباحه واقترب منها حتى تبينت ملامحه تماما

هو بنفسه ، مرة أخرى

الجنرال

ارتجفت مايوركا وهى تراه يقترب منها، بحثت حولها عن شئ تدافع به عن نفسها فلم تجد

لجأت مايوركا إلى إبائها و ثباتها اللذان يميزانها

أنتِ قائد فاشل

بدأها بيدرو بالحديث

لم يطيعك الجنود...

كيف تنتظرين الفوز فى الحرب إذا كان جنودك أنفسهم لا يطيعونك؟.. إذا كنتى لا تسيطرى على جيشك فكيف تحلمين بالسيطرة على جيوش الآخرين

ردت بعصبية، لا تسعى مايوركا ولا غيرها من أبناء كاستيليا للسيطرة على أحد أيها الجنرال نحن ندافع عن أرضنا..

ربما لا أملك خبراتك فى الأرض ولم أخض صولاتك وجولاتك فى الحروب، ولكن أعدك أنى سأهزمك .. سأهزمك بسيف الحق .. بسيف العدالة الذى لم تذقه يوما

ضحك بيدرو حتى كادت مايوركا أن تفقد أعصابها وتضربه ليتوقف

تحملين سلاما فى عينيك يفضح كل تهديدات الويل والثبور والوعيد بالحرب التى يكذب بها لسانك

من أين لك بكل هذا السلام فى عينيكِ يا مايوركا ؟!

هدأت مايوركا كطفل ناولته أمه للتو مشروبها العشبى الليلى الدافئ، _تخرج الكلمات من فم بيدرو دافئة تحمل حنان أم_ أراحها من آلامها وأعاد إليها إيمانها بالسلام فأجابته هادئة

أرضنا طيبة يا سيدى

منحتنا أرضنا سلاما وحنانا من لدنها

لو كان لك يوما أن تعيش بين وطن حانٍ لعرفت من أين يأتى السلام يا جنرال، و لما شعّت عيونك بكل هذا الكره والغضب

بدا بيدرو متأثرا بصوتها المخنوق وبعينيها الذابلتين من أثر البكاء فأخفض من نبرة صوته الحادة بطبيعتها

اقبلينى إذن فى وطنك يا مايوركا

بإمكاننا إنهاء هذه الحرب

والتحالف كصديقين

كان بإمكانى أن أنهى هذه المعركة اليوم

سألته جادة، وما الذى منعك ؟!

ثم أضافت و الإعياء في صوتها كنا أقرب هناك لجبل جينوم.. مهما كانت قوتك فليس بإمكانك قذف رأسى من ها هنا لقمة الجبل بضربة واحدة من سيفك كما تحب

رد بيدرو بحنان، لن يقترب سيفى من رقبتك يا مايوركا.. ولا أي سيف آخر

ولن أسعد أبدا إذا مسك أى مكروه

اشتعلت غضبا وأشاحت بيديها المجروجتين من أثر الاحتكاك بصخور الخندق قم قالت وهل بعد ما فعلته اليوم هناك مكروه أكبر!!

أجابها بحدة وشراسة بيدرو القديمتين

نعم يا مايوركا

إذا استمريتى فى عنادك سيكون هناك ما هو أكبر

أمسك بيديها المتورمتين متلمسا الابتعاد عن مكان الجروح

كفى يا صغيرة أنتى

تركتك تلهين بما يكفى

ثم وبصوت أكثر حنانا أضاف

كنت أريد فقط أن أراك تكبرين أمامى كأميرة حرب استطيع أن أعقد معها اتفاق صلح يليق بهذه المعركة الطويلة التى دوختنى فيها عينيكِ.. لو أردت قتلك لفعلت .. ولو أردت دخول أرضك منتصرا اليوم لفعلت أيضا

ردت بسخرية، وهل أوقفتك رقة قلبك ؟!

تطلع بيدرو في عينها بصدق قائلا

نعم يا مايوركا..

نعم يا مايوركا، رقّ قلبى

فأتيتك بحثا عن السلام الذى يطل من عينيكِ، استكمل حديثا بنبرته العالية القوية المعتادة، ثم أنه لست أنا بيدرو الذى يقتحم أرضا وأهلها نائمون، قاتلينى بشرف يا مايوركا كما فعلت معك.. لا تسرق قوة قلبى وتفرّى للاختباء خلف خندقك.. قولى لى الآن أنك قد عرفت قدر بيدرو وستفكرين في عقد اتفاق يليق به وبوقفته المتواضعة الآن أمامك، أحنى بيدرو كتفيه قليلا ليشاركا عينيها المغمضتين توسلهما وضعفهما المستتر

اغمرينى بسلامك يا مايوركا

أعدك لن تندمى على هذا

آآه يا بيدرو لو تدرى أن نظراتك الرقيقة وعباراتك القوية هما ذاتهما ما يزرع القوة والغضب بقلب مايوركا، ما يضئ عقلها وينير هذا الجزء الخالى من ذاكرتها عن امتلاك العزة والشرف، عن الثأر للأرض والوقوف بشموخ وإباء فوقها

أحبك يا بيدرو.. أحبك حتى أنى أرغب في أن أطول وأكبر حتى أبلغ جبهتك العالية هذه التي لا يحنيها شيء على وجه الأرض لألثمها شكرا لك

شكرا لك على كل لحظة منحتنى فيها الشجاعة للوقوف أمامك، لاستلهام الخبرة من عينيك، عادت مايوركا من صوت أفكارها لتجيب الجنرال الذى مازال ينتظر منها إجابة لطلبه

_ لن أكون هنا لأندم إذا سلمتك أرضى يا سيدى
رد بيدرو سريعا،
_ لن تسلمى ولن أدخل بجيشى كاستيليا.. أعدك
سترفعين الراية البيضاء فقط واتركى الأمر لى بعدها
أعدك سأحقق لك كل ما تريدينه لوطنك
ستصبح كاستيليا مدينتى المفضلة ودرة تاج مملكة الشمال
سأعتنى بها مثل ما تحلمين وربما أكثر
أنا أجيد الاعتناء بالمدن أكثر منك
_ لا يجيد الاعتناء بالمدن سوى أهلها سيدى الجنرال، أجابت مايوركا
_ اقبلينى بين أهلك إذن يا مايوركا ولننهى هذه الحرب، قال بيدرو جادا ومتوسلا
خسرت مايوركا آخر ما تبقى لها من قدرة على الصمود وادعاء الكراهية لبيدرو
تعلم تماما أنها ما رأت في عينيه إلا أمانا وحنانا يعادل الذى تمنحهما لها كاستيليا
بدا بيدرو مرة أخرى الحبيب الرقيق الذى يزورها فى أحلامها
وأمام صدق دعوته حاولت إملاء شروطها لإنهاء هذا الصراع بالشكل العادل من وجهة نظرها، قالت
_ حُل ضيفا... لا غازيا أيها الجنرال العظيم
أعدك أنا أيضا أن تستقبلك كاستيليا باحتفال يليق بتاريخك
تجيد كاستيليا الاحتفال .. تعرف أنت أيضا هذا عنا سيدى الجنرال
فقط حُلّ ضيفا
وستمنحك أرضنا خيرها وطيبها وحنانا من قلبها
ضحك بيدرو لتلميح مايوركا فأجابها
_ من قلبها؟ أنا أريد الحنان من قلبك أنت
خجلت مايوركا .. أشاحت بوجهها للجانب الآخر، بينما استكمل بيدرو حديثه معها
_ مايوركا

كانت عينيكِ متسمرة أمامى فى الساحة هناك تقول كلاما يخالف صياح ضربات سيفك الخائبة فى المعركة

تعرفين أنى استطعت اختراقك

لقد كدنا...

تمالكت مايوركا نفسها وبدت وهى تقبض على الضعف الذى يحاول المرور من فوق ملامحها كمن يسعى عبثا لرسم حدود لموج البحر لا يتخطاها، ومع هذا استطاعت أن تضع حدا لمحاولات بيدرو للتفاوض، نظرت ليديها المتورمتين ثم قائلة بحسم

_ لا ... لم يحدث

كل نقطة دم تسيل من أهل كاستيليا تشوه ملامحك فى عيني

أنا لا أراك

ليس ممكنا أن أراك وأنا محنية الرأس ألملم أشلاء وطنى وهو يتمزق تحت قدميك

عندما أرفع رأسى ربما استطيع وقتها فقط التقاط وجودك

أثار تعالى مايوركا غضب بيدرو فشعر بالحرج الذى سببه لنفسه، انفعل عليها صارخا

_ كاذبة يا مايوركا

كاذبة وفاشلة وستدفعين الثمن

تراجع الجنرال عائدا لمركبه مسدلا الستار عن هذا اللقاء الأجدب

وغادر دون وداع

***

الشمال يحتفل

فى الجهة المقابلة

أقامت مملكة الشمال حفلا كبيرا كالمعتاد بعد كل نصر

يتم جمع الجنود الذين قتلوا ورص جثثهم فى حلقة تتوسط فناء "ريسكى" حيث يقع قصر بيدرو الذى بناه ليقيم فيه لما طالت الحرب تحيط الأعمدة الشاهقة بأطراف الفناء الواسع يعلوها مجسم لرأس خوان العظيم وهو يرتدى تاج مملكة الشمال وتظهر من نهايتها بوابة قصر بيدرو المنحوتة من الذهب

يُستدعى إلي الحفل بعد كل معركة جثامين الجنود الراحلين ويحيط أمهاتهم وزوجاتهم وأبنائهم بالجثث يتراقصون حولها معلنين فرحتهم بتقديم أرواح ذويهم لخدمة مملكة الشمال

استطاعت مايوركا اختراق الحصار المشدد على المكان متنكرة فى زى إمرأة عجوز

كادت تسقط مغشيا عليها من منظر الجثث المتراصة، صاحت مايوركا

اللعنة عليك يا بيدرو

اللعنة على كل زعماء الحروب

كيف تجبرون الأمهات على الاحتفال بموت أبنائهم

موت الأبناء ليس مفرحا أبدا

لا عجب إذا أنكم تخسرون كل معاركم أمام أهل كاستيليا العظماء الطيبون، وستخسرونها دائما.. ستظل تطاردكم لعنة هؤلاء الأمهات من ذويكم وذوينا أينما ذهبتم

لمحت مايوركا مليسا تتوسط الحاضرين تبدو فرحة حقا، تذهب وتجئ تشاطر الأمهات والزوجات الرقص على جثث ذويهم.. بجوارها تسير خادماتها يحملن كؤوسا من مشروب السيدر الذى تعده مليسا بنفسها من مكونات خاصة تزعم أنها تشفى الأرواح وتمنحها القدرة على تجاوز آلامها، أسمته باسم موطنها العظيم ليكون بلسما للأرواح كلما ذكر اسمها، هكذا تقول بينما تعطى مليسا الأمهات الثكالى والزوجات اللاتى ترملن للتو الكأس بنفسها ليشربن، ثم يبدأن حلقة الرقص المجنونة حاملين بأيديهن تماثيل صغيرة لآلهة الشمال المتعددة، لا تتوقف الحفلة إلا بسقوط الجميع فاقدين

الوعى فوق الجثث

اندمجت مايوركا فى مشاهدة الاحتفال .. أو فى متابعة مليسا

قصيرة .. ممتلئه.. تبدو ملامحها كما لو تم تجميعها من وجوه مختلفة لا تمت لبعضها بأى صلة، مليئة بالأصباغ حقا تخفى بها شعرها و أصابعها وأظافرها وجلد وجهها الباهت

غير أنها رغم ذلك فهى وسط هؤلاء النسوة المكلومات تبدو حنونة فعلا

تبدو كأمهم.. صادقة حقا فى مواساتها لهم كما تبدو فى هيئتها هذه كأجمل نساء هذا الحفل المجنون على الأقل حيث يفيض المكان عن آخره بالدموع والعويل الهستيرى من النساء المتشحات بالعصابات السوداء حول رؤوسهن، يخفين بها ملامحهن الضخمة اللاتى تشتهر بها نساء الشمال القبيحات

لا يستطيع عاقل تمييز أى صوت يصدر من أيهن.. الجميع ينتحبن

يحتاج الجيش لشحذ همته بأى شكل .. ولا شئ أقوى حافزا من دافع الانتقام لأبنائنا الذين راحوا

هكذا نصحها الجنرال الذى اكتشف أمرها، أتاها صوته مفاجئا اندماجها في الحفل ثم جذبها بهدوء قبل أن تتمالك نفسها لترد

أخذها بعيدا عن فناء القصر، في مكان راحته بين أشجار الآس والخشخاش والصنوبر

بادرها بقوله، هذا هو أنسب مكان بقصرى يليق بك

أترين؟ كيف أن بيدرو أيضا يجيد استقبال ضيوفه

ابتسم لاضطرابها وتلعثمها في الرد ،وأكمل كلامه

تبدين جميلة فى زى النساء

ردت مايوركا أخيرا، أبدو كامرأة عجوز

أجابها، ولكنك فى النهاية إمرأة

رفعت مايوركا رأسها عاليا لتطال قامة الجنرال، وحاولت رفع صوتها بما لا يلفت نظر الجنود المنشغلون بالحفل

أنا مايوركا قائدة جيوش كاستيليا

هزت ضحكة الجنرال أرجاء المكان كالعادة

استفزت ضحكته مايوركا التى انطلقت فى سباب متواصل بعصبية شديدة أمام ثباته ونظرة الاستهتار التى تعلو وجهه

تضحك فى كل مرة وكأنك لم تضحك من قبل... لو لم أرى نواجذك هذه فى المرة الماضية لقلت أن هذه أول مرة لك تضحك فيها بحياتك

لوت رأسها مبتعدة قليلا عنه، وسألته غير مازحة ألم يصادفك حدث مضحك في حياتك سيدى الجنرال سوى نكات مايوركا التى تدهشك إلى هذا الحد؟!

توقف بيدرو عن الضحك ليسمح لعينيه بفتح مقلتيهما على وسعهما لاستيعاب مايوركا داخلهما

ثم نظر إليها نظرة باتساع الفناء والحديقة معا اللتين تضمان فى آن واحد كل هذا التناقض

حب وعداء.. حزن وفرح.. خوف وأمان.. غضب وضحك

وسعتها نظرة بيدرو بكل كيانها الصغير ..

فسكتت هى الأخرى تاركة حالها بكامل اختيارها للارتماء فى حضن عينيه.. ليعم الصمت المكان

٤ دقائق كاملة بقى فيها الجنرال ساكنا تماما أمام عينيها

تستطيع مايوركا الآن حساب الوقت بالثوانى دون مساعدة من الحكيم ليوبو الذى حاول كثيرا تعليمها حساب الزمن

لا عناء في التعلم من دروس بيدرو، هو فقط يصب من عينيه شرحا طويلا بحجم عمق نظرته يخترق خلايا عقلها فتذوب فهما

تعرف الآن تماما الفارق بين ٣ دقائق و ٥٨ ثانية.. و٣دقائق و ٥٩ ثانية..و٤ دقائق كاملة.

لقد ظل ينظر متأملا في عينيها طيلة ٤ دقائق كاملة

٤ دقائق كاملة

لم يرمش جفنه فيها أو جفنها

كما لم يهتز له عضوا

لا تحركت أي من يديه ولا قدميه ولا واحدة من شعرات رأسه الكثيف

على غير عادة الجنرالات حليقى الرأس دائما يلفت نظرها دائما اهتمامه بشعر رأسه

من أين لك بالوقت لهذا الاهتمام برأسك قبل كل معركة؟!

يخترق سؤال مايوركا رأسها متجاوزا صوت القذائف من حولهما فى كل مرة تصادفه فيها

دائما ما كانت ترى القادة يستيقظون عابسين غالبا، ويذهبون للحرب دون غسل وجوههم، تتخيل أنهم حتما يحملون آثار الكوابيس المليئة بأصوات صراخ القتلى الذين طاردوهم طوال الليل فوق رؤوسهم.

أما هو فيطل عليها من بين جنوده مشرقا بهيا في كامل أناقته، ظنتها فى البداية خطة محكمة للإيقاع بأعدائه قبل الانقضاض عليهم

أطلقت دعابة قاسية فى وجهه...

_ لن تنقذك خصلات شعرك المتطايرة يا جنرال إذا ما اخترقتها السهام.. اتخذ لنفسك مظهرا يليق بقائد حرب إذا كنت تضمن مهابة جنودك، فاحرص على كسب مهابة أعدائك أيضا لا إعجابهم

.

_ من علّمك هذا؟؟ يريد القائد إعجاب الجنود أكثر من مهابتهم .. إن تسعة أعشار فوزك فى المعركة يأتى من محبة جيشك لك لا من مخافة أعدائك..

طأطأ بيدرو رأسه مفتلعا رقة مثيرة للسخرية بزيه العسكرى المثقل بالتفاصيل هذا

ثم قال لها

_ كما أنى لا أرى أمامى أعدائا فى حربى معك...

جدير بنا أن نعيش سويا فى سلام يا مايوركا

ضحكت مايوركا وخَفضت صوتها محاولة تقليد نبرة صوت بيدرو المستكينة فى حديثه الأخير

_ ومن أين للجنرالات بالسلام؟... أنتم تحبون ساحات الحرب فقط

الجنرالات لا يعرفون الحب

_ مخطئة يا مايوركا بل أتيتك باسم الحب هذه المرة

استعادت مايوركا عقلها التائه أمام هيبة بيدرو، وقالت بحسم يظهر منه ألمها السابق

_ لن تنطلى الحيلة على مايوركا هذه المرة يا جنرال.. لن تأسرني بعينيك حتى أسمح لك فى الغد بأسر أهلى وبلدتى كاملة

لقد تعلمت مايوركا المسكينة الدرس الذى لقنته إياها بكل قسوة

_ لا تكونى قاسية أنت يا مايوركا..، قال بيدرو برقة مشيرا بيديه لأغصان الأشجار التي تتهادى حولهما تحاول أن تقول شيئا، لا تهجرى الحب الذى يملأ قلبك وتسمحى للقسوة أن تتمكن منك

عكس القمر بضوئه دموع مايوركا التي ملأت حدقتيها لتظهر عباراتها واضحة لا تدع مجالا للشك بإصرارها على رأيها

_ كلكم تدّعون ذلك.. بالحب أتينا وللحب نحارب .. والحب هو ما يدفعنا للحرب..

حب الوطن.. حب الجيش.. حب العشيرة

الحقيقة أنكم أيها الجنرالات لا تحبون شيئا غير الدماء..تحاربون باسم المجد فى كل مكان

لا يرضيكم غير مشهد الرؤوس تتطاير من حولكم داخل ساحات الحروب

واصل بيدرو دفاعه،

_ كاذبون يا مايوركا

كل الجنرالات كاذبون

أنا أعرفهم جيدا تربيت بينهم وأعرفهم أكثر منك بكثير

نحن أضعف مما تتخيلى

أتعرفين لماذا يواصل الجنرالات الحرب بلا لحظة توقف للاستمتاع بالنصر

لا تعود الحياة تساوى شيئا لديهم

يذهب طعم كل شئ من أفواههم من كثرة ما شربوا مياة مالحة وكسرات خبز متعفنة فى ساحات القتال

ثم وبعد كل انتصار .. يعودون لبيوتهم بلا زاد يقيم الروح ويعينها على مواصلة الاستمتاع بالحياة

أمسك بيديها بحنو يواسى جراحهما هامسا برقة، يحلم كل منهم وقتها فقط بحضن إمرأة رائعة مثلك يضمه ليلا، يتمنى خسارة كل المعارك من أجل نظرة عين مثل عينيكِ

أجابت مايوركا المُصرّة،

_ وما الذى يمنعك؟.. فلتنهى الحرب؟

فلتنهها يا بيدرو؟

ادخل الآن واعلنها بين جنودك.. لقد انتصرتم .. انتصرتم بما يكفى وأثخنتم أهل كاستيليا جراحا تكفيها لدهر يا بيدرو

قل لهم أنك اكتفيت من الجراح بتلك التي تراها وتلمسها بين يديك الآن

كان القمر ساطعا بهذه الليلة بما يكفى ليضئ وجه بيدرو وعينيه الدامعتين أيضا، ليكشف الألم المختبئ بعبارات الجنرال

_ هى اللعنة يا مايوركا

هي اللعنة

تصيب كل من يقبض بيديه على السلاح..

لا يمكننا أبدا أن نتوقف..

لا يمكننا أن ننهى الحرب.

علينا أن نستمر حتى نموت

أفزعتها سيرة الموت، هل يموت الجنرال يوما؟!، تذكرت أنها مكلفة بقتله..

هتف قلبها، ولكنها لن تتحمل أبدا أن تراه يسقط بكل هيبته هذه على الأرض؟ ومن يجرؤ على قتله؟! جيشها؟ هى قائدتهم لا تجرؤ أن تفعلها؟؟

أيعقل أن يأتى يوما وتقتله بيدها؟

لا لن تستطيع.. تعرف هذا فى داخلها تماما

ومع هذا أخفت مخاوفها تحت نبرة ساخرة قالت بها وهى تنزع يديها من بين يدى بيدرو: مت إذا ولن تصل إلىَ.. هذا قدرك يا جنرال

غادرت مايوركا.. وعاد بيدرو للاحتفال بين جنوده غير أنه بدا ساهما يبتلع ريقه بصعوبة أكبر من ابتلاع مشروب السيدر المُر

خانه ذكائه هذه المرة

يصيبنا الحب بالغباء يجعلنا حمقى نسئ التصرف..

كيف ظن أنها سترتمى بين أحضانه ما أن يُسمعها أول كلمة غزل وتعلن انسحابها من الحرب وتسليم كاستيليا ونفسها له.

مايوركا عنيدة وقوية لديها حقا بأس القادة ورباطة جأشهم، لا يعلم من أين أتت بكل هذا.. لقد أنفق سنوات طويلة من عمره فى التدريب على فنون الحرب والقتال حتى يصل لقوة نبرة صوتها التى تضاهيه بها فى الحديث

همس بيدرو لنفسه، تحاول كلماته اللحاق بمايوركا في هرولتها بعيدا دون جدوى

سأموت إذن دون أن أضمك يا مايوركا... أعرف هذا

فقط أتمنى لو تطول هذه المعركة للأبد...

لن أسمح لك بهزيمة مملكة الشمال ..

لن أقبل بأن يكتب التاريخ أن فتاة صغيرة هزمت جيش الجنرال

ولكنى بداخلى قبلت بهزيمتى أنا الشخصية أمام عينيكِ...

زاحمت الدموع المتدفقة من عينى بيدرو لا يلحظها سوى أوراق الأشجار التي صمتت فجأة أسئلته الخرساء بلا جواب، لم انهزم فقط يا مايوركا بل انسحقت تماما...

أعرف هذا جيدا

كيف يمكن أن ينتصر جيشى بدونى عليكِ؟

كيف استطيع أن أحقق هذه المعادلة الصعبة ؟

اهزمينى أنا..

اهزمينى يا مايوركا واتركى جنودى ينتصرون

هل تقبلين بذلك؟؟ أيرضيكى أن تأخذينى أسيرا وتتركى هذه المعركة؟

***

اليوم الأحمر

ليست هنا مايوركا لتسمع

ذهبت لمكان لا يصلها فيه بيدرو ولكن تتسرب فى داخلها كلماته

تواصل لعب دور الأميرة الصغيرة بمهارة فائقة

ليس الإعداد للمعركة فقط هو كل شئ.. لابد من الاعتناء بالجنود وشحذ همتهم

تعلمت الأميرة الدرس جيدا

وفى صباح اليوم التالى أطلقت مايوركا نفير البوق بنفسها ليستيقظ الجميع على صوتها تعلن حالة الاستنفار لتخرج الجميع من يأسهم وحزنهم وآلامهم

فليستعد الجميع من الآن

ستعود كاستيليا للاحتفال باليوم الأحمر

اليوم الأحمر!!

كانت احتفالات كاستيليا باليوم الأحمر تستمر كل عام مع نهاية فصل الربيع لثلاثة أيام متتالية ابتهاجا بحصاد الكرز

تبدو البلدة ملونة تماما باللون الأحمر حيث يسير كل السكان يحملون سلال الكرز فى كل مكان

أوقفت كاستيليا احتفالاتها.. فقدت البلدة بهجة حصاد الكرز منذ بدأت الحرب مع مملكة الشمال

بات اللون الأحمر المسيطر عليها هو لون دماء أبنائها الذين يسقطون كل يوم فى المعركة

كيف ذلك يا مايوركا؟؟ تعالت التساؤلات

فردت بحنكة قائد ماهر يعرف ما يخطط له؛ يحتاج الجنود دائما لشحذ الهمم

كان أكثر الفرحين بعودة اليوم الأحمر، تريشا و راما صديقات طفولة مايوركا، أوكلت إليهما الأمر لتنظيم كل شئ بما فى ذلك تلقين الأطفال الأغنيات المحببة

يا كررز كاستيليا الأحمر

يا قلب كاستيليا الأحمر

هل تسمع يا صغيرى

صوت الطيور
يا كرز كاستيليا الأحمر
يا قلب كاستيليا الأحمر
هل ترى يا صغيرى
لون الزهور
يا كرز كاستيليا الأحمر
يا قلب كاستيليا الأحمر
هل تشعر يا صغيرى
معنى السرور
أعادت هي أيضا الشدو بغنائها بين الجنود تضمد بصوتها جراحهم
يا كرز كاستيليا الأحمر
يا قلب كاستيليا الأحمر
اقرع إذن صوت الطبول
يا جيش كاستيليا الأحمر
اغضب فداءا للوطن..
يا أيها الجندى الجسور
نجحت مايوركا في شحذ الهمم، وفى نشر الفرح وفى زرع أمل جديد بالنصر والحياة
الإقبال على أرمنتا صانعة الثياب الماهرة فاق العادة حتى أنها احتاجت مساعدة تريشا وراما لتستطيع تجهيز الزى التقليدى للجميع
أين ذهبت أزيائكم القديمة؟! تسائلت العجوز مستنكرة
لم يمر قرن من الزمان بعد ليفقد الشعب كله ملابسه
ماذا دهاكم يا كاستيليين؟
هل ألقيتم بمتاعكم كله فى البحر حين أوشكت السفينة على الغرق؟!
أنا أحتفظ بزيي منذ كنت فى الرابعة عشر من العمر، خاطبت أرمنتا تريشا وراما

وهل مازال يناسبك أيتها المرأة العجوز

ضحكت الفتاتان وكذلك أرمنتا حتى اهتزت قطع اللحم المنبجسة من جميع أطرافها .. صحيح يهتز كل طرف فى أرمنتا بزوائده الخاصة كلما سارت أو وقفت أو ضحكت إلا يديها..

أرمنتا أمهر من يقص الثياب

راحت الفتاتان تساعدانها فى قص القماش الأحمر الكبير لتجهيز مريولات وشرائط شعر حمراء للبنات

و أوشحة وعباءات للظهر للفتيان

لا تخيطى لنا شيئا أرمنتا لدينا فساتيننا الحمراء، قالت الفتاتان

حمد لله أن هناك عاقل لم يقذف بملابسه في البحر بعد فى هذه البلدة

هتفت أرمنتا بارتياح

يفقد الجميع الأمل

إلا أنثى مازالت تنتظر أميرها ليأتيها ذات ليلة يحملها إلى بعيد حيث يمكن تحقيق الأحلام

لمايوركا أيضا فستانها الأحمر الذى صنعته بنفسها منذ سنوات ذات ليلة تشاركت فيها وصديقتها سباقا لصنع أجمل فستان أحمر ضمن ألعاب صباهم

تلقت يومها سخرية شديدة من أبيها

فستان أحمر!

صرخ والدها

أهذا ما تضيعين وقتك فى فعله؟

وإلى أين ستذهبين بالفستان الأحمر يا بنت عيدار المزارع؟!

هل تظنين أن بإمكانك حمل سلة الغذاء بفستانك هذا؟!

سأرتديه يوما ما

عندما ننتهى من موسم الحصاد سأرتديه، لنخرج أنا و تريشا وراما نتمشى سويا على شاطئ البحر

ضحك والدها وغيّر لهجته المعاتبة

دائما ما كان يهديها أبيها دلالا يكفي لتعويضها غياب أمها وإخواتها، والعالم كله لو اختفى ولما الانتظار ارتديه كل يوم واحلى كما تشائين، قال الأب الحنون

ولكن احذرى فقط

لا تخرجى على أهل كاستيليا بهذا الفستان أبدا

فأنا يكفيني سخريات الجنود البائسين التى لا يبدو لها نهاية

كلما هزمتهم الحرب لم يجدو أمامهم سوى هذا العجوز لإخراج غضبهم فيه

لا تحمل هما يا أبى

ربتت مايوركا على كتف والدها الذى يعاني الكثير من معاملة الجنود له، وسخريتهم من عاهتيه عينه اليمنى التى فقدها في إحدى المعارك، وقدمه اليسرى التى فقدها فى يوم آخر حين صادفه جنود مملكة الشمال وركضوا خلفه محاولين الوصول من خلاله لمعسكر جيش كاستيليا

صعد العجوز الجبل قدر ما استطاع فى محاولة لتضليلهم.. يعلم تماما أن جنود بيدرو يهابون جبل جينوم ولا يفكرون فى تسلقه أبدا

هرب الجنود بالفعل ثم التفتوا للخلف على صوت الارتطام الناتج عن سقوطه على الأرض بفعل رمال الجبل الناعمة

أصيبت قدمه ولم يجد من يسعفه

صوت ضحكات جنود الشمال كان مستفزا حتى أنه تحامل على قدمه المكسورة ليحرمهم من لذة رؤيته مهزوما

فأر كاستيلى، تعالت صيحاتهم من خلفه

لو كان فى إمكانه أن يقتلهم جميعا لفعل ولكنه لم يكن يملك سوى سلة الغذاء التى لا تصيب كلبا، وليس ذئاب جيش بيدرو المتوحشين

هرب من أصوات سخريتهم مستجمعا قوته ومضى يجر قدمه المكسورة قسرا عائدا إلى داخل حدود كاستيليا

عندما وصل إلى الطبيب كان الأمر قد انتهى ولا مفر من قطع القدم حتى لا يتسبب الأمر فى موته حكى العجوز هذه الحكاية العديد من المرات أملا فى أن يجد تقديرا لبطولته أو تعاطفا

ولكنه بدلا من ذلك راح يحصد السخريات حول إزدواج عاهتيه
لم يكتف الرب بأخذ عينك هاهاها
وماذا ستفعل الآن أيها العجوز؟
انقل عينك السليمة إلى قدمك أو انقل القدم السليمة مكان عينك
وامضى بعاهة واحدة بدلا من عاهتين
ها ها ها
عادت مايوركا من ذكرياتها على صوت أرمنتا التى جاءت تبشرها
الجميع جاهزون يا أميرة
أعدّى بذلة الكرينتا الحمراء وزينيها بالأشرطة الذهبية كالمعتاد
ضحكت أرمنتا
ستبدين فاتنة فى بذله الكرينتا يا أميرة
صحيح أنها كانت دائما للرجال
ياااه ذكرتينى بكم أعددت بذلات الكرينتا لقادة كاستيليا القدامى
لا أعلم كيف ترك لنا الأجداد العظام هؤلاء الأحفاد الذين ما ترددوا لحظة فى الفرار بأنفسهم وترك بلادنا تصارع وحدها
لولاكِ لكنا جميعا فى طى النسيان، قالت أرمنتا بامتنان
لم يكن أحدا ليذكر هذه البلدة المسكينة ولكان انمحى ذكرها فى الوجود
ولأصبحت مجرد جزءا ضئيلا عديم القيمة فى مملكة خوان العظيم كما يحلم المجنون بيدرو
جرح ذكر بيدرو بالسوء مايوركا
فاستوقفت أرمنتا المسترسلة فى الحديث مصدرة أمرها الصارم
بذله الكرينتا الحمراء ليست من أجلى أنا
سأرتدى فستانى الأحمر
مثل كل صبيات كاستيليا نغنى سويا.. كما كنا نفعل دائما
لمن البذلة إذن يا أميرة؟! سألت العجوز

للشريف"عيدار"
والدى
بدا الأمر كما لو أن المجد يعود
بدأت الاحتفالات
جميلة كاستيليا كما كانت دائما، ائحة الكرز تنطلق من كل البيوت
هنا دافئة مثل فطيرة الكرز المعدة للإفطار، وهنا حارة مثل شراب الكرز الساخن المفضل لرجال كاستيليا، وهنا باردة منعشة كقطع المثلجات الشهية التى يتهافت الصغار على شرائها
تجيد نساء هذه البلدة صنع كل شئ بالكرز
بدا الأطفال تحديدا سعداء، جيل كامل من أطفال كاستيليا يذوقون طعم الفرح لأول مرة بحياتهم اليوم
استمرت الفرق الموسيقية فى التجول بالدفوف والأبواق والأعلام الحمراء معلنة الفرح فى أرجاء البلاد يتبعها الصغار بأزيائهم المبهجة
غير أن الزحام الذى داهم غابة هيرتشى الملاصقة لجبل جينوم بفعل أعداد العشاق المتدفقين عليها كان الأكثر حُمرة .. الأكثر بهجة.. والأكثر صخبا وجنونا يشبه الجنون الذى أصاب قلوب صبايا كاستيليا وفتيانها
أين كان يلتقى كل هؤلاء قبل مجئ اليوم الأحمر!
تسائلت تريشا وراما؛ وهن يحكين لمايوركا ذكريات اليوم المضحكة، وكيف ظنت الفتاتان أنهما الوحيدتين اللتين تجرأتا على إعلان حبهن بمناسبة اليوم الأحمرفى غابة هيرتشى بأشجارها دائمة الخضرة، انطلقت الفتاتان تحكيا كيف كان لقائهما مع جيريد وألكسو وكيف ازدحمت الغابة فجأة بأزواج العشاق
كل زوجين يظنان نفسيهما وحدهما أصحاب فكرة الذهاب إلى هيرتشى قبل أن يهطل المطر ويفسد على الجميع متعتهم ويفسد الفساتين الحمراء بالطين الكثيف الذى ملأ المكان
لا يبدو الحديث مضحكا أبدا لمايوركا
فقد اتسعت الغابة لجميع المحبين بكاستيليا، حتى الجنود المتعبون وجدوا أخيرا مكانا للراحة

سعيدة هى بعثور صديقتها على فتيان أحلامهما، جيريد وألكسو هما أمهر جنود كاستيليا، وتريشا وراما هن أجمل بناتها وصاحبات نسب عال، لولا كونهما من الفتيات لصرنا من أصحاب الحق بارتداء الكرينتا اليوم لقرابة والدتهما البعيدة بجدة من نسل عائلات الأجداد ما أهلهن لتلقى تعليم جيد

رافقتهما مايوركا في دروسهما السرية التي لقنهن إياها ليوبو، ورافقنها في رحلتها الجديدة والتقيا بذلك بالقائدين الماهرين

لا عجب أن يجد كل منهم الآخر عند أول فرصة لذلك.. حيث وجد كُلٍ رفيقا لروحه

إلا هى...

بدت مايوركا شاردة لا تبادل صديقتها فرحتهما وأمام استغرابهما بررت موقفها بانشغالها بأمور الحرب

قولى لي يا مايوركا أن هذه الحرب ستنتهى بخير، وسيعود ألكسو سالما، قالت تريشا بيأس

ثم صاحت راما آه قولى يا مايوركا أرجوكى ... تعرفي أننا صديقتيك الحميمتين لطالما كنا نأخذ برأيك فى كل شئ

لم ترد مايوركا ولم تقل شيئا

أدركت الفتاتان أن مايوركا لم تعد صديقتهما البسيطة ذاتها وأن هناك أمورا أكبر تشغلها فتركتا المكان ليكملا ضحكهما وليتابعا قصصّ غرامهما من حيث انتهى الأمر

شردت مايوركا لا تدرى تحاسب نفسها أم تشفق عليها

هل كان يمكن أن تكون هناك الآن فى غابة هيرتشى بفستانها الأحمر!.

وهل كان ليكون هناك يوم أحمر من الأساس إذا لم تكن مايوركا تخلت عن حلمها بارتداءه والسير بين أشجار غابة هيرتشى ممسكة بيد حبيبها كما كانت تحلم دائما بدلا من هذا السيف الثقيل!

لم تستطع مايوركا ارتداء فستانها والخروج هكذا فى الطرقات وسط أهل كاستيليا

لن تجلب السخرية لأبيها اليوم

ولكن ستجلبها لنفسها

خشيت مايوركا أن تثير سخرية الجميع وضحكاتهم

كيف سيتقبلون قائدة جيش ترتدى فستانا أحمر!
لا يمكن أن تختال وسط جنودها بفستان أحمر أبدا
ثم ماذا سيفيد الفستان .. وماذا كان يمكن أن تفعله وحدها فى غابة هيرتشى
وقد ذهب قلبها بعيدا.. بعيدا جدا فى أرض الأعداء
حيث لا يمكن أن يستقبل حبيبها أية دعوة سرية لمشاركتها الاحتفال، وحيث يهدد وجوده معها الأشجار الدائمة الخضرة بالاحتراق

***

الولاء

اليوم الثالث للاحتفال هو أكبر الأيام، يفتح فيه القصر الأحمر الأبواب لاستقبال الجميع الجنود والقادة ومن يستطيع اللحاق "لحسن حظه" بالحفل من أبناء الشعب

حفل كبير تتوسطه مايوركا بزيها العسكرى المعتاد.. فقط أضافت إليه وشاحا أحمر، وبجوارها أجلست والدها وهو يرتدى بذلة الكرينتا الحمراء

نظرات الوجوم التى غطت وجوه الجنود تغالب بالكاد ضحكات السخرية التى كان عليهم كتمانها

هل عليهم الآن أن يقدموا فروض الولاء للشريف "عيدار"

حاول الجميع تجاهل الأمر كما لو كانوا نسوا هذا التقليد من قائمة الطقوس الاحتفالية

غير أن مايوركا استدعت ليوبو وهمست فى أذنه ليطلق النداء فى البوق

فليتقدم الجنود لتقديم فروض الولاء للشريف عيدار

تقدم الجنود بتردد يخفون تململا واضحا جدا على وجوههم

انتهت فروض الولاء وانتهى الاحتفال وعادت كاستيليا لجمودها الذى أصابها

انتشر القلق بين الجنود لا يُعرَف من بينهم الذى بدأ الحديث حول ما فعلته مايوركا

_ كان من غير اللائق إجبارنا على الانحناء لأبيها المزارع، قال أحدهم

_ وهل نسيتم أنها أصبحت قائدة الجيش؟ قال إيزندر

_هذا لا يبرر فعلتها قال آخر

مايوركا شئ والمزارع ذو العاهتين شئ آخر

_ مادمنا ارتضيناها أميرة فمنطقى جدا أن يصبح أبيها شريف البلدة، رد إيزندر

_ لا يا إيزندر ومن قال أننا ارتضيناها أميرة

هى مجرد ظروف حتى تنتهى الحرب، وحتما سيعيد مجلس القادة السبع تولى الأمر

_ أى قادة سبع، صاح جندى

لقد فروا جميعا أنسيتم يا جنود كاستيليا.. لم يبق أحد

_ رد الجندى، هناك أنت يا إيزندر... على الأقل تبدو فى بذلة الكرينتا هذه أكثر وجاهة من ذى

العاهتين هذا

تدخل جندى آخر استفزه سب عيدار ومايوركا

_ ما هذا الذى أسمعه؟!

لولا مايوركا ابنه المزارع ذو العاهتين هذا لكنا جميعا أسرى بيدرو الآن

لم تنته المعركة بعد يا جنود كاستيليا حتى تبحثون عن طريقة توزيع الغنائم

مازال كابوس الأسر يطاردنا من خلف خندق الرووم

_ قل لنفسك هذا إذا، لم تفعل مايوركا شيئا بعد يستحق كل ما حققته لنفسها وأبيها، رد الجندى ذاته قبل أن يترك المكان ويغادر النقاش، حيث تعارضت رغبات الجميع وآرائهم حول ما حدث ثم اتفقوا على إغلاق هذا الباب والخلود للنوم

وحده إيزندر راح يتأمل وجهه فى ماء العين .. ويعيد فى أذنيه صدى العبارة ذاتها مرات ومرات "هناك أنت يا إيزندر..على الأقل تبدو فى بذلة الكربنتا أكثر وجاهة من ذى العاهتين"

***

الشريف عيدار

أثار ذكر القادة السبع وسلالتهم فى نفس إيزندر حنينا غير مناسبا للشعور بالامتنان والعرفان بالجميل الذى يكنّه هو والآخرون لمايوركا، لكنه لم يستمر كثيرا طار سريعا كعادة عقل إيزندر الخفيف ليستسلم لنومة الأطفال التي يحبها بجوار العين

نامت تريشا وراما أيضا ومثلهما معظم فتيات كاستيليا سعيدات وقد رسمت كل منهن فى خيالها أحلاما كثيرة بعدد أوراق الشجر التى تم اقتطافها من غابة هيرتشى لنقش الأسماء والأمنيات عليها ثم إلقائها فى البحيرة كعادة فتية كاستيليا

عملا شاقا قضت فيه الفتاتين ومعهما الجنديين الماهرين ألكسو وجيريد وقتا طويلا لإعادة تنسيق الفوضى التى تسبب فيها اليوم مما دفعهم للنوم بعمق وأضاع عليهم الجدل الدائر بين الجنود وعلى مقربة غاص الأطفال أيضا فى نوم أعمق بفعل الاحتفالات المثيرة

كانت أجمل أيام العمر للجميع

وخصوصا للشريف "عيدار"

دخل الأب المسكين يتحامل على ساقه السليمة لمساعدته على السير لحجرة مايوركا بالقصر الملكى الذى نقلت نفسها وأبيها إليه اعتبارا من اليوم الأحمر

انحنى محاولا تقبيل قدميها

لقد وضعتينى موضعا لم أكن لأحلم به اليوم يا أميرة

من اليوم لستِ الطفلة الصغيرة التى كانت تحمل عنى سلال الغذاء وتساعدنى فى العمل

أنت الأميرة مايوركا

آمنت بذلك

مدت مايوركا يديها لوالدها لينهض

قالت، وأنت والد الأميرة وأميرها يا أبى العزيز

سأظل طفلتك التى تحمل عنك سلال الغذاء لآخر العمر

لم يعرف قلب هذا العجوز السرور منذ ماتت أمك وتركتك صغيرة يا مايوركا.. كان هناك دائما

عبء رعايتك ورعاية مزرعة الكرز، وأضافت إليهما الحياة هاتين العاهتين لتمنع أى أمل فى حياة أفضل لعيدار المسكين

ستكون هناك حياة أفضل يا أبى

ستعيش كثير لترى ذلك.. أنا أعدك

طبع والدها قبلة فوق جبينها، وانطلق فى بكاء اختلطت فيه السعادة المتسربة لأول مرة لروحه التى كدّها العمل فى معسكرات الجنود بكل مشاعر الخزى والتعب التى أصابته طوال عمره وهو يحمل إلى الجنود الطعام والفاكهة ثم يتلقى منهم في المقابل سخريتهم..

"ذو العاهتين" هذا اللقب الذى لم يفارقه يوما

وأخيرا جاء دور الحكيم ليوبو الذى كان وراء قرار انتقالها للقصر

ألقى عليها تحية المساء ليطمئنها بأن كل شئ سار على أفضل ما يرام

لقد أدخلتى السرور لقلب كل فرد فى البلاد اليوم يا أميرة

شكرا لك

شكرا لك نيابة عن كل أهل كاستيليا

حسنا فعلتى بانتقالك للقصر

جزء كبير من هيبة وضعك بين الجنود يأتى من ارتداء زيك هذا بشارته الحمراء ونجومه البراقة، ومن كرسى العرش الذى يضيف إليك مهابة فى قلوب الجنود لا غنى عنها للنصر، ومن إكسابك نسبا بمنح والدك لقب الشريف

لن يجرؤ الجنود على مخالفة أمرك بعد الآن فى المعركة وقد تلقوه وقوفا بين يديكِ فى ساحة هذا القصر

لم أكن لأفعل ذلك لولا إلحاحك أيها الحكيم

لم يكن هناك مفر من فعل ذلك يا أميرة ... لن تهدأ همهات الجنود ولن يخرس مثيرى القلاقل سوى بانتقالك للقصر

ما عاد النصر اختيارا وما عادت المعركة نزهة يستعيد فيها الجنود روحهم بالانخراط فى قتال غير هادف

يجب أن يكون كل شئ فى موضعه الصحيح منذ الآن..

وهل يقبل أهل كاستيليا ذلك، لن ينسى لك أحدا أنك أخرجت خاتم الملك من أجلى

تمالك ليوبو السيطرة على جسده المتعب الذى يكاد يتهاوى، وعلى ملامح وجهه الغائمة في حفره .. أمسك بالخاتم الذى تحمله مايوركا بيديها وقال بلا تردد، لقد منحت بهذا الخاتم البركة باسم الإله لقادة كاستيليا واحدا بعد الآخر ليقوم كل منهم بدوره في رعاية هذه الأرض وصونها، كان هذا الخاتم غاليا، ولم يكن بإمكانى التهاون في أمانة منحه لأى شخص

ستموت كاستيليا بيدها قبل أن يهزمها الأعداء.. كان أهون علىّ أن أراها تصارع الأعداء لبقائها حرة لا أن أراها تنتزع أحشائها بيد أبنائها يتنافسون على حمله، ولكنه أمام ما فعلتيه لأجل كاستيليا صار ليفخر بأن يمس يدك يا مايوركا

ابتهجت مايوركا بكلمات الحكيم، انحنت لتقبيل يده، ليسحب يدها إلى رأسها معيدا كلماته التي فاجأ الجميع بها في اليوم الأحمر

من الآن أنت مايوركا أميرة البلاد وقائدة جيوشها.. صاحبة الأمر والنهى في كل شيء

هذه البلاد بأمانتك ورعايتك، رفع نظره للسماء قائلا، الآن يمكن لقلب ليوبو الذى تعذب دعاءا وبكاء لأجلك أيتها الأرض الحمراء أن يرتاح

أتمنى أن يفلح الأمر كما خططت أيها الحكيم، قالت مايوركا بوجل ظاهر تتحسس الخاتم بيدها، التفتت حولها لتجد الحكيم قد اختفى دون أن يجيبها

***

موت الحكيم

كان هذا آخر جميل قدمه ليوبو لمايوركا ولكاستيليا

استيقظ الجميع على خبرة وفاة الحكيم يزلزل البلدة كلها.. عادت كلماته الأخيرة تصدح في أذنى مايوركا مرات ومرات "لقد فعلت كل ما فى وسعى" "أنا الآن مرتاح تماما، هكذا اكتمل دورى"

هل كنت ترثى حالك أيها الحكيم؟ هل كانت هذه كلمات الوداع؟

بكت مايوركا بكاءا حارا ، حزن لا يشبهه حزن آخر، ولا حتى هزيمتها أمام بيدرو ألقت وفاته حجرا ضخما بداخلها، هوى قلبها وعقلها وكيانها الذى تتضائل على ضآلته ليحيل القصر الواسع من حولها إلى غابة موحشة ليس بوسع وحنو غابة هيرتشى، ولا حتى برحابة ولطف أجواء حديقة بيدرو الصغيرة المجاورة لقصره

إن هذه الهوة السحيقة التي سقط فيها كيان مايوركا، تتسع بحجم تاريخ كاستيليا العريق وحاضرها المتأزم ومستقبلها المرهون باصبعها الآن

ليس مقدرا لكاستيليا أن تفرح، قالت لألكسو الذى تولى إتمام مراسم الدفن والحداد

لم يهنأ أحد بالسعادة التى خلفتها احتفالات اليوم الأحمر

لملمت كاستيليا مظاهر الاحتفال سريعا ..اختفت الأعلام الحمراء فى لمح البصر وكأنها لم تكن هنا يوما، وعاد السواد والحزن يطلان من كل مكان وخاصة من بين جنبات القصر الذى ما كاد يضئ أنواره حتى أطفأها

خافت مايوركا الأصوات الغاضبة التي انتهزت موت الحكيم لتعلن عن نفسها بوضوح وعن رفضها انتقال مايوركا وأبيها للقصر، حاول ألكسو مساندتها ولكن إظهاره الدائم لولائه لها أمام الجنود لم يكن كافيا لدعمها

نقلت إقامتها لخيمتها بحجة الإشراف على المعركة دون أن تعلنها صريحة أنها لن تسكن القصر، بقى القصر مفتوحا، تزوره مايوركا بين الآن والآخر لتثبت سيطرتها الشكلية على البلاد ثم تقضى باقى الوقت بالمعسكر تحاول إثباتها بشكل أكثر واقعية على أرض المعركة

انتهت الأحزان شيئا فشيئا، ولكن الفرح لم يظهر بعد

لن تعاد احتفالات اليوم الأحمر حتى إتمام النصر، كان هذا قرارها، كما قررت أن يخلع الجميع

بذلات الكرينتا التي صار كل من له نسبا بعيدا أو قريبا بالأجداد يتحين أي لحظة لارتدائها

لا غيرة

لا حزن

لا فرح

لا فخر

لا شيء

لا شيء يا أهل كاستيليا قبل النصر

***

نيران الغيرة .. نيران الحزن.. نيران المعركة

ليست الأحزان وحدها ما يمزق القلب، مرت الأيام كئيبة على مايوركا، اجتمع عليها كل شئ

تعلم أن بيدرو ذهب بعد نجاحه فى المعركة الأخيرة للحاق بزوجته وأبنائه فى زيارتهم لبيت الجد الأكبر والد مليسا بأرض السيدر

غيرة تعصف بكل محاولاتها للتفكير فى أى شئ آخر

أسئلة أهم من النصر تحاصر هذا القلب المتعب الآن وعليه أن يجد أجوبة لها

كيف ستمضى الأيام فى انتظار عودتك؟

هل نسيت هناك أمرى؟

بأى وجه ستعود يا بيدرو؟ بعد كل مايقولونه عن رغد العيش فى مملكة السيدر.. كل شئ هناك كبير القصور والحدائق والموائد

كيف ستعود عينيك لالتقاط هذه الصغيرة مايوركا بين ساحات المعركة؟!

آآه لكم اشتقت للمعارك

أدمنت الحرب فعلا كما قلت أيها الجنرال

ولكنى

لا أعرف الآن هل هى من أجل الوطن

أم من أجل الالتقاء بعينيك

ولكن أى راحة سيعرفها قلب مايوركا الآن إذا تركت لك وطنها وأرضها فداء لسحر عينيك

أليس من الأفضل أن أستغل غيابك للإعداد للنصر..وسحق جيشك الذى هو حتما أضعف الآن بدونك؟

وإذا عدت بيدرو.. وعادت إليك شراستك لتذيقنى بجنونك مرارة دماء أهلى بانتقامك

أو إن غلبتك أنا وجاء النصر

أنا لا أعلم كيف سيكون مذاق هذا النصر إذا اختلط بدمائك

آآه

ستشقى مايوركا على كل حال وسيسعد أحدكما على حساب قلبها الجريح

ليت هؤلاء المثيرين لمشاعر الغيرة حول مايوركا يدرون شيئا عن ورطتها
عن قلبها المتعب بينك وبين وطنها
أنت أو كاستيليا
كاستيليا أو أنت
ما هذا الجحيم
يا إلهى
فلتذهب مايوركا لأى مكان قبل أن ترى نهاية لهذا الصراع

***

مليسا زوجة الجنرال المجنونة

اختار الجنرال زوجته بعناية شديدة كما يفعل فى كل شئ بحياته، ابنة حكيم مملكة الشمال المفضلة، تعلمت فنون الطب من والدها كما ورثت عنه الحكمة والدهاء، أصابتها أنباء انشغال قلب زوجها الجنرال بجنون وعصبية أفقدتها كل شئ أنوثتها ورقتها وعلاقتها بأبنائها وحب الآخرين وتعاطفهم غير أنها مازالت ملجأ أهل المملكة الباحثين عن العلاج من جروح الحرب.. أو عن طريقة لإقناع بيدرو بطلباتهم فهى الأقرب إليه

_ أليس هناك حل لمايوركا هذه ..لإقناعه باقتلاعها من قلبه، كيف تتركين الأمر هكذا يا أمى سألتها زيمينتا ابنتها الكبرى

تشعر مليسا وتعلم تماما ما الذى أصابه؟؟ غير أنها فضلت الصمت.. لا تريد أن تحكى فيتحول المسكوت عنه إلى واقع يجبرها على التعايش معه

لقد وقع الجنرال فى حب الجرذة الصغيرة مايوركا، تعرف هذا

تركت مليسا ابنتها بعد أن نهرتها

_ صه يا زيمينتا؟ ليس بيدرو من يخطئ خطأ كهذا .. الأمر أكبر من ذلك هى حرب العمر.. وفى الحرب كل شئ مشروع ولو كان خداع بحب زائف

لا تبدو مايوركا هذه سهلة كما تصورناها، كان الجنرال محقا أن حربه معها تحتاج لتخطيط من نوع خاص، قالت جملتها الأخيرة يعتصرها الألم تداريه بألوان الصباغ التي تغطى وجهها

اقتنعت زيمينتا برأى أمها وتركتها وحدها لتهرب إلى مرآتها كما تفعل كل يوم لترى ما الخطأ الذى ارتكبته، ليس هناك من يعرف فنون الحب والجمال مثلها وليس فى المملكة أشهر وأعظم من مليسا ابنة الحكيم

استقبلته شابا مجروحا حين جاء إلى أبيها طلبا للعلاج بعد إصابته الخطيرة فى إحدى المعارك فداوته بنفسها، كان فى حالة ميئوس منها

لا حل سوى حكيم السيدر لعلاجه .. أذهلته بشخصيتها وحكمتها فى آن واحد.. لم يغادر الجنرال بيدرو مشفى الحكيم إلا حاملا مليسا فى يده كزوجته

عاشت معه عمرا طويلا زوجة وصديقة وشريكة فى كل معاركه، وأما لأبنائه تفخر به دائما

وتسانده

كيف يا بيدرو؟.. كيف تترك كل هذا وتقع فى حب عدوتك التى تتمنى موتك؟!

لقد منَحتُك الحياة والنجاح والفخر كله، أما هى فلا تعدك سوى بالموت والخزى والعار

جاءها يشكو من أعراض الصداع الذى ما عاد يفارقه بعد انتهاء الوليمة التى تم إعدادها خصيصا على شرف زيارته

أعطينى شيئا يهدئ ألم رأسى يا مليسا

تعلم مليسا تماما أن الصداع ما هو إلا حجته لتفادى لقاءها يوميا

سيقتلك الصداع يوما يا بيدرو، قالت، أو فى أحسن الأحوال سيصيب رأسك بالجنون

داعبها بيدرو كيف تتركينى أموت

أأموت وأنا لدى أعظم طبيبة فى المملكة؟

ليتنى أستطيع أن أعالجك، ليتنى أستطيع أن أنقذك يا بيدرو

ليس لك علاجا عندى يا بيدرو.. علاجك هو رائحة دماء الجرذان الكاستيلية

أنت لن تشفى إلا بنهاية هذه المعركة

علمت مليسا أنها استطعت فتح جدران عقله كعادتها، فأكملت حديثها المفضل باستعراض مهارتها في فتح أدمغة القادة المهزومين واستخلاص سرها ومنحه لزوجها هدية في شرابها الخاص الذى تعده له بعد كل نصر

هل تعرف يا بيدرو عندما تعود برأس هذه الحمقاء سأجففها بنفسى

دعنى أرسلها أنا هذه المرة فوق جبل جينوم

لا يليق بك أن تمس رأس امرأة ... اتركها لى

سأبدأ بنحل شعرها الذى يتحاكون عنه هذا وأحتفظ به ثم سأقتلع عينها وأضعهما فى خاتمى وسأحفر رأسها وأحشوه بخلطاا!...

كفى، صاح بيدرو

كفى يا مليسا

لطالما كانت حوارات مليسا حول تحليل الجثث التى تأمر الجنود بإحضارها من المعارك من بين

أشلاء الأعداء واستخلاص ما يلزمها منها لأغراضها الطبية مثيرا، يسعد الجنرال ويباهى بمهارة زوجته فى التحنيط والعلاج، لطالما كانت مليسا شريكته في الحرب وفى جنونها

ولكن هذه مايوركا

كيف أمكنها أن تقول هذا عنها؟؟

كيف تتصورين أنى سأسمح لك بذلك؟؟

سائل بيدرو نفسه وهل يأتى اليوم الذى أتركها فيها لمليسا تصنع أفعالها الشنيعة هذه فى جسدها؟!

أنهى بيدرو الحوار مع مليسا بوعد كاذب بأن يترك لها رأس مايوركا لتفعل به ما تشاء

قبّل رأسها ويديها وغادر الحجرة، اجترّ كل الطعام الذى أكله للتو تحت تأثير القشعريرة التى شعر بها فى حلقه، ثم ذهب للنوم وحيدا محتضنا ألم معدته الذى أضافته مليسا لأوجاع رأسه.. بينما بقيت مليسا تبكى وحيدة أيضا فى غرفتها... بعد أن ضاع أملها فى أن يبقى الجنرال بجوارها الليلة كما توقعت عندما رأته قادما لغرفتها

لم تنل منه سوى قبلتين على رأسها و يديها أثارتا فى قلبها من الحزن أكثر من كل مرارة الهجر التى يذيقها لها الجنرال منذ بدأت حربه الأخيرة

دائما ما كان يقبّل الجنرال رأسها ويديها فى كل ليلة قبل أن يذهب لينام.. وكان هذا يسعدها.. لا تعلم مليسا لماذا كانت تتمنى هذه المرة لو احتضنها، لو عصرها بين يديه.. لو قبّل شفتيها بدلا من رأسها...

معتاد بيدرو على أن ترتمى الجميلات تحت قدميه بدءا من زوجات قادة أعدائه، دائما ما كنتى تفخرين يا مليسا بالنساء اللاتى لا حصر لهن يرتمين تحت أقدام بيدرو الجنرال العظيم

يتفاخر بهم أمامك.. لا يثير ذلك غيرتك فى شئ ... حتى أصبحتى فى حالك معه مثل أمه.. تفخر بولدها وهو يصرع النساء بجماله وقوته.. كما تفخر به وهو يصرع أعدائه

هل تحولت بالفعل إلى أمك يا بيدرو؟؟ صدم السؤال رأس مليسا الكبير فزلزله

هل عليها الآن أن تُحضّر ثياب الملكة الأم الواسعة لتغوص فيها في كرسى ثانوى صغير تحت أقدام عرش الجنرال بينما تحتل القروية المقعد المجاور له، تعلو قدميها فوق رأسها هي سليلة الملوك

ليس بالأمر الخافى على مليسا ما يدور في عقل الجنرال، هي من صنع هذا العقل بوصفاتها..

استيقظ بيدرو فى الصباح مرهقا .. نظر لمرآته ليلتقط علامات تعب السفر والسهر والكوابيس التي طاردت النوم بعينيه وقد انتقصت من رونق هيئته، أمر الخادم بإحضار خضاب الرأس ليعيد له بهاء شعره ولونه اللامع، لا يسمح بيدرو بغياب اللون البراق عن شعره أبدا

نصح مليسا بالبقاء فى بيت أبيها كما تشاء وعدم استعجال العودة

الأمر خطير هناك، وسنبدأ المعركة الحاسمة،علينا إنهاء هذه الحرب بأسرع وقت ممكن

هل ستنتهى المعركة حقا يا بيدرو؟؟

تسائلت مليسا مدعية عدم فهمها لما يقصده بيدرو من قرار إبقائها بعيدا عنه

غير أنها لم تحصل على أى رد.. ذهب الجنرال ليعد للرحيل

ابتلعت مليسا آلامها وشكوكها، ذهبت لمجلس أبيها "حكيم السيدر" لتطلب منه أن يأمر الخدم بتشييع بيدرو فى احتفال مهيب يليق بزيارته... وإرسال ضعف المدد المعتاد معه لجنود الشمال.. لم يفهم أبيها إصرار مليسا على المبالغة فى الاحتفاء بوداع بيدرو.. ولكنها الابنة المقربة له دائما مطاعة في أمرها

وقفت مليسا فى شرفتها رافعة رأسها للسماء وهى تطالع الموكب الاحتفالى وخيول المدد تحيط الجنرال فى كل اتجاه وهو يغادر أرض السيدر

دائما ما كان المدد القادم من أرض السيدر سببا لإنعاش رغبة الجنود للاستمرار في الحرب لأجل بيدرو الجنرال المهيب، ولأجل ملكتنا الحنونة مليسا، ولأجل مملكة الشمال العظيمة

طعاما يكفى الجنود لأشهر طويلة، وأسلحة مصنوعة بعناية لا تخطئ هدفها تحملها ظهور خيول بلاد السيدر القوية، تستطيع اقتحام أى أرض واحتلالها بصهيلها العالى وحده وبلونها الأصفر الذى يغالب بهاء أشعة الشمس

استمر حفل الوادع طويلا، ألقى كل شخص فيه خطبة كالمعتاد

الحكيم، مليسا، وزينان أخيها الأكبر ووارث عرش السيدر، ثم بيدرو الذى أعاد تكرار شكره بالعرفان لحماه وصهره للمرة الكم في عمره، تأمل بجانب عينيه المؤن والعتاد والخيول من حوله بزهو حقيقى، لطالما كان هذا المشهد مثيرا لفخر بيدرو بنفسه وبنسبه وبأصهاره وبقوة تحالف بلاد السيدر

وجاريسا وسيداد تحت تاج مملكة الشمال

ألقت مليسا من شرفتها بشالها كالمعتاد في هذا الموقف التقطه بيدرو، قربّه لأنفه ثم رفع يده به ملوحا لزوجته ليطمئنها أنه سيحافظ على رائحتها بجواره في غيابها عنه

غادر الموكب، وضع بيدرو الشال بين المتاع وبانتصاف الطريق نسى أمر القافلة الطويلة التي تسير خلفه، فقد تحرر جزه الصغير من مخبأه وعاد لمداعبة صدر الجنرال

***

الجنرال يعترف

ليس الفخر هو ما يحارب بيدرو من أجله الآن يا مليسا صحيح أن هذا الإحساس تحديدا كان دائما هاما لبيدرو .. دائما ما كان يعشق التباهى على من حوله

يتباهى بمظهره وبسيفه البلاتينى المرصع بأحجار الماس، حتى خيمته المؤقتة التى يقيمها ليستريح فيها وقت المعارك يحرص كل الحرص على أن تبدو فى أجمل صورة

ومليسا دائما كانت موضع فخره.. لم تخذله يوما

أما الآن فلا يحتاج الجنرال بعد كل هذا العمر من الصراع لفخر جديد..

بل لهزيمة نكراء كتلك التى شعر بها قلبه أمام مايوركا، يحتاج لأن يلقى برأسه على صدرها ويبكى بكاء حارا حتى يستريح، لأن يحكى لها عن كل لحظات الضعف والألم التى طالما كتمها خلال هذا الطريق الطويل الحافل بالمعارك

شبّ بيدرو رجلا لم يكن طفلا يوما

..والآن ...

الآن فقط تذكر كم كان يود لو كان طفلا يوما

_ أحبك يا مايوركا

أحبك

فاجأها بيدرو باعترافه هكذا ببساطة...

كما فاجأها مجيئه إلى شاطئ بحر بارين بينما جلست هى تشكو لمياهه غياب بيدرو وافتقادها لمواجهته فى المعركة

حتى وإن كان عدوا.. وإن كان صوت الصراخ والموت يحاوط المكان كاتما أنفاس قلبيهما معا لا يسمح لأى منهما بالإعلان عن وجوده

إلا أن هذا اللقاء الغريب كان كافيا جدا لتبادل رسائل الحب الصامتة بينهما

وهل كانت تحلم مايوركا بأكثر من هذا؟

لقد أهدتها الأحلام الكثير

ولكن ما حدث اليوم يفوق الحلم حقا فى روعته

عاد بيدرو أسرع مما توقعت هي.. كان أول ما فعله بعد عودته هو الذهاب إليه بمكانهما شاطئ بحر بارين

_ كنت أظنك لا تعترف بالحب جنرال بيدرو...أهى حيلتك الأخيرة لتسيطر على كاستيليا من خلالي، قالت بدلال

_ لا يمنعنى عن سحق كاستيليا وأهلها سوى أنتى يا مايوركا

_ نجحت مايوركا إذا فى أن تصبح قائدا عسكريا ماهرا مثلك

_ أنتِ لا تليقين بالحرب ولا تليق الحرب بك

نعم، قالتها بضجر يزيح عن صدرها الألم الذى لفها كل هذا الوقت بغيابه وبموت الحكيم

_ مايوركا تليق إذن بالبقاء فى بيتك تحلم بانتظارك لتعود إليها كل ليلة لتغسل عن ثيابك آثار دماء أهلها

_من قال هذا؟!

جرح إنكاره لعرضه بالزواج كرامتها حاولت الاستطراد لمعالجة الأمر.. غير أن بيدرو كان أسرع منها فى التقاط الحديث

_ قلت أحبك فقط يا مايوركا

نطقها قلبى مرغما..

بينى وبينك حلم مملكة خوان العظيم .. وأوهام كاستيليا الساذجة.. ألوم قلبى كل ليلة على ما كان منه معك

ليس هذا ما كانت تنتظر أن تسمعه، فسألته غاضبة

_ ولماذا تركت مملكتك العظيمة وجئت إلى مايوركا ابنة البلدة الساذجة فى وقت كهذا إذن؟!

_جئتك أعرض عليك للمرة الكم لا أعرف يا مايوركا أن ننهى كل شئ

اتركى الحرب

قلت أكثر من مرة وأعيدها دائما

سأعتني بكاستيليا أكثر مما تحلمين

فهذه البلدة العنيدة منحتنى أروع ما فى العمر

_نعم، أعادت مايوركا تكرار ردودها الحانقة

أروع ما فى العمر أيها الجنرال العظيم وهو الوقوف هنا على شاطئ بارين تقفز فرحا حول جماجم أهل كاستيليا.. بينما ترقص لك مايوركا لتسليتك فى نشوتك بين جنودك

اكفهر وجه بيدرو تأثرا بعباراتها الجافة التى لم يكن يتوقعها فأعاد لوجهه تجمهه المعتاد

_ هل تريدين الحقيقة إذن!

الحقيقة هى أنى أكرهك

أكرهك يا مايوركا

_ لا بأس، قالت

تكره كل شئ ...تربيت على الكره والغضب واحتقار البراءة والسكينة

هل تعلم لماذا أحببتنى ؟! رفعت مايوركا إليه السؤال بعينها قبل لسانها ثم أجابته بنفسها

تحب كل ما ليس لك يابيدرو

ما يبدو لك تحديا

تحب رؤية الجميع منهارون أمامك

لماذا تصرون على اغتصاب أرض ليست لكم؟ ألا تكفيكم أوطانكم؟

_ ثار بيدرو مخاطبا إياها، دائما ما كانت مملكة الشمال كلها تحت سيطرة خوان العظيم جدى يا مايوركا

تعرفين هذا ...لم يستحدث بيدرو الأمر

لقد ورثنا هذه اللعنة.. وعلينا أن نمضى فيها حتى النهاية

_ ولماذا علينا أن نورث اللعنات، سألت مايوركا بحنان ..

ألا يمكن أن تتبادل قلوبنا الأدوار يوما مع هذه العقول الحمقاء المولعة بالإرث .. لو استمعت لقلبك لحظة واحدة لقال لك أنها تركة عفنة، أنه إرث من حطب مشتعل ما تكاد تمسكه حتى تصيبك نيران الانتقام للدماء البريئة بحروق لن تشفى

لن تنم يا بيدرو كما لم تنم يوما ... أرى أثر السهاد الذى لا يفارق عيونك

تبدو كما لو كنت تنتقم لنفسك لا لخوان

تنتقم للطفل الذى حمل السلاح مبكرا مرغما.. للشاب الذى ما ذاق طعم ضحكات السهر مع الرفاق... للكهل الذى أصبحته.. أتعبتك هذه الحياة القاسية حقا يا بيدرو.. تريد كتفا ناعما تلقى برأسك فوقه فلا تجد سوى جماجم من قتلتهم تحاصر لياليك وتملأ سريرك

ثار بيدرو لاتهامات مايوركا التى لاحقته بها.. امسك بذراعها بقوة

_ اتركى هذه العبارات الجوفاء يا مايوركا

لا تأكل الشعوب عبارات الحب والسلام البراقة

هل تظنى أن الكاستيلين الطيبون هؤلاء لو وجدوا قائدا كخوان العظيم جدى لكانوا تركوا مملكة الشمال تنعم بالسلام

لكنت أنا أسيرك اليوم أرعى الخراف فى أرضك ويهيل أبيك المزراع الطيب السوط فوق ظهرى

مشكلة أهلك الوحيدة أنهم لم يجدوا من يعلمهم كيف يرفعون رأسهم فأحنوها طواعية

مشكلة كاستيليا الوحيدة هؤلاء الفئران الذين علّموا أهلها أن يملأو بطونهم بهذا الخواء الصادر من خيمتك كل ليلة بدلا من تذوق ملذات الأرض وطيباتها

أقسم لك أن جنود مملكة الشمال يعرفون طعم طيبات كاستيليا أكثر من أهلك أنفسهم

لقد كان جدى دائما قائدا عظيما علمنا كيف نسير ممتلئ البطون مرفوعى الهامة

وأنا على دربه ... وسأكمل ما بدأه

لم يبق لحلم مملكة الشمال سوى أن ترفعى الراية البيضاء

أقول لك ذلك شفقة بك يا مايوركا

أنا!!!

أنا لا أريد إيذائك

ابتعدى يا مايوركا واتركى هذا الأمر.. أرجوكى

طأطأ بيدرو رأسه وانصرف دون أن يعطيها الفرصة لتجيب

***

صوت الحب

وما كانت مايوركا لتضيف شيئا

حقا

لم تسمع مايوركا من هذا كله شيئا لترد عليه

توقف بها الزمن تماما عند جملته "أحبك يا مايوركا"

فقط خلعت نعلها وأخذها جنون لم تعهده من قبل للقفز حافية على رمال بحر بارين... غير عابئة بصوت كلمات بيدرو الغاضبة الأخيرة ووعيده لها، أو بقسوة أصداف رمال بحر بارين

يحبنى

بيدرو العظيم يحبنى

أمضت مايوركا ليلتها تلوم نفسها على كلامها القاسى معه

هل كان يجب أن أكون أكثر لينا معه، ولكن من قال أنى أريده بحالته هذه؟!

يحتاج الجنرال لجرح غائر فى قلبه يوقظ ضميره، ولن تعجز مايوركا صانعة السلاح الصغيرة عن اختراع رمح يصيبه فى غروره وتماديه فى الحرب والقتل

سيأتينى طائرا جريحا لأداويه

لا بأعشاب مليسا الحارة التى أصابت روحه بالصدأ ولكن بألعاب الطفولة وأغنياتها

خواء!!!.. أنا يا بيدرو أصدر من خيمتى الخواء!!

حسنا

ستعرف بيدرو أن صوت الحب أقوى من صوت الحرب، وأن حمرة الورود والكرز أجمل وأشهى من حمرة الدماء الملعونة التى عشت فيها عمرك

آآه لو انتظر قليلا فقط لأقول له كم اشتقت إليه وإلى أى مدى كادت الغيرة ونيرانها يعصفان بي فى غيابه

كان غضبى عليه كله منبعه كم افتقدته

لا أريد تلقينك أى دروس يا جنرالى العزيز

أريد فقط أن يتسع المكان لنا سويا لنتشارك رقعة صغيرة على هذه الأرض

فقط رقعة صغيرة يا بيدرو هى كل ما نحتاجه وستكفينا سويا

فلنترك أمر الممالك والمعارك لمجانين آخرين غيرنا يديرونها كيفما شاءوا

ولنتفرغ أنا وأنت لإعمار بقعتنا الصغيرة بزرع براعم الأمل والنشوة والحب والسعادة وكل تلك المعانى التى تليق بنا

لا تليق بكلينا الحرب يا بيدرو و لا نليق بها

أفاقت مايوركا فى الصباح التالى سعيدة تواصل القفز على الأرض منذ ليلة أمس وكأنما أصاب قدميها جنون يفوق الجنون الذى أصاب عقلها منذ سماعها لاعتراف بيدرو الصريح بحبها

لا تكفى نظرات الحب ليطمئن القلب، يحتاج لأن يسمعها صريحة كتلك المرة التى قالها فيها

أحبك يا مايوركا

أحبك يا مايوركا

أحبك

أحبك يا مايوركا

كم مرة ترددت الكلمة فى ذهنها مثل صدى صوت حائر بين جبال شاهقة

ذهبت مايوكا لمنزل جارتها القديمة السيدة أرمنتا.. التى وصلت شهرتها بقدرتها على خياطة أفضل الأثواب لسيدات كاستيليا حتى تجاوزت شهرتها مملكة الشمال

كانت أرمنتا تخيط ثياب مليسا زوجة الجنرال بنفسها وذلك قبل أن تشتعل الحرب ويصبح صعبا عليها الذهاب إلى مملكة الشمال، وهو الأمر الذى أفقدها مصدر دخل كبير لها.. أرمنتا هى أكبر خاسر من حرب كاستيليا ومملكة الشمال

ولكن ولائها لوطنها لاشك فيه.. لا يهم خسارة أرمنتا إذا كانت كاستيليا ستفوز فى هذه الحرب أخيرا وتنتصر، هكذا تقول دائما

ولهذا جاء استقبالها لمايوركا حافلا

أهلا أميرة البلاد قائدة الجيوش

أخبرينى هل أوشكنا على النصر.. آآه متى يعود لكاستيليا سلامها الذى كان

مهلا مازالت المعارك مستمرة ولكن أطمئنك سنفوز .. حتما لا محالة.. معنا الإله الواحد ومعنا

الحق و سيف العدالة وحب كاستيليا الكبير فى قلوبنا جميعا

اطمئنى أرمنتا سنفوز حتما

والآن

أريد منك بعض الأثواب الجديدة؟؟

تقصدين ثيابا للمعركة أيتها الأميرة

هذا شرف عظيم يا مولاتى أن تتولى أرمنتا تجهيز الثياب لك

ضاحكة لست أميرة يا أرمنتا.. تعرفينى جيدا .. لقد تربيت ببيتك..

هل نسيتى أنى كنت أقف أمام بيتك بالأمس القريب أنتظر أن تعطفى علىّ ببعض كعكات الكرز الشهية

عفوا يا أميرة لقد أصبحتى الآن أميرة البلاد وقائدة جيش كاستيليا وعلينا جميعا أن نقدم لك فروض الولاء والطاعة

أعدك أننى سأصنع لك ثوبا يُرهب أعدائك بمجرد أن تقتربى منهم

بدت مرتبكة فيما ستقوله.. ولا ولكنى أريد ثوبا عاديا كتلك الأثواب التى .. التى ...

ماذا يا أميرة

التى كنتى تصنعينها لمليسا زوجة الجنرال بيدرو

ضحكت أرمنتا بشدة

قسما أنك أجمل منها بكثير ولا تحتاجين حتى لثوب جديد

تهلل وجه مايوركا لما بدا كدعابة ومجاملة واضحة جدا من أرمنتا

حقا هل أنا أجمل منها؟؟ هل ما زلتى تذكرينها؟؟

مهلا يا أميرة

هل تُعدّين فى ذهنك شيئا يرتبط بزوجة الجنرال

لكن يا أميرة .. هى إمرأة طيبة القلب وكريمة جدا

صحيح زوجها الجنرال يستحق القتل ... ولكن الحكيمة مليسا لا

شردت مايوركا أمام اتجاه حديث أرمنتا للهجوم على بيدرو

إذن تبدو محبوبة وطيبة ... هكذا لاحظت مايوركا أيضا عندما رأتها فى الحفل وإلا لما تأثرت أرمنتا هكذا لمجرد فكرة أن يصيبها أى ضرر

ما الذى دهاكى يا مايوركا؟؟ هل تريدين شحذ سيف الحق الذى حملتيه باسم الوطن ضد إمرأة لحسم صراعك معها على قلب الرجل الذى غدر بالجميع زوجته وقلبك ووطنك معا

عادت من شرودها لتنهى مديح أرمنتا المتدفق بلا نهاية فيما يبدو حول وصف الطبيبة مليسا أسأل من باب الفضول فقط يا أرمنتا

هل تظنين أن مايوركا سترسل جيش كاستيليا العظيم ليحارب إمرأة... هى لا تعنينى حقا فى شئ

اندفعت مايوركا باتجاه الباب تلاحقها صيحات أرمنتا: والثوب يا أميرة انتظرى حتى اضبط قياساتك

ثوب؟؟ لا لم أعد أريد أى أثواب

كان مجرد خاطر وانتهى

كنت فقط أفكر فى الاستعداد لاحتفال كاستيليا بيوم النصر الذى سيكون قريبا جدا

ولكنى أظن سيكون من الأفضل أن تعدى لي طاقم عسكرى ولثام جديدين

فلننهى معاركنا أولا، ونترك ثياب الفرح لوقت يلوح فيه الفرح

***

صوت الحرب

عادت مليسا أسرع مما توقع بيدرو ومعها أخيها الأكبر "زينان" الذى طالما ما كان صاحب حظوة لدى بيدرو وكلمة مسموعة

فهو صديقه المقرب ومستشاره فى أحيان كثيرة

حكت مليسا الكثير لزينان

الحقيقة أنها حكت أكثر من اللازم

لا يصدق بيدرو كيف وضعته فى هذا الموقف المحرج أمام زينان

مضطرا لأن يدافع عن مهارته العسكرية، ويحاول تفسير أسباب عدم حسم المعركة حتى الآن

ولكن الحديث تطرق لأبعاد أكبر من الهزيمة العسكرية

يعرف زينان كل شئ

وهو ما يعنى أن مليسا أيضا تعرف

بيدرو .. هذه مجرد طفلة حمقاء

لقد كبرنا يا صديقى ولم يعد بالعمر متسع لنزوات صبيانية

هل سيختم بيدرو العظيم سجل حياته بخسارة كتلك ؟!

كيف سيراك جنودك الآن

ستتفتت مملكة الشمال ... سيضيع كل شئ

عمرك كله يا بيدرو الذى أفنيته لاستعادة تاج مملكة خوان واسترداد حدودها وأراضيها التى تمزقت

هل تكون سببا يا بيدرو فى تفتيت مملكة الشمال مرة أخرى

ومن أجل من!

من أجل فتاة كاستيلية خرقاء تتلاعب بك وتستغل جمالها فى ذلك

لا يملك بيدرو إنكار الحقيقة أمام زينان.. دائما ما كان صديقه المقرب.. يفهمه من نظرة وحيدة بعينيه

لم يجد مفرا من الاستسلام

وحده نداء الحرب يعلو إذن

فليمت بيدرو وليتمزق قلبه .. ولكن أبدا لن تضيع مملكة الشمال

هكذا قال لزينان

كاد بيدرو يسمع صوتا آخرا يصدر من قلبه يناديه ليعود إلى الطفل الذى هجره، ولكن مليسا الماهرة استطاعت جلب بوق الحرب لينعق فى أذنيه ويفيقه من نشوته

تولى زينان بنفسه توزيع العطايا الجديدة التي جاء بها وريث عرش السيدر، التف حوله الجنود يأخذون منه، ويحكون له، ويؤكدون ولائهم للمملكة وحبهم لملكهم

مليسا العظيمة التي ظهرت بجوار أخيها، تحنو على الجنود وتعطف عليهم وتستمع لطلباتهم وتجيبها كالمعتاد

جبل جينوم!!

يبدو بيدرو جادا هذه المرة.. لا خيار آخر أمامه لاستعادة ولاء جيشه ومحبته

ستكون هذه المعركة هى الأخيرة حتما، قال لجنوده... خطط بدقة لاقتحام كاستيليا من فوق الجبل والعودة بمايوركا أسيرة لتكون حقا خالصا له أمام الجميع

ستبيت مايوركا فى بيته الليلة، لن تمانع مليسا نفسها في ذلك بل سترحب بها .. فقط عليه أن يحفظ رأسها في الصباح من بطش مليسا ولن يعجز عن ذلك.. سيضمها إلى حضنه وفوق ذلك كله سيضم إليها كاستيليا أيضا

لجأ بيدرو لآخر خطة عسكرية والتى كان دائما ما يتحاشاها

صعود الجبل

كان دائما جبل جينوم مستقرا نهائيا لرؤوس أعداء بيدرو، لا موضعا لأقدام جنوده .. واليوم لأول مرة يأمرهم بتسلق الجبل وقذف السهام من الأعلى باتجاه جيش كاستيليا المرابض تحت سفح الجبل تماما من الجهة الأخرى

ما أن تهبطون بالجانب الآخر احرقوا المعسكر بما فيه

ولكن أريد مايوركا حية

هكذا تلقى فورتان أوامر الجنرال الذى لم يشاركهم المعركة كعادته وفضل البقاء فى انتظارهم

لم يتخلف بيدرو عن قيادة جيشه يوما بالمعارك الهامة كهذه

ولكن ربما هى حيلته الأخيرة ليفوز على كاستيليا دون أن يسحق قلبه برؤية مايوركا حزينة، هكذا همس فورتان لنفسه شفقة بجنراله الذى يكن له تبجيلا عظيما لم يؤثر فيه شئ مما يقال

***

جينوم

أقوياء حقا جنود مملكة الشمال ولكن تربيتهم فى صقيع بلادهم يفقدهم القدرة على تحمل جو كاستيليا

كيف لم يحسب بيدرو حسابه جيدا!

ما كان يخشاه الجنود قد وقع

ترتفع درجة رطوبة الجو بالقرب من جبل جينوم بفعل الكساء الأخضر الذى يحيطه من كل جانب لا يشفع لهم الارتفاع بأعلى الجبل .. الذى لا يعين جنود بيدرو هو الآخر بأى صلابة تساعدهم على المضي فوقه، يبدو ككثبان رملية أكثر منه جبلا تغوص أقدام الجنود بين تجاويفه كلما صعدوا فيحاولون استخلاص أقدامهم من بينها فى عملية صعبة مرهقة.. وكلما صعدوا كلما زاد الإرهاق والسخط

بدأوا يتساقطون من فوق الجبل خلف ذرات التراب مدفوعين بالإرهاق وبصيحات السخط المجنونة التى يطلقها القادة لدفعهم لمواصلة السير

لا تحتاج المعركة لأى تخطيط ذكى من جيش كاستيليا

بل انهم راحو يصطادون جنود بيدرو كما لو كانت شجرة تفاح تسقط حباتها الشهية عليهم دون انتظار حتى لأوامر مايوركا

لم يستطيع جيش بيدرو تنفيذ المهمة، أثقلت الولائم الشهية والراحة الطويلة التي قضوها في غياب الجنرال بأرض السيدر

عادت البقية منهم تجر ذيول الخيبة أمام بيدرو.. والحكماء منهم لم يستطيعوا كتم اعتراضاتهم بيدرو كاد يوردهم جميعا للهلاك

أى شيطان أوحى له بهذه الفكرة.. دائما ما كان يرفض صعود الجبل هو بنفسه من كان يقول

لنا باستمرار حياتكم أغلى عندى من ذرات تراب كاستيليا التافهة

استغل الجنود وجود زينان وبدأو فى إطلاق شكاويهم من تبدل حال الجنرال

هل بينكم من يأتينى برأس مايوركا هذه فى المرة القادمة؟!، قال زينان غاضبا

بكل سهولة سيد زينان، قالها أحد الجنود

ولما رأسها؟!

يمكننا أسرها والتسلى بها، لتصبح أميرتهم الجميلة مكافأتنا بعد كل هذا التعب اللعين من أجل كاستيليا ... هذا هو مكانها الحقيقي، قال آخر ضاحكا

ولكن ماذا عسانا أن نفعل أمام تكاسل الجنرال.. حفيد خوان الذى يدفعنا دفعا غير مفهوم فى معركة لا يفهم أحد مغزاها سواه

قال أحد الجنود ساخرا، نحن نحارب لأجل أن يتسلى جنرالنا العظيم بتأمل جميلة كاستيليا

ياله من هدف تذهب مملكة الشمال لأجله للحرب كل صباح

هاهاها

تعالت ضحكات الجنود حتى أوقفهم زينان عن الخوض فى سمعة الجنرال

لا أقبل أبدا أن يمس أحدكم بيدرو بسوء،قال بحسم

عدوكم هناك خلف هذا الجبل يا جنود

فليكن ثأركم منها فى المرة القادمة

من أجل جيش الشمال و من أجل استعادة الجنرال معا

أنتم جنود الشمال العظام تعرفون من هو بيدرو

تعرفون كم معركة خاضها قائدكم المبجل دائما

لم يكن له هدف فى ذلك إلا استعادة ملك خوان الجد الأعظم لمملكة الشمال

لولا بيدرو ما عادت مملكة الشمال لمجدها القديم

استمر زينان فى إقناع الجنود باستعادة ثقتهم فى صديقه بكل إخلاص

تدخل فورتان فى الحوار حينما وجد الفرصة سانحة للدفاع عن قائده المحبب إلى قلبه، بعد أن اعتصر قلبه كل هذا الهجوم عليه

انتهى الأمر إذا يا رجال الشمال

هل تحتاجون اليوم لمن يعرفكم من هو بيدرو؟!

هل خانتكم الذاكرة أمام لحم الشواء وخمر الكرز الذى عشقتوه

وإذا أراد بيدرو التمادى فى الحرب للتسلية .. ماذا في ذلك!

ربما تبدو المعركة للجنرال سهلة أكثر من اللازم يخشى أن يفقد بعدها متعته فى الحرب، قال فورتان بأسلوبه المقنع دائما

أعاد زينان أمره للجنود

من أجل الجنرال العظيم ومن أجل مملكة الشمال

يجب أن يعود أحدكم لى برأسها

ستكون هذه مهمتك يا فورتان، احتفظ لى بالرأس حين أعود من بلاد السيدر في المرة القادمة.

***

مليسا!!

استقبلت مليسا الكثير من الجرحى فى هذه الليلة

بدت سعيدة وهى تجرى بين الجنود تعالجهم بشكل لا يتلائم مع الهزيمة ومرارة التعب التى تعلو وجوه الجميع

ربما لأنها وجدت مهمة تثبت لها أنها مازالت هى نفسها الطبيبة الماهرة ابنة الحكيم وزوجة الجنرال بيدرو

انتهت مهمتها فى علاج الجنود ثم سقطت قتيلة فى نوم عميق لأول مرة دون دموع، ودون أن تنتبه لعدم وجود بيدرو الذى اختفى خجلا من مواجهة الجنود

وفى الليلة التالية بدا لها أن الوقت مناسب تماما لعلاج جروح بيدرو

لا يمكن أن يكون بقلبه حبا لمايوركا بعد ما صار لجيشه منها بالأمس

تعرف مليسا كم يحب بيدرو جيشه ويكره الهزيمة

اقتربت منه مصطنعة حنانا فقدته منذ زمن

بادرها بيدرو برد فعل يحمل الكثير من النفور

ألم يكن ممكنا أن تستحمى حتى يا مليسا .. تملأ رائحة الأعشاب والتراب المنبعث من أقدام الجنود جسدك

امتلئت عين مليسا بدمع متحجر نزل لحلقها فخرج صوتها مختنقا

منذ متى تكره رائحة أقدام الجنود يا بيدرو؟؟

منذ متى تكره رائحة أعشاب مليسا التى كانت هى ما جذبك يوما إليها؟

هل أصبحت رائحتى بشعة إلى هذا الحد؟!

لم يحاول بيدرو حتى الدفاع عن نفسه أو إصلاح الموقف معها

وقفت مليسا مستعيدة إباءها

لقد قمت بآخر أدوارى بجوارك يا بيدرو .. عالجت لك جيشك كما يجب، وزودته بالمؤن لتستعيد به قوتك ومجدك

والآن انتهى دور مليسا فى حياتك لم يعد بإمكانى أن أقدم لك شيئا آخر سأرحل فى هذا المساء

إلى بيت أبى

أدرك بيدرو أن مليسا فقدت قلب الأم الذى تعامله به دائما ولم يعد بإمكانها مغفرة أخطائه حاول قدر استطاعته منعها.. فأمسك بيدها برفق

لا تذهبى مليسا.. أنتى أهم لهذه المملكة من بيدرو ذاته.. ابقى من أجل مملكة الشمال.. لا من أجلى

لم يستطع كل ما قاله بيدرو أن يداوى جرح كلماته الأخيرة ،، تأكدت مليسا أنها بالنسبة لبيدرو لم تعد أكثر من إمرأة عجوز كريهة الرائحة..

لشهور طويلة تخفى هذه الحقيقة بداخلها حتى لا تتحول لواقع مرير، تخشى مواجهته وتقبل النوم وحيدة على مضض، محاولة التماس العذر له بالانشغال بالمعركة الطويلة مع كاستيليا

شربت مليسا فى هذه الليلة الكثير من مشروب السيدر.. استيقظت على ألم يكاد يقطع أحشائها

كم هو سئ حقا هذا المشروب.. كل ما يفعله هو أن يصيبنا بألم أكبر فى أمعائنا حتى لا نعود ندرك من أين يأتينا الوجع

تركت مليسا كل شئ.. لم تكن ترغب فى أن تثير القلق بين الجنود بمشهد رحيلها، فالبلاد فى حالة حرب.. ورغم ذلك تناقلت الأخبار بين الجميع

عادت مليسا لبيت أبيها الحكيم

لتدق أول مسمار في نعش ثقة جنود بيدرو فى قدرته على إدارة المعركة

تناقل الجنود فيما بينهم شائعات المشاجرة الكبيرة بين القائد وزوجته، والتى رأوا أنها نشبت بسبب فشله فى إدارة المعركة وزعم البعض أنها فقط قررت اللجوء لأبيها لإمداد بيدرو بالعون فى خطة متفق عليها بينها وبين زينان والجنرال

بدت مملكة الشمال لأول مرة كمركب يغرق يحاول الجميع الفرار منه

أدرك بيدرو أن الأمر لم يعد بسهولة تلك اللعبة الممتعة التى يقضى ليلته يحلم بها مع الطفلة مايوركا، البحث عن حل ينقذ تاريخه ومملكته وقلبه معا أمرا يبدو صعبا

غير أنه بدا مرتاحا مع مغادرة مليسا كمن وجد أخيرا المخرج

راحت أفكاره تتخيل مايوركا ترقص فوق شاطئ بارين وتغنى كما تفعل دائما

هل هناك أعظم من انتصار جيشها

سعيدة مايوركا بالطبع ... ليس هناك أفضل من رمال شاطئ بحر بارين لتحتويها بأفراحها

تغنى وحيدة تنقل للرمل بهجتها فيتراقص مختلطا بموج المياة الزرقاء اللامعة بفعل انعكاس ضوء القمر فوقها وكأنها تشاركها فرحتها

وفى خضم انشغالها بمراقبة الموج و نشوة الغناء، لم تنتبه حقا لمركب بيدرو

أحاطها بيديه التى التفت حولها من خلفها.. تحمل ملامحه الكثير من الحزن المتوقع بالتأكيد لهزيمة جيشه ورغم هذا كان الحنان المنبعث منه أكبر من أى طاقة غضب أو كره

وأمام رقة معاملته غير المتوقعة تجاهلت ذكر المعركة .. وافتعلت المزاح معه قائلة

_ كيف تستطيع أن تخفى جسدك الضخم هذا .. تسير على الرمل بخفة الريح بل إن الريح ربما تُحدث صوتا مع اختلاطها بالرمال أما أنت فلا

_ أفزعتك؟

_نعم

_ولكنى جئت لأطمئنك.

_هل ينثر قادة الحروب الطمأنينة حولهم هذه الأيام؟

_ لا تنسى أنك أيضا أصبحت قائدة حرب يا أميرة، متعادلين إذن

_أبدا ... لن نكون متعادلين أبدا

أنا أدافع عن وطنى.. وأنت تسعى لإضافته لحائط انتصاراتك

لسنا متعادلين .. اسمع لقلبك قليلا يا بيدرو.. وضع بيدرو يده على فمها ليسكتها

_ اسمعينى أنتى هذه المرة يا مايوركا

لا تظنى أن هزيمة جيشي هى بالأمر السهل أبدا

أنتى لا تعلمى كيف كان قرارا صعبا أن أجيئك اليوم... أجيئك أنتِ يا من هزمتى جنود مملكة الشمال لأول مرة بتاريخهم

كان جديرا ببيدرو أن يكون بين جنوده الآن يحثهم لقطع رقبتك فى أقرب فرصة

_ ولماذا لم تفعل؟

_ لم أفعل يا مايوركا.. هل تعلمين كم كان هذا صعبا ألا أفعل
هل تعلمين كيف يترك القائد جنوده ؟!
أبنائه
و ينسحب عن جيشه فى لحظة كهذه ؟!
غيرت مايوركا صوتها المتحدى لصوت يضاهى رقة بيدرو فى الحنان الصادر منه
_أعرف بيدرو
لقد اقتربنا كثيرا.. أنت اقتربت كثيرا
أعرف هذا، ستنتصر فى هذه المعركة، ولكن سينتصر قلبك.. قلبك أكبر مما تظن أنت نفسك
أنت لم تهزم بيدرو، بل هو انتصارك الحقيقى الأول
هزم قلبك عقلك نعم... لينتصر هو، لتنتصر هذه الروح الحالمة التى تعيش بداخلك
سحبته من يده وعادت لنشوتها ترقص على الرمال وتغنى
_ هيا بيدرو ارقص معى على الرمال
احتفل معى بقلبك الذى أجبرك على المجئ الليلة إلى هنا
أخيرا!!!
تعلمت شيئا يا جنرال أعظم من فنون الحرب
سحب بيدرو يده وابتعد قليلا عنها...
_ ليتك تفقهين أنتِ شيئا يا مايوركا عن الحرب التى تتشدقين بها كما لو كانت لعبة
لتعرفى كم تنازل بيدرو لأجلك
لتعرفى أنى أفعل الكثير لأجلك
بينما تقفين أنتى ترقصين وتغنين وتديرين المعركة بقلب الطفلة هذا الذى يمنعنى عنك فى كل مرة، ولكنه لا يشفع لكِ أبدا فى هزيمة جيشى
ليس أقسى على نفسي مما فعله جنودك بجيشى بالأمس
ومع هذا فأنا أعدك يا مايوركا أن أنسى هذه الصفحة لنغلقها بحُلوها ومُرها
اتركى الرقص والغناء وتفاوضى معى قليلا قائدا لقائد

فلنضع حلا ينهى هذا الأمر

_لقد انتهى الأمر؛ ردت مايوركا

_أنتِ تحلمين

لا ينتهى الأمر بهزيمة مملكة الشمال أبدا

لم يعرف أحفاد خوان هذه النهاية أبدا

_ مرة أخرى يا بيدرو، صاحت مايوركا

مرة أخرى

عدنا لخوان...

ومُلك خوان...

وأوهام النصر

ما تراه أنت نصرا هو أكبر جريمة ترتكبها فى حق شعب لم يهبك إلا حُلو ثمر الكرز وحُلو مذاق الحب الذى استشعرته فى قلبك لأول مرة بحياتك

اعترف يا بيدرو أنك لم تذق بحلاوة كرز كاستيليا ... ولم يعرف قلبك يوما لهفة كالتى تأتي بك كل مرة إلى هنا

إلى مايوركا.. الطفلة التى تخطف عينيك من بين صليل السيوف والرماح ليتدفق فى داخلك دم دافئ بلون أحمر يختلف عن حمرة الدماء تلك المتناثرة من حولك وعن دفء الأنفاس الأخيرة الخارجة من جثث الجنود

ازدادت لهجة بيدرو حدة وحزما

_ سأعترف يا مايوركا ولكن حين تأتين إلى قصرى مستسلمة

سأعترف لك بكل ما تريدين

_ يبدو أن قلب الجنرال مازال بحاجة إلى معركة أخرى، قالت فجاءها جوابه بلا أدنى تردد

_ لن تكون هناك معركة أخرى يا مايوركا

انتهت اللعبة وما عاد الأمر يحتمل المزاح

وعندما يقول لك بيدرو أن وقت المزاح انتهى

فعليكى أيتها الطفلة العنيدة أن تتركى الرقص والغناء قليلا وتستعملين عقلك الضئيل هذا ولو لمرة واحدة

كست الرجفة صوت بيدرو فخرج مرتعشا لأول مرة قائلا؛

أنا لا أريد خسارتك، أرى فيكي حلما يضاهى حلم النصر يا مايوركا

لن يرتاح قلبى أبدا إذا رأى ثيابك ملطخة بالدماء

سأذوق النصر ولكنه سيكون بطعم كسرات الخبز الجافة والماء المالح التى لطالما تركت فى حلقى غصة تفسد مذاق كل شئ بعدها مهما بدا طيبا

رقق بيدرو من صوته وأعاد الإمساك بذراعى مايوركا

_ لقد أعاد حبك لفهى إحساسا بطعم كل شئ ..غير أن عنادك يقف بينى وبين التهامك يا أنثى الحلوة

جئتك اليوم أعرض عليك حلا يرضينا جميعا

ارفعى الراية البيضاء .. وأعدك أنى لن أمس أحدا بأذى .. سيعيش وطنك وأهلك فى السلام الذى تحلمين به لهم ..سأجعل كاستيليا عاصمة مملكة الشمال .. سأعطى الكستاليين كل ما يحلمون به من مجد وازدهار.. ستصبحين ملكة يا مايوركا.. قليل على جمالك هذا لقب أميرة، ستصبحين بجوارى ملكة هذا العالم

تعلم مايوركا ما صار من أمر مليسا، ومع هذا لم تبد أى تعليق على الأمر ولا على عرض بيدرو الذى بدا مبالغا فى كرمه

وأمام لا مبالاتها أنهى حديثه قائلا

ظننتك ستقفزين فرحا

رفعت إليه عينان مليئتان بنظرات الثقة والحسم

_ ردت؛ أذلاء؟!

نعيش فى وطننا أذلاء ؟!

تعرف أنى هزمتك يا جنرال وهزمت جيشك هذا مرات ومرات فلماذا تظن أن عرضك سيكون مقبولا اليوم؟

لم تقبل كاستيليا بهذا العرض حين كانت مهزومة... فهل تأتى مايوركا لأهلها بعار كهذا بعد أن أعادت لهم النصر

أجلسها بيدرو بجواره على الصخرة الوحيدة التى نبتت فى هذا المكان فقط من أجل أن تسعهما معا متجاورين

_ اسمعينى مايوركا لا تدعى رائحة نصر مزيف تعميكي عن الحقيقة

تعرفين تماما أنى استطيع القضاء على كاستيليا كلها إن أردت

لا أنكر أنى كنت أسعد برؤيتك تكبرين أمامى فى ساحة الحرب

تتعلمين الضرب بالسيف والرمح وإصدار الأوامر للجنود

لطالما كنتى حلم بيدرو الجميل الذى رآه يتمايل أمامه فى ساحة الحرب

فتاة بقلب طفلة .. وعقل قائد .. وجسد أنثى مكتمل

لا يقلل فيكى شيئا من هذا كله من روعة الآخر

_ وها كبرت طفلتك يا بيدرو، شهقت مايوركا بحنان

ضع يدك فى يدها كقائدين متساويين إذا..

_ لا تحمليني فوق طاقتى، أجابها بيدرو منفعلا

ليس الأمر كله بأيدينا

تحلم القلوب بالسلام ويطاردها العقل بدعوات الحرب

ما بين عقلى وقلبى صراع أكبر من أن تحتويه أى ساحات..

بذلت الكثير من الجهد لآتيك هنا .. أعرض عليكى هذا الحل الذى يجعلنا نخرج جميعا أنا وأنتى وكاستيليا ومملكة الشمال بلا جروح عميقة تدمى أرواحنا جميعا

اقبلى العرض مايوركا

اقبلى

اقتربت كثيرا منه ثم همست فى أذنه مبتسمة

_ موافقة

تهلل وجه بيدرو

_ حقا يا مايوركا...

مهلا

نعم وافقت ولكن على أن أراك بدأت تغيّر مبادئك

هذا الجنرال المغرور الذى لم يرى يوما النصر فى غير رقاب أعدائه تتطاير أمامه

آمن أخيرا أنه يمكننا العيش سويا يمكننا أن نهنأ جميعا بهذه الحياة.. لكل منا نصيبه على الأرض ولكنه نصف إيمان يا جنرال..

أعدك أنك ستأتينى المرة القادمة بحل أفضل

ربتت مايوركا على يده بحنان يعرفه بيدرو جيدا فهو لم يتذوقه في حياته إلا من يدها.. ثم وقفت وعادت تتراقص على رمال البحر وتغنى

_تحبين الغناء، سألها

_ نعم، أجابت

_أكثر منى؟ أعاد بيدرو سؤاله

_ فردت برقة طفولتها المميزة لنبرة صوتها، أنت لست حبا يا بيدرو، أنت معركتى فى هذه الحياة

نصف ما أفعله فى هذه الحرب هو لإنقاذ كاستيليا وطنى الذى نبتت فيه والنصف الآخر هو لإنقاذك أنت

أنت كالوطن لى يا بيدرو.. لن أقبل لك بأنصاف حلول لن أقبل بغير أن أراك تتحرر بالكامل على يدى

سأحرر كلاكما كاستيليا وأنت

وأتفرغ بعدها للغناء فى حبك وفى حب الوطن

عادت لغنائها

فأسكتها متحدثا بنبرة جادة

_ ستقتلينى يوما يا مايوركا

_أقتلك وأعيش لأحارب من؟؟ قالت محاولة المزح

وهل تحلو الحرب إلا مع عدو يثير فيك الحماسة والحب معا مثل الجنرال بيدرو العظيم

_أدمنتى الحرب يا مايوركا؟ قال بيدرو مستمرا في جديته

ألم أقل لك هى لعنة وتصيبنا

انتقل عدوى جديته لصوت مايوركا فبدت نبرتها حزينة تنق بالأسى، لم تصبنى لعنة الحرب.. تعرف يا بيدرو ما أصابنى وأصابك جيدا ... تعرف تماما.. ولكنك تصر على أن تترك نفسك وتتركنى تحت رحمة الحرب اللعينة

_لم أنكر يوما أنى أحبك يا مايوركا.. توقفى أنتِ عن عناد الطفلة هذا.. دعينا نغلق هذه الصفحة

_لسنا وحدنا فى هذا العالم يا بيدرو

_تحملين هم سكان العالم.. ألم تقولى أنك حرة وجريئة، سألها بيدرو

_ أحمل هم أطفال كاستيليا

سيسيرون على الدرب من بعدى ويجب أن يكون الدرب صحيحا وممهدا

لن ترفع كاستيليا رايتها البيضاء أبدا يا بيدرو، أجابت مايوركا بإبائها المعتاد ثم أضافت بحنان أنثى حقيقي

كما أن مايوركا لم تحلم يوما أن تصبح لك صورة من مليسا، تروى روحك بمائها الآسن حتى تنبت ثمارا مُرة كانتصاراتك الظالمة لتربح منها ومنك مشاعر بطولة زائفة

سأبكى كل ليلة فى ذات الحجرة التى كانت تبكى فيها مليسا وستتركنى أيضا مثلما تركتها

أتعلم لماذا يا بيدرو ؟!

لأن روحك الجائعة ستظل تبحث فى هذا العالم عن غذاء يرضيها

عادت مايوركا للغناء

لم يحب بيدرو يوما الأغانى ... فقط أناشيد الحرب هى كل ما يشكل مُخيلة هذا المحارب العصبى دائما

تركها وعاد لمركبه دون وداع

***

حفل الوداع

بكت مايوركا كثيرا

وفى صباح اليوم التالى

استدعت تريشا وراما مساعدتيها الآن مكان الحكيم ليوبو

وحدهما يعرفان قليلا من العلوم والحساب، وحدهما أيضا يمكنها أن تثق بهما وسط هذا الصراع الذى لا يخفى على أحد بين الجنود، وحدهما أيضا يمكنهما تنفيذ هذه المهمة القادمة

حفل وداع العذراوات!!

هذا ما تخطط له مايوركا

ستعيد كاستيليا احتفالاتها خاصة مع النصر الجديد وهذه المرة ستدوم الأفراح للأبد لا ليوم واحد

سنعيد خيمة الفنون لعهدها القديم لتصدح كاستيليا مجددا بالغناء وليسمع العالم كله صوتها عاليا كما كانت وستكون أول احتفالات خيمة الفنون حفل وداع العذراوات

أوكلت مايوركا للفتاتين تنظيم الحفل باعتبارهن أول العذراوات اللاتى سيبدأن حياة جديدة

بدأن فى توجيه الجنود لإقامة مسرحا خشبيا كبيرا تماما تحت سفح جبل جينوم وسط اعتراضات غير قليلة

ولكن يا أميرة ..

هذا المكان مخصص للعتاد .. قال إيزندر

سيكون إمداد الجنود بالذخيرة شاقا إذا ما أبعدناها لأى مكان آخر سيتأخر المدد هكذا فى الوصول للجنود أثناء المعركة،

انتفخ صدر مايوركا وأطلقت زفيرا طويلا محاولة تفادى جدالا جديدا مع إيزندر وأصدقائه الذين ما عاد يوقفهم عن جدالها بعد موت ليوبو أحدا

اللعنة على الحرب

اللعنة على المعركة

مندهشا من رد فعلها رد إيزندر

الحرب هى قدرنا يا أميرة نحن فى وطن مهدد

يقف الأعداء على الباب والأولوية دائما لما تحتاجه المعركة، أضاف جندى آخر

استدركت مايوركا أن أعصابها قد خانتها

أعلم أيها الجندى الشجاع

لن ننقل العتاد لأى مكان أبعد

فقط أريد مسرحا عاليا سيكون مخبأ سريا للسلاح والعتاد وحماية لها وصونا لها من عين الأعداء الذين يستطيعون حصرها بسهولة

يرتفع من فوقه صوت كاستيليا العالى يصدح بالغناء كل ليلة ليقلق جنود بيدرو فى منامهم

أمرك يا أميرة.. ذهب إيزندر لنقل الأمر للجنود

تجيدين تماما فنون الحرب والخداع

صه يا مايوركا لا أصدق أنك ذات الطفلة التى كانت تلعب بيننا يوما

قالت تريشا

ليست المهمة سهلة يا تريشا .. ادعى معى لعل صوت هذه الأرض الصغيرة الطيبة ينقى قلوبنا جميعا من مرارة الحقد والحرب التى اشتعلت بداخلها كل هذه السنوات

كان القادة السبع يمنعون عامة الشعب من الالتحاق بأى درس

لا يجب أن يتعلم المزارع سوى البقاء بجوار زرعته حتى لا يضيع وقته وعقله فى شئون غير مجدية له، يختمون أيدى المزارعين بخاتم أحمر..كما يمنعونهم من تولى أى سلطة ولو سلطة الإشراف على خيمة الفنون، كانت هذه مهمة إيزندر التافهة مثله دائما

خلسه كان ليوبو يحاول نقل علمه لبعض أبناء البلدة ومن بينهم مايوركا وهو شئ كانت لتعاقب عليه كثيرا لو عرفه أى من رجال القصر ولكنهم فى سنواتهم الأخيرة انشغلوا عنها وعن مراقبتها بمتابعة ترتيبات مغادرتهم لأرض كاستيليا

جلست مايوركا مع صديقتها والجنود طويلا للتحضير ليوم وداع العذراوات يستدعون ذكرياتهم عن الفارين من اللون الأحمر، سمحت لهن بارتداء بذلة الكرينتا تقديرا لدورهن الجديد، قرابتهن البعيدة بالأجداد سمحت لها بنقل سلطة كهذه لهن دون تذمر إلى جانب خطبتهن للقائدين

ألكسو وجبريد اللذان يحظيان بتقدير واحترام الجميع، أعادت تذكيرهم بأقوال الحكيم ليوبو عن هؤلاء الخائنين الذين حرموا البلاد من كل خير ثم هربوا، وكيف كانوا يستأثرون بالختم الأزرق فوق أكتافهم كدلالة على نيل الشرف

داعبت مايوركا الجنود من حراسها وصديقتها الملتفين حولها قائلة يكفى حمرة خدود العذراوات والكرز يا شجعان كاستيليا .. وليحصل كل كاستيلى على ختم أزرق يليق ببطولته..

سنعيد حفلات الغناء فى حب الوطن.. سيعود لمسرح كاستيليا النور.. وستعود دروس الحساب والعلوم لكل من يريد من أهل كاستيليا

انطلق الجنود الفرحين فى مدح الأميرة النبيلة

أنت ابنة هذه الأرض الطيبة حقا يا مايوركا

وليس أدل على ذلك من كل هذا الحب والخير الذى تحملينه لأهلها، قال واحدا من الجنود

وقال الآخر، لا أعلم كيف كان يصدق الناس القادة المخادعون وهم يرددون أناشيد حب الوطن بينما تمتلأ قلوبهم باحتقار أبنائه وقطع كل سبل الحياة عليهم

كيف لأحدهم أن يحب أرضا ويكره نبتتها أبنائها

لم يرى القادة فى كاستيليا سوى البلدة التى تطعم الملوك فلما انقطع طعامها عن فمهم تركوها ورحلوا، جاوبت مايوركا بابتسامة ساخرة

لو كان أى منهم يحمل نصف ما تحمينه أنت لأهلها من إيمان وثقة لما كنا وصلنا لهذه الحال، رد الجندى

اكتفت مايوركا بالرد على عبارات المديح بقولها، كل شئ بأوان

إلى هنا وجد إيزندر أن بقائه فى كاستيليا صار مستحيلا..

لقد صار الجميع سادة.. وصرت أنت العبد الوحيد الذى يلقى كل مهانة هنا يا إيزندر

غادر ومعه عدد قليل من المتعاطفين معه كاستيليا ليلا بنفس ذات الطريق الذى اتبعه الفارين سابقا

***

مسرح كاستيليا العظيم

تحقق لمايوركا هدفها
واشتعلت الأرض بالغناء و بالفرح
وصل صوتها لأبعد مما كانت تخطط
لجنود بيدرو ذاتهم
الذين بدوا كما لو كانو ملّوا هذه الحرب الطويلة

شيئا فشيئا أدمن جنود بيدرو صوت الغناء المنطلق من مسرح كاستيليا وبدأ الكثيرون منهم يتسربون كل ليلة ليتابعوا الاحتفالات التى اشتعلت فيها نار الحماسة وجنون الفن.. غناء ورقص كاستيليا الجماعى الشهي، حكايات أسطورية ينسجها الحكائون ببراعة مدهشة، وعروض الحيوانات المثيرة كأبهى ما تكون وأصبح اختراق خندق الروم منفردين هدف كل منهم للذهاب إلى الضفة الأخرى والجلوس في خيمة الفنون بعد أن صارت تربطهم علاقات صداقة بالحراس وبجنود جيش كاستيليا ذاتهم

حمراء كاستيليا كل ليلة الآن بكرز أو بدون كرز..

يسير الكل فيها فرحين بابتسامة من الأعماق وإحساس بالامتنان لأميرة البلاد العظيمة

جن بيدرو حين سأل عن ثلاثة من قادته ذات ليلة ليكتشف أنهم مضوا إلى كاستيليا يتسلون بخوانها، فأمر بقطع رقبة كل من يتسرب من الجنود لهناك

اتركهم يا أبى،

أنت لا تدرى ماذا يصنع اليأس والملل فى النفوس قالت زيمينتا ابنته التى تولت أمر إدارة شئون المملكة بعد رحيل مليسا

طالت المعركة أكثر من اللازم يا أبى... واليأس والملل بدأ يتسرب للجميع

يكاد يقتلنا دون أن نشعر بسكين بارد... امتلئت عينا زيمينتا ابنة الجنرال الكبرى بنظرات الألم.. لم يقو بيدرو على مواجهتها

يعلم كم الألم الذى أصابها وأخواتها برحيل مليسا
قليلات حظ بنات الجنرال

ثلاث فتيات وصبى واحد هم تركته التى أعطته إياها مليسا.. لم تهدأ مليسا وجربت كل وصفاتها حتى أتت له بالصبى

وإن جاء متأخرا... طفلا صغيرا لا يفقه شيئا من كل المعارك التى تدور حوله

بينما اكتسبت بنات الجنرال من حكمة أمهن وشجاعة أبيهن الكثير ومع هذا فجميعهن قليلات حظ

فقدت زيمينتا ابنته الكبرى زوجها فى إحدى المعارك.. أعطتها أمها الكثير والكثير من مشروب السيدر الذى يبدو أنه أفقدها الإحساس بكل شئ .. أصبحت غائبة عن الوعى معظم الوقت

أما تيرى وسينوبيا فقد غادرتا مع أزواجهما إلى بلدة بريجالكس قريبا من أرض السيدر حيث تزوجن بأبناء خالاتهن، ورغم غضب بيدرو الدائم من حياة الفقر التى تعيش بها بناته وسخطه المستمر على مليسا لإجبارها له على الموافقة على هذه الزيجات غير اللائقة فى نظره ببنات الجنرال العظيم إلا أنهن يبدون سعيدات من الإفلات من قدر زيمينتا والاضطرار يوما لشرب السيدر والرقص حول جثث أزواجهن، يكتفين فقط بمتابعة أخبار انتصارات أبيهن ومعاركه والفخر بها من بعيد بينما يتناولن العشاء مع أسرهن فى هدوء

زيمينتا الآن هى صاحبة الرأى... لأول مرة منذ سنوات طويلة وجدت أنها مضطرة للتوقف عن احتساء مشروب السيدر والانتباه لما يدور حولها

تدخلت بقوة ليتراجع والدها عن قرار إعدام القادة الثلاث، والسماح للجنود ببعض الترويح عن النفس

لم يقتنع بيدرو كثيرا بهراءات الترويح عن النفس

ومع هذا تراجع عن تنفيذ حكم الإعدام

ولكنه أمر فورتان باستبعادهم وخلع الزى العسكرى عنهم

وفى عرض الصباح تولى بنفسه نزع أسلحتهم والبصق فى وجوههم معلنا ترحيلهم عن المعسكر إلى سجن مملكة الشمال.. ثم أمر الجلادين بضربهم بالسياط

انتظر بيدرو هتافات الجنود لتدوى من حوله كالمعتاد لمباركة قراراته

غير أن الوجوم سيطر على المكان

فصرخ فيهم

أرأيتم

أضعفت خمر كاستيليا وهراءاتها قلوبكم يا جند الشمال

لم يبق سوى أن أراكم تبكون

هيا اذرفوا الدموع كالنساء

استدار بيدرو راحلا

تاركا خلفه فورتان يحاول تهدئة النار التى اشتعلت بين الجنود

أطلق الجنود ألسنتهم للخوض فى عقل وحكمة الجنرال المهيب بيدرو العظيم وقراراته الهوجاء...

فليحاسب نفسه أولا عن عقله الذى أذهبته هراءات كاستيليا

يحتاج الجنرال لمن يعيد إليه صوابه.. لماذا لا تعود الحكيمة مليسا؟

هل نسى الجنرال أن قادته هؤلاء الذين ألبسهم ثوب الخزى هم أصحاب انتصاراته الحقيقيين

قال أحدهم ساخرا: فلنأخذ الجنرال معنا يوما لخيمة مسرح كاستيليا لربما يستعيد حماسته للحرب

فشل فورتان فى مهمته، عاد لبيدرو فرفض استقباله.. للجنرال عقل عنيد تماما كقلبه

أغلق بيدرو حجرته رافضا الحديث مع أى شخص

لا يخرج بيدرو خاسرا أبدا من أى حرب

لا أحد يثق فى قدراته مثلك يا جنرال، خاطب نفسه

تعلم تماما ما ستفعله

حتما ستفعلها

الهيبة والسيطرة على الجنود.. العزة والنصر لمملكة الشمال

كاستيليا وخمرها .. مايوركا وقلبها وحنانها

سأفوز

سأربح

سأكسب كل شيء

عودة الفارين

لم يجذب صوت غناء كاستيليا جنود بيدرو فقط، ولكن سمع به أيضا بقايا عائلات القادة السبع الهاربون

أثار تولى الصديقتين مهمة خيمة الفنون وتواجدهما فى معسكر الجيش، مزيدا من القلائل، تتردد الأقاويل

أصبح جيش الفتيات

رضينا بإمرأة تقودنا فكيف لم نتوقع أنها حتما ستأتى بصديقاتها وتحيل معسكر الرجال لحفل موسيقى

الاتصالات الخفية مع إيزندر ورفاقه الذين استطاعوا الوصول لأبناء القادة يحاولون إقناعهم بالعودة صارت معروفة

لا تحتفظ كاستيليا بسر لنفسها، دائما ما يرتفع صوتها كاشفا ما في قلبها

سيلجانو وأشقائه كانوا أكثر المتحمسين للعودة

كان سيلجانو ليكون التالى فى ترتيب الحكم جرى إعداده تماما لتولى الأمور خلف والده، حتى قررت والدته فور تلقيها نبأ مقتل زوجها فى المعركة أن تفرّ بأبنائها الثلاثة وتبعتها أسرتها ثم وتدريجيا تسرّب كل أبناء القادة السبع وأسرهم خارج كاستيليا

أرسل سيلجانو برسالة مباركة لمايوركا لتهنئتها ببشائر النصر مع إيزندر الذى عاد معتذرا ومعه الجنود.

_ الأحوال هناك صعبة حقا يا أميرة، لا يتحملها أحد، لقد جفت جلودنا عطشا لينابيع بلادنا الصافية

ما كان سيلجانو ليترك كاستيليا أبدا لولا قرار والدته ولولا خوفه عليها وعلى إخوته من الذهاب منفردين

_ نعم أنا أعرف هذا أخبرنى به قبل رحيله والألم يعتصر قلبه، قال إيزندر الذى تدخل مساندا لسيلجانو في حواره

_ وما المطلوب الآن يا إيزندر، قالت مايوركا بتوجس واضح في صوتها

_ لقد حكيت لهم عن قرب احتفالنا بيوم وداع العذراوات وهم يطلبون منك السماح لهم بالعودة للمشاركة فى الحفل

عاد سيلجانو

_ اضطررت للمغادرة

لترك أرض كاستيليا الحبيبة

عشنا أياما صعبة يا أميرة بعيدا عن حضن الوطن

هكذا استرسل سيلجانو فى حديثه مجددا عندما التقى مايوركا التى وافقت على طلب لقائه المتكرر

أكدّت مايوركا على تريشا وراما تنظيم استقبالا خاصا يليق بعودة أبناء كاستيليا

اعترضت الصديقتان ومعهما ألكسو وجيريد

_ألا تدركين يا مايوركا ما يمكن أن يثيره هؤلاء من نعرات حرب بيننا؟

هل تظنين أنهم سيمتثلون للعيش الهانئ والعودة للاستمتاع بدفء الوطن؟

_ هذه حماقة يا مايوركا

أبدى أبيها اعتراضه أيضا، لأول مرة يتدخل فيها عيدار .. لقد اكتفى بالتشريف الذى لاقاه وبالعيش الهادئ فى مزرعته يمارس عادته فى القلق على حال ابنته الوحيدة .. يراقب تقدمها فى ساحات الحرب .. نجاحاتها وإخفاقاتها بقلب الأم الذى اعتادت هى عليه منه

_ أورثتك أمك الكثير من طبعها الهادئ وسماحة نفسها، قال لها معاتبا

ولكن ليس هذه المرة يا مايوركا .. تهدد سماحتك هذه هدوء وسلام كاستيليا كلها

لم يتربى الجميع مثلما ربيتك أنا يا ابنتى.. قادة كاستيليا هم من أوردونا فى هذا الهلاك الذى كدنا ننتهى جميعا فيه

_ سيعودون سواء وافقت أنا أم لم أوافق يا أبى... وسيثيرون الخلافات داخل كاستيليا أو خارجها، أجابته

يكفينا الحرب مع بيدرو

فليكونوا على الأقل هنا تحت أعيننا وبيننا إما أن نستطيع احتوائهم أو الحذر من خططهم

بدا الجميع مقتنعين برأيها أخيرا

التململ الدائر بين الجنود واضحا باستثناء جبهة النصر التى شكلتها مايوركا ولهذا أملت أن تكون موافقتها على عودة سيلجانو سببا ليهدأوا قليلا ويتوقفوا عن إثارة القلق بين المعسكر

حيث لم يمر تنصيب عيدار شريفا ببذلة الكرينتا مرور الكرام، ولا تشكيل جبهة النصر

عدد لا بأس به من الجنود مازال يسير بين أبناء كاستيليا الذين يحتفظون بعلاقات قرابة وولاء للقادة السبع يثيرون ضغينة واستعلاء تجاه المزارع وابنته الذين تحولا لقادتهم فى صباح يوم غير مفهوم

كل شريف يحمل في خزانته بذلة كرينتا أصلية أولى بهذا العز والجاه من ذي العاهتين الذى لم يفعل لهذه البلد أكثر من حمل سلة الغذاء، وإرضاع فتاته كأم مثالية ومربية قصور ماهرة

يقول الجميع ضاحكون متخيلين هيئة عيدار بعاهتيه في زى مربية قصور

الهزيمة أرحم مما أجبرتنا عليه مايوركا من الإنحناء لوالدها

هكذا استقبل البعض سيلجانو من الجنود وذوى النسب

***

سيلجانو

كما لو كانوا فى رحلة صيد قصيرة الأجل، البعض رحب بأبناء القادة والبعض مازال يحمل فى قلبه مرارة هروبهم ومغادرة البلاد فى وقت أزمتها

كان لعودة سيلجانو وأشقائه تأثيرا متضاربا بين باقى أهل كاستيليا، بدا هو ماهرا حقا فى إزالة هذه المرارة برفق من خلال تجواله اليومى بين بيوت كاستيليا ومصافحة الجميع

كان لظهوره وأشقائه فى حفل وداع العذراوات بهاء أعاد لاحتفالات كاستيليا رونقها.. تعالت صيحات الإعجاب بالاستعراضات الملكية وبالهيبة التى بدا عليها أبناء القادة خلال الاحتفال

انتهى الحفل بذهاب تريشا وراما لبيوتهن ضمن باقى العذراوات حيث لم يعد مسموحا لهن طبقا لتقاليد كاستيليا ممارسة أى دور بخلاف انتظار لعب دور الأمومة المقدس

واستكمالا لكرمه وإغداقه لمجاملاته الشديدة على أهل كاستيليا، وذكائه فى إدارة أمور الجنود المتذمرين دائما، انضم سيلجانو لجبهة النصر ثم أصبح قائدها وهو ما حقق لمايوركا أملها أخيرا فى وحدة صف الجنود والتفافهم معا

أخيرا توقفت الهمهمات ولو لحين

تجرأ سيلجانو ليقدم عرضه الأكبر لمايوركا

_تزوجينى يا مايوركا

ضعي يدك فى يدى لننهى هذه المعركة بأسرع وقت

معا تصبح المهمة أسهل... لن تجدى أفضل منى ليثبت عرشك كأميرة للبلاد ويرسخ قوتك كقائدة للجيوش

أعدك أن أفنى نفسى فى خدمتك وخدمة أهل كاستيليا

أعادت مايوركا كلماته على والدها

وهى تناقش معه أمر عرض الزواج الذى قدمه لها سيلجانو

تهلل وجه أبيها على غير ما توقعت

أخيرا سأراكى ترتدين فستانك الأحمر

من كان يصدق أن يأتى اليوم الذى أراك فيه تسيرين بفستان زفاف وبجوارك الأمير سيلجانو

بنفسه

صحيح أنت أعظم منه الآن وهو من يتشرف بك

لكن....

لكن..

هلل صائحا

ابنتى ستتزوج الأمير سيلجانو

ماذا يمكننى أن أقول فى هذا

لا يستجمع عيدار الكلمات من كثرة الحماسة التى أصابته

***

معركة جديدة

حتى ألكسو وجيريد يرون أن عليها قبول العرض للتخلص من عبء ترويض الجنود

سيلجانو شخص سئ

ولكن هذا تحديدا ما تحتاجه كاستيليا يا مايوركا، قال ألكسو الوديع بغصة استودعها كل جهده الضائع في ترويض الجنود

شخص يجيد التصرف بلؤم يمتلك مهارة اللعب بالأوراق المختلطة

شخص يحمل خبث ولؤم سيلجانو، هذا تماما ما يحتاجه المعسكر الآن في معركته الأخيرة للنصر، لقد ملأتى قلوب الجنود بثقة ينقصها الحذر وبأمل ينقصه التثبت والإصرار، وبفخر ينقصه طبع هذا الخاتم على كتفك يا أميرة، هذا الإجراء الأخير الذى نسى ليوبو فعله معك ليجعل ارتدائك خاتم الحكم باتا وقاطعا للشكوك مدى الحياة

أقصى ما ساعدك به ليوبو قبل أن يغادرنا هو أن يفتح لك باب القصر المغلق، وأقصى ما نستطيع فعله معك أنا وجيريد هو إجبار الجنود على الصمت

بينما يضيف لك سيلجانو اللون الأزرق الذى يخرس أفواه الأصدقاء قبل الأعداء

ليكون توليك أمر البلاد بعد إتمام النصر أمرا حتميا، لا يمكن أن تنهى هذه المعركة لتتركى كاستيليا تخوض معركة جديدة حول قائدها الشرعى قال جيريد مؤكدا كلام صديقه

سيتولى سيلجانو الحكم على أي حال، ليقطف نيابة عنا وعنك ثمار هذا العرق التي باتت وشيكة

اسبقيه إليها يا مايوركا، لم يعد النبل كافيا لإنهاء هذا الصراع الذى تخوضه كاستيليا منذ نشأتها، تفقد هذه البلدة لحمها الحى قطعة فقطعة راضية ذليلة فقط، لتحافظ على هذا الجلد المصبوغ بزرقة النبلاء من فوقه

لا يذكر سيلجانو أنه انتبه ذات يوم لمايوركا هذه

لا يتذكر كيف يبدو شكلها

حسنا من الجيد أنها جميلة، همس لنفسه

كنت أخشى أن يكون عليّ تحمل عبء التغزل فى إمرأة قبيحة الشكل

_ ما الذى دفع فتاة بجمالك للحرب وهمومها

قال سيلجانو يبدو الغزل خارجا منه صادقا لا يكاد يبذل جهدا كبيرا لتملق مايوركا

أما هى فتعلم أن قبولها للأمر لا يعدو كونه خدعة .. ثم تنهى هذه المهزلة بنفسها

لا وجه للمقارنة بين بيدرو وسيلجانو

يفوز بيدرو حقا عند مقارنته بملوك الأرض.. فكيف الحال إذا ما قارنته بشخص متواضع فى كل شئ مثل سيلجانو

أبيض شاحب يخفى شحوب بشرته جمال لون عينيه الخضراوتين اللاتان تشهان كثيرا عيون مايوركا وعيون معظم الكاستيليين الأصليين، طويلا حقا.. لا يزيده الطول مع نحافته المفرطة هذه سوى إشفاق المحيطين عليه من أى هبة هواء قد تعصف به وتقسمه لنصفين

ضحكت لمجرد خاطر أن يواجه الجنرال فى معركة ذات يوم، يكفى صوت صرخة بيدرو ليلصقه فى أقرب شجرة أكاسيا ليتقزم بجوارها

بيدرو!!!

ياله من رجل أسطورى.. كيف يتقن كل شئ؟؟ .. كيف يجمع هذا الرجل بين كل المتناقضات؟؟

يبدو شرسا كأسد فى المعركة ثم يتحول بين يديها على رمال الشاطئ إلى حمل وديع

يحمل في عينيه قوة صقر وفي يديه رقة عازف لطالما أثارت جنونها حركات يديه المنفلتة منه بعشوائية متقنة

لا تخطئ يد بيدرو حركتها أبدا.. وبالنسبة لمايوركا التى بالكاد تحكم سيطرتها على سلة الغذاء تغيظها مهارته فى ضبط حركته وتثير شغفها فى آن واحد

يزن بيدرو كل خطوة من قدميه وكل إشارة بيديه بميزان حساس لا يخطئ أبدا

حتى لمحة عينيه محسوبة بعناية .. يعلم متى ينظر بعمق .. ومتى يرخى الطرف .. يقيس اتساع ابتسامته بالمقدار المناسب تماما لرد الفعل المطلوب منه

فقط عندما يلتقى بعينيها صدفة يقع بيدرو فى خطأه الأول والأوحد تنفلت منه نظرات عينيه بلا حساب وتتسع ابتسامته لتغرق ساحة الحرب حبا وتثير شهيتها له

ستجنّ مايوركا على أى حال

إذا فكرت فيك يا بيدرو وإذا توقفت عن ذلك

فى حربى معك كل الأسلحة ممكنة

حتى الجنون

ستثير جنونه أخبار الخطبة حتما، ستشعل في قلبه معركة جديدة

ستريك مايوركا الطفلة ما الذى يمكن أن تفعله بك أيها الجنرال المكابر

اتفقت مصلحة مايوركا الأميرة فى الحفاظ على سلطاتها التى كسبتها، مع مصلحة مايوركا قائدة الجيش فى الاستعانة بسيلجانو لضمان ولاء الجنود، ومصلحة مايوركا الأنثى التى وجدت فى حيلة التلويح باحتمال ضياعها بالزواج من رجل آخر سلاحها الأقوى لنكز بيدرو ودفعه للتنازل

لن يتحمل بيدرو فكرة أنى سأضيع منه

ماذا هنالك لو فعلها وأعلن الاكتفاء بهذا القدر من الحرب وتحصين حدود مملكة الشمال حيث هي، قالت لنفسها

ستأتى حينها يا بيدرو إلى أرض كاستيليا الحرة ضيفا عزيزا تطلب يد أميرتها العظيمة مثلك تماما للزواج

وستنتهى هذه المعركة للأبد

وستقيم بعدها كاستيليا احتفالها الأكبر بقدومك.. أعدك سأنظم لك بنفسى احتفالا يليق بمجيئك

سأفرش لك الأرض بالزهور الملونة في المقابل

وسيفتح لك قلبى الأبواب لتحل عليه ملكا.. سأتفرغ بعدها لمهمة الأمومة المقدسة.. أنا لا أريد الملك يا بيدرو لا يغرينى هذا، لن أضع أي أختام على كتفى أو في يدى..أنا لا أحتاج للون أزرق وقد ملأتنى بكل ألوان الربيع تتبادل بهجتها بين عينى وثنايا قلبى وأحشائى

أنا أريد أن أترك كل هذا لأعود لتلك الطفلة التى حولتها أنت لا الحرب يا بيدرو لأميرة

أنت من صنع معجزة مايوركا يا بيدرو

تعرف هذا

فقط امنحنى نهاية عادلة لهذه المعركة
نهاية تخسر فيها مايوركا ويفوز الحق والعدل وتفوز كاستيليا
وأعدك سأرفع الراية البيضاء بعدها
سأضيع بكامل إرادتى تحت أمرك يا جنرالى العزيز
أعدك سأرتدى كل فساتينى التى طالما خبئتها منذ طفولتى
لن أرتدى ثياب الحرب بعد الآن
لو لم أولد بعناد قائد عسكرى لا يقبل الهزيمة كما تقول لى دائما لتعلمته منك
لماذا علمتنى الحرب يا بيدرو ؟!!
لماذا ؟

***

معركة أبناء القادة

وصلت أخبار خطبة مايوركا وسيلجانو للجميع فى كاستيليا وخارجها حتى بيدرو... و وصلته أيضا همهات جنوده حوله بعد طرد القادة الثلاث

استأنف الجنرال الإعداد للمعركة الجديدة بروح المنتقم الذى لطالما عهدها جنوده منه.. بعض الجنود فرحين بحماس قائدهم الذى عاد يدور بينهم فى المعسكر يعلمهم بنفسه كل شئ.. يتأكد من الرماح والسيوف والدروع ويحشو القذائف بنفسه، ويحدد ترتيب الجنود ومواقعهم داخل المعركة

سأنتقم يا مايوركا
لكرامتى التى انتهكتها
لوطنى الذى هزمتيه
لتاريخى الذى لوثتيه
لقلبى الذى حطمتيه
لقادتى الذين انهزموا أمام خوائك
سأنتقم يا مايوركا
وسأريكي كيف يكون انتقام بيدرو
صرخ فى جنوده؛ لا رحمة ولا هوادة فى هذه الحرب
اقتلوا كل فأر كاستيلى يصادفكم
عودوا منتصرين كعهدكم دائما يا جند الشمال

تهلل وجه الجنود، وهم يرون شراسة قائدهم يحثهم على اجتثاث رقاب الفئران الكاستيلية... تلك الشراسة التى غابت عن وجهه منذ زمن ليس ببعيد حتى فقدوا حماستهم للحرب التى كانوا يستمدونها منه

أخفض بيدرو صوته قليلا وهو يهمس لفورتان بنهر الجنود عن الإسراف فى الدم
أريد جراحا لا قتلى يا فورتان
وأريدك أن تتولى أنت مايوركا
أريدها حية

استقبل فورتان التعليمات على امتعاض، زاده السخط الذى يلاقيه من مؤيدى القادة الثلاث الذين ينتظرون أن تفشل هذه المعركة بالتحديد

انطلق جيش الشمال بقيادة بيدرو يستمدون تحفزهم للمعركة منه، وهذه المرة العزيمة أكبر بعد أن أصابت الجنود حالة من الاعتياد تجاه أمر الحرب كله

وهناك ....

اشتعلت المعركة هذه المرة بقيادة سيلجانو .. اختارت مايوركا أن تبقى فى مؤخرة الجيش

ميز بيدرو سيلجانو لدى أول ظهور له فى مقدمة الصفوف

هذا هو من تفضلينه عنى يا مايوركا

أعدك أن تبيت رأسه فوق قمة جينوم الليلة

لكن سيلجانو انصرف سريعا عن المقدمة مفتعلا تحركات استعراضية فى جانب كاستيليا مرة و فى جانب جيش الشمال مرة أخرى

حتى انتهى به الأمر أقرب لجيش الشمال كما لو كان يحارب فى صفهم لا فى صف كاستيليا ثم يعود لموقعه يفتعل الهجوم ويدارى نفسه بأقصى جهد له حتى لا تصيبه سهام جنود بيدرو

كيف ومتى استطاع سيلجانو التودد بهذا القدر لجنود مملكة الشمال وعقد تحالف مع بعضهم

وصلته أخبار خلافات بيدرو مع قادته وتذمر الجنود ولم يكذب خبرا

التقت مصلحته معهم على ضرورة قطع رأس مايوركا

تحلم فئة غير قليلة من جند الشمال بحمل رأسها إلى زينان والحصول على المكافأة العظيمة التى وعدهم بها... ونيل الحظوة لدى مليسا وحكيم السيدر الذى أكد لابنته أنه سينتقم لكرامتها مهما كان الثمن

وتحلم فئة أخرى بغرس سهم مقتل الحبيبة الجميلة فى قلب جنرالهم الحبيب ليعيده إلى صوابه ويحلم سيلجانو بإزاحة هذا الرأس من طريقه ليستعيد مملكته

أيام قليلة سأجتث رأس هذه المزارعة وأعود لتصبحين مليكتى ومليكة كاستيليا القادمة

هكذا وعد زوجته قبل أن يغادر ولهذا وافقت على التخفى كأخته للمشاركة فى حفل وداع

العذراوات حيث استقبلتها مايوركا بترحاب شديد

_أنت طيبة حقا يا أميرة، قالت لمايوركا التي استقبلتهم بنفسها وبادئتها بالسلام فور وصولها

كدت أيأس من تحقيق حلمى بزيارة كاستيليا بلدى العزيز الذى طالما كنت أتمنى رؤيته

_جميع أبناء كاسيليا مرحب بهم بيننا، قالت مايوركا بود غير مفتعل

بإمكانك استقدام أسرتك كلها زوجك وأبنائك والبقاء بيننا

_حسنا سنعود يا أميرة، سأعود أنا وزوجى وأبنائى، لا تقلقى، قريبا جدا سنعود جميعا وأتمنى لو أراك وقتها ثانية،

قالت ضاحكة

رأس مايوركا!!

لم تصنع فنون الحرب فارقا كبيرا فى قلب مايوركا الأبيض الذى فتحته على مصراعيه للعائدين من المنفى وأسرهم

ولكن المعركة كلها الآن ليست فى قلبها

وإنما فى رأسها

بدأ جنود الشمال الضرب فى جيش كاستيليا ومن خلفهم بيدرو يحصد بنفسه أبناء القادة الذين يتقدمون الجيش استطاع اصطياد الأشقاء أبناء القادة السبع واحدا فواحدا كعادته ولكن ليس هؤلاء من يريدهم

يواصل بيدرو صولاته فى ساحة الحرب بحثا عن سيلجانو الذى لا يبين وسط الكاستيليين.. رآه يتبادل موقعه مع جندى شمالى ثم رأى سهما منطلقا نحو مايوركا اخترق كتفها فسقطت أرضا

فزع بيدرو حين رأى مايوركا تسقط، تناثرت كل شراسته التى جاء بها إلى هذه الحرب هباء..

لم يستطع المكابرة...

غلبه صوته الذى خرج هاتفا باسمها مدويا بين أرجاء الساحة، يفشى للجميع كل سر باق عن لهفته عليها وقلقه بشأنها وحبه..

حبه الكبير الذى يكاد يلفظ آخر أنفاسه

همس لنفسه باكيا بحرارة، هل جاءت اللحظة يا مايوركا التى سيحمل أيا منّا الآخر ليعود بجثته،

لنخرج من هذه المعركة أنا وأنتِ،

"جسد ميت هنا .. وقلب ميت هناك"

أتنتهى هذه الحرب بدمائك أنتى تسيل على يديّ يا مايوركا

اقترب منها حاملا رأسها بين يديه، مواصلا همسه لنفسه دون صوت

قلت لك مايوركا

قلت لك كثيرا وحذرتك

أنى لن أستطيع أن أمنع جنودى عنك

ليس الأمر بيدى يا أميرتى

أنتى أميرتى أنا وعدوة أهلى وجندى

كيف كان بإمكانى أن أشق لهم عن قلب بيدرو ليروا كيف يضعك هو فى داخله

لا تسمع مايوركا شيئا من حوارات بيدرو الخفية لها، راحت فى إغماءة بينما التقطها فوق حصانه وراح يجرى باتجاه البحر وسط دهشة جنوده المتذمرين من تركه المعركة التى تبدو فى أوجها..

النصر حليفهم وكاستيليا على وشك السقوط

استمر جنود الشمال فى مطاردة الكاستيليين حتى فرّ آخر جندى منهم خلف الخندق

يستطيع الشماليون اختراق الخندق الضيق الآن والفضل لمايوركا التى أعطتهم المفتاح للدلوف إلى قلب كاستيليا باستقبال الزائرين القادمين لخيمة الفنون

غير أن أمرا كهذا يحتاج للجنرال بنفسه

ولكن أين بيدرو؟؟

تراجع الجنود محتفظين بمكاسبهم، هرب الكاستيليون إلى الخندق.. لا يصدقون أن الفرصة واتتهم مرة أخرى لالتقاط أنفاسهم خاصة مع سقوط مايوركا واختفاء سيلجانو ومقتل أشقائه على يد بيدرو

***

قبلة الحياة

على شاطئ بحر بارين أجلس بيدرو مايوركا على الصخرة التي تضمهما دائما

جسّ عروق يديها ليتأكد من بقائها حية

استجمعت ملامح بيدرو القوة والشراسة ولكن هذه المرة من أجل فعل أى شئ يعيد مايوركا للحياة

استعادت بالفعل عافيتها شيئا فشيئا بين يديه وإن كانت تتنفس بصعوبة .. لا يبين من كلامها سوى اسم بيدرو تنطقه بين الحين والآخر وتروح فى غيبوبتها

_ لا تخافى حبيبتى

لن أتركك تذهبين

_ بل دعنى أذهب يا بيدرو لأريحك من عناء بقائى حية، قالت بعناء

أتعتقد أن بإمكانك أن تأمر جنودك برمى قلبى بسهم ثم تأتى لتنزعه أنت منه

ألست تريد موتى؟

اقطع رقبتى بسيفك وأكمل هذه المهمة واذهب بها لجيشك لتزين قمة الجبل بانتصارك الأخير

_ اسكتى مايوركا

صرخ بها بيدرو فامتثلت لأمره فى ضعف.. بينما استكمل هو إخراج السهم من جسدها، أخرج من جيبه زجاجة يحتفظ فيها بدواء من خلطات مليسا تحسبا لأى مكروه يصيبه

خلطة مليسا المكونة من عشبة النيم والثوم وزيت جوز الهند ساحرة حقا فى المساعدة على التئام الجروح بأسرع وقت..

ربط بيدرو جرح مايوركا باحتراف طبيب ماهر

ثم أعطاها جرعة أخرى من الدواء لتشربه فبدت أحسن حالا

_كدت أموت بيديك، قالت معاتبة بوهن

_ بل عدتى للحياة توا بين يدى

لست أنا من أطلق السهم عليكى يا مايوركا

_ طبعا لست أنت.. إنما هو أحد جنودك من أطلقه بأمرك، وهل تظن أن هناك فرق؟!

رفع بيدرو السهم من بين حبات رمال الشاطئ بعد أن غسلت مياه البحر دماء مايوركا التى لوثته وأعطاه لها

يحمل السهم فى طرفه علامة الكرز التى أمرت مايوركا بحفرها فوق الأسلحة لتعطي للجنود دفعة للانتصار من أجل رمز كاستيليا

لم يصنع من السهم بعد سوى قطعتين

واحدة تحملها مايوركا والأخرى سلمتها لسيلجانو

تبادل سيلجانو موقعه فى المعركة فى اللحظة المناسبة ليغافل مايوركا ويلقيها بالسهم

أقصى ما استطاع الجندى الشمالى أن يفعله هو أن يسمح له بتبادل موقعه معه ليكون أقرب لإصابة مايوركا دون أن يلاحظه أحد فى الجيش

لا يخالف جنود بيدرو أوامره .. يعلمون تماما أنه غير مسموح لهم قتل مايوركا

فقط رغبة فى إنهاء المعركة الطويلة. وطمعا فى القطع الذهبية التى أهداها له سيلجانو وافق الجندى على خطة سيلجانو

ولكنه أبدا لم يخالف أمر الجنرال.. فقط كان يسعى لتنفيذ طلب الأمير زينان

استطاع الجندى حل المعضلة.. ستموت مايوركا ولكن بأيدى جيشها، فلتلقى جزاءها المناسب عن تولى أمر هؤلاء الفئران

هكذا دافع عن نفسه حين وقف أمام بيدرو ليشرح له ما حدث لاحقا، سامحه بيدرو لصراحته ولولائه

_ قال لها، مازلتى مايوركا الصغيرة .. يتحرك القادة فى الحرب يا حبيبتى فى كل لحظة

نتحرك مثل الطيور الجارحة

لا يمكن أن يسكن القائد لحظة

سكونه يعنى الموت له ولجنوده

فى الحرب لا يمكننا الاستمتاع ولو بلحظة سكون يا مايوركا

لا تثقى بالزمن ولا تثقى بالأماكن ولا تثقى بأى من كان

فى الحرب لا ثقة لأحد أيتها الطفلة

لا يمكنك أبدا أن تستندى ولو على ظلك

راح بيدرو يعاتبها بحنو.. يغلب على صوته سعادته بإستعادتها لوعيها، بينما ترد بوهن وروتينية تخفى سقوط قناعاتها

_ تبدو فرحا يا بيدرو، معك حق.. خاننى سيلجانو

_أنا مسرور لأنى أنقذتك يا مايوركا وسأنقذك دائما.. سعيد لالتقاطك بين يدى ولو كجريحة حرب

ليتنى استطعت إخراج قلبى من جيبى لا زجاجة الدواء وأسقيتك إياه

_ لا أعرف كيف سيكون يوما فى إمكانى أن أرد لك هذا الجميل، ردت مايوركا بانكسار

فأراحها بين ذراعيه مستندا إلى الصخرة قائلا، استرخى الآن

_ كان بإمكانك أن تتركنى لأموت.. كاستيليا كانت بين يديك تقريبا.. يمكنك أن تدخلها

_ وماذا سأفعل إذا دخلت كاستيليا ولم أجدك فيها يا مايوركا

_ ستكمل حلم خوان وتصبح قائد مملكة الشمال ستقف على البحر هذا وخلفك مملكتك

_ ولكنى أقف على البحر الآن فعلا وأمامى وبين يدى مملكتى

لم أحسب يوما أن لإمرأة أن تصبح مملكة

_ أغرورقت عين مايوركا بالدموع تبلل حديثها الخافت بفعل الجراح، يا لحظ مايوركا العاثر الذى ألقى بكل هذه الأحمال على رأسى .. ليتك تركتنى أموت بدلا من هذا الاختيار الصعب بينك وبين الحرب

ارتفع صوت بيدرو مضطرا؛ عرضت عليكى أن تتركيها يا مايوركا

فأشعلتى بدلا من المعركة اثنتين

واحدة بالأرض وأخرى بقلبى بتفضيلك لهذا الفأر الخائن علىّ

_ هل ظننتنى حقا أفاضل بينك وبينه!! راحت مايوركا تحاول رفع صوتها و تشرح له خطتها بينما تلمس لأول مرة بشرته بيديها المرتجفتين

_ لم يعرف قلبي طعم الحب إلا بيديك ولن يعرفه أبدا، ولست يا بيدرو بمن يمكن أن يقارن، ضحكت قائلة بإمكانك أيها القائد العظيم أن تقف طرفا بميزان يوضع فيه رجال الأرض كافة ولا يزنون شيئا من قدرك

سألها بيدرو بعتاب مفضوح كذبه، ولهذا أردت وضعى في كفة يقابلها خائن كهذا!!

_فقط أردت إخراج نفسى من هذا المأزق الذى ورطتنى أنت وكاستيليا فيه

منحته فرصة ليثبت ولائه للأرض التى أنجبته وربته .. منحته فرصة ثانية للعيش بكرامة داخل الوطن بدلا من الهروب شريدا فى البلاد البعيدة...

قلت أعيد لكاستيليا تاجها وأعيد لقلبى سكينته، لأعفى نفسى من أى حرج إذا فكرت يوما فى حل يجمعنى بك

عدّلت مايوركا من جلستها لتخفف حملها عن ذراع بيدرو مكملة حديثها المنساب بين ألم جسدها وألم تعرضها للخيانة، قالت

_ هيهات لمن تربى على الخيانة أن يعرف يوما طعم الشرف

كيف ؟! كيف يا بيدرو ؟!

كيف يخون أحدهم وطنه بهذه الخسة ؟!

لقد كدت أوليه كل شئ .. وأهرب أنا إليك

كنت أنتظر منه أن يتولى زمام كل شئ ويريحنى من هذا العبء، بكت مايوركا

صدقنى يا بيدرو كنت سأجيئك لأرتمى بين يديك بعد هذه المعركة حية أو ميتة

ضمها بيدرو إليه، وبدا من ملامحه المستكينة أنه يعرف سلفا ما قالته.. يعرف هو تاريخ قادة كاستيليا

ربت على ظهرها قائلا، اهدئى يا مايوركا مازال جرحك صعبا

_ ازداد بكائها بالعكس ثم قالت، أو تعلم بيدرو أنى كنت سعيدة حقا بالسهم الذى اخترقنى

لقد شعرت بقرب نهاية هذه الحرب بموتى

موتى هو الخلاص الوحيد

فقط تمنيت لو أنك تحتفظ برأسى فى بيتك لا فوق جبل جينوم

فلتزين برأسى سريرك يا بيدرو

دعنى أطل عليك كل ليلة

استعاد بيدرو ضحكته العالية القديمة قائلا

_ شبحا يا مايوركا!

تعيشين معى شبحا!

أنا لم أقبل أن أزين برأسك الصغير هذا جبل جينوم

فهل أزين به أحلامى

حبيبتى

حتى الجنرالات يخشون الأشباح

عادت لمايوركا آلامها متأثرة بالجرح فتساقطت دموعها أكثر

توقف بيدرو عن المزاح ليمسح وجنتها بيديه هامسا برفق

_حسنا لا عليك

سأحبك ولو كنت شبحا

عجيب!!

_ما العجيب، سألته باسمة فرد بيدرو بابتسامة أوسع

_هل لان رأسك العنيد يا صغيرة

ألم تعد تغريكى لعبة الحرب؟؟

-لا تحب النساء الحرب، قالت بخجل

عاد بيدرو لقهقهته

_ وماذا تحب النساء إذن؟

دعينى أتعلم منك درسا مقابل كل دروس الحرب التى علمتك إياها

استطردت مايوركا في الشرح كمعلم نابه يعلم تماما ما يقوله وبدا بيدرو لأول مرة تلميذها النجيب، تحب النساء السلام يا بيدرو

يحبين السلام والأمان

تحب كل امرأة الاستسلام داخل حصن رجل تصبح هى وطنه يحميها ويمنحها الأمان وتمنحه هى فى المقابل الدفء والبيت والحنان

وأنا أيضا، أريد بيتا آمنا يا بيدرو

ولا بيت آمن سواك

مهما سكنت من قصور ومهما جمعت من سلطة وقوة

لا أمان لقلبى إلا بك

أزاح بيدرو جسد مايوركا الجريح عن ركبتيه ليمنحها فرصه للاعتدال فى مواجهته.. قبلها فى جبينها

_ ولكنى آمرك الآن بمواصلة الحرب يا مايوركا

حتما هناك معركة أخيرة ولكنى

لست عدوك فيها يا مايوركا.. بل أنا حليفك

دعينى أثأر لك من سيلجانو وحلفائه

وعدتك وأعدك دائما أن تكون كاستيليا أرضى الحبيبة مثلك تماما

كان بإمكانى أن أدخل وطنك غازيا الآن حقا .. ولكنى وكما اشترطتى من قبل أطلب منك أن تدخلينى إياه ضيفا

سأقضى على سيلجانو الخائن بيدى وسأذهب مرتجلا وجندى عبر خندق الرووم رافعين الرايات الحمراء لنشارك أهل كاستيليا وأنت إعلان سلاما مشتركا

قال ساخرا، سيفرح جنودى بالعودة لخيمة مسرحك أعرف هذا

ضحكت قائلة، وهل ستسمح لهم بخواء مايوركا يا جنرال؟

رد بيدرو، لقد اخترقهم صوت غنائك تماما كما اخترق قلب قائدهم

أكمل قائلا، وسيفرح جنود كاستيليا بالقضاء على الخونة الهاربين وبعودة أميرتهم سالمة ... حتما هم يموتون قلقا فى انتظارك الآن

اسكنيني قلبك ووطنك ولنعلنها مملكة واحدة

رقّت مايوركا لكلمات بيدرو ربما بفعل الألم الذى تشعر به

وبفعل الغصة التى تملأ فمها وهى تتذكر همهمات الجنود التى لا تتوقف عنها حتى وهى فى أوج انتصارها

"ابنة عيدار" تسمع سخريتهم هذه حولها من بعيد حتى إذا جاءت سكتوا، ولكن ترى فى عيون

البعض نظرات الغيرة تملأهم وهى تتوسط القصر، وهم مجبرون لتقديم فروض الولاء لها ولأبيها

لقد سأمت مايوركا حقا إقناع الجنود بالقوة بالامتثال لأمرها.. كان أسهل عليها كثيرا السيطرة عليهم وهى تغنى بينما يجلسون هائمين فى صوتها بلا نبرة تململ مثل تلك التى تسمعها وهى تلقى الأوامر عليهم كل صباح

وعدت بيدرو أن تفكر جديا فى عرضه

حملها برفق ووضعها على فرسها وتركها تمضى عائدة إلى كاستيليا

وعاد ليشارك جنود الشمال فرحهم الهستيرى بالانتصار فى المعركة .. وجد رؤوس الأشقاء فى انتظاره ليلقيها بنفسه فوق الجبل ولكن النشوة التى فى قلبه أعظم من إفسادها بالرائحة النتنة الصادرة من الرؤوس المقطوعة

أشار لفورتان بمنح هذا الشرف لأبطال المعركة

غادر الساحة تاركا الجنود يتقافزون فرحا بالمهمة الجديدة

وذهب لغرفته، نام طويلا ليرتاح من صداعه المزمن لأول مرة منذ وقت طويل

***

الثورة على مايوركا

عادت مايوركا لأهل كاستيليا تحاول التماسك متأثرة بجراحها

لتجد سيلجانو واقفا بين الجموع الباكية على موت الأميرة وسرقة جثتها، ويعدهم باستكمال المعركة والانتصار وإعادة جثة مايوركا لتدفن فى أرضها

ظهرت فرس مايوركا لتنهى أحلام سيلجانو.. حاولت التلميح لتسبب سيلجانو فى خسارة المعركة لا يبدو كلام مايوركا عن خيانة سيلجانو مقنعا

آآه يا مايوركا .. أنت من أعطاه الفرصة ليشاركك عقل وقلب شعب كاستيليا يستمد سيلجانو قوة تأثيره على الشعب من خلال الثقة التى خلعتها عليه

والآن كيف ستنقعهم أنك كنت مخطئة وأن قادة كاستيليا فئران فعلا.. لا تعنيهم كاستيليا وأهلها فى شئ إلا بقدر ما تحققه هذه الأرض الصغيرة لهم من مكسب

تبدو كاستيليا الآن صفقة مربحة ولهذا إذن عادت الفئران للظهور

لم يكن صوت كاستيليا الحرة ما جذبك إذن.. ردت مايوركا

_ هذا الفأر المذعور الذى اختبأ فى المعركة ترك ظهرى مكشوفا للأعداء هو ليس سوى امتدادا لأسلافه الخائنين الذين تركوا كاستيليا تسقط واحدا وراء الآخر ثم مضوا يبحثون لهم عن أوطان منتصرة جاهزة

_ ما هذا الحديث يا أميرة ؟؟! رد سيلجانو على اتهامها بجرأة

بالأمس كنتى تحملين يدى فى يدك لأشاركك حمل كاستيليا واليوم وبعد أن خسرت أشقائى.. عزوتى.. تريدين تقليب هذا الشعب الكريم علىّ

ترددين يا مايوركا كلام بيدرو عدونا، " فئران مذعورة" !!!

هذا هو رأيك فى أهلك

ياللعار!!

سكتت مايوركا أمام اندفاع سيلجانو فى حديث حماسى وتجاوب الجماهير معه

آآآه ماذا أفعل؟! خاطبت نفسها

كيف يمكن أن أطلب منكم شعب كاستيليا أن تفتحوا قلوبكم للجنرال مثلما فعلت أنا؟!

كيف أقول لكم أن بيدرو العظيم هو أفضل من يتولى أمر كاستيليا ويداويها من كل جراح الحرب الماضية مثلما داوى جرح مايوركا ؟!

لقد أحكمتى الكذبة يا مايوركا

صدقتها أنتِ نفسك وكدتى تدفعين حياتك اليوم ثمنا لها

والآن على أهل كاستيليا كلهم أن يدفعون ثمنها معك

علهم أن يستمعوا لكاذب مثل سيلجانو و هو يدّعى شرفا لم ينله بالاستبسال فى المعركة

لم يتحمل سيلجانو اتساخ ثوبه من أجل كاستيليا

بينما لوثت دماء مايوركا ملابس بيدرو غير مبالى بشئ سوى إنقاذ حياتها

ربما كان بيدرو قاسيا من قبل

ولكنه الآن لم يعد كذلك

أنا متأكدة من ذلك

الجنرال الماهر فى الحرب والحكم وقد دخله الحب فعدّل وجهته ليكون سلاما

سلاما حقيقيا تستحقه كاستيليا

وسلاما حقيقيا تستحقه مايوركا أيضا

ألا تستحق مايوركا يا شعب كاستيليا العظيم بعض الراحة ؟!

بعد كل ما فعلته لأجلكم ولأجل كاستيليا

تريد هذه الطفلة العودة لطفولتها مرة أخرى

تريد حقا العودة للركض فى حقول الكرز

تريد القفز بين أرجاء المزارع تغنى وتغنى غير مبالية

لا تليق بك الحرب يا مايوركا ولا تليقين بها

هكذا قال لها بيدرو

كنت محقا يا جنرال

دائما ما كانت رؤية بيدرو للأمور صحيحة عليها أن تعترف الآن

عليها أن تعترف لنفسها الآن أن الأرض الطيبة التى أنجبتها هى ذاتها من أنجبت سيلجانو وأشقائه

كيف ارتوينا معا بنفس الماء؟! لم يعد هذا السؤال ما يؤرقها

كيف طرحت الأرض ذاتها ليوبو وأرمنتا وعيدار وباقى أهلها الطيبين وفى نفس الوقت سيلجانو أشقائه والجنود المنشقين عليها دائما مهما فعلت لهم

السؤال الآن كيف تستطيع مايوركا إنقاذ كاستيليا من فئرانها قبل أن يجنوا على محصولها ويدمروا الأخضر واليابس فيها كما فعلوا سابقا

لم يعد الأمر أنى أحب بيدرو وأن قلبى ينازعنى الاختيار بينه وبين وطنى

لقد أصبح هو و وطنى فى جانب واحد، التقى فيه السلام والحب

وفى الجانب الآخر الحرب بوجهها القبيح والكره متمثلا فى صورة آدمية بشعة تشبه روحه السيئة هى سيلجانو.. بكل ما يمثله على هذه الأرض من معانٍ دنيئة

وطنى وقلبى يطالبانى بمواجهة الفئران

تذكرت يوم قالت لبيدرو

سأحرركما معا أنت و وطنى

وأعيش حياتى أغنى فى حبك وحب الوطن

يستحق شعب كاستيليا حاكما عظيما مثل بيدرو

ويستحق قلب مايوركا الطيب الطاهر محبا عاشقا فى روعة بيدرو

***

العلاج

مكثت مايوركا بخيمتها كثيرا بحجة أنها تتماثل للشفاء

وإن كانت فى حقيقة الأمر تحاول التفكير فى حل

مع كل جرعة من العلاج تعدها لها أرمنتا لتحتسيها كانت تعود لقوتها السابقة ... تعلمت أرمنتا الكثير من وصفات مليسا أثناء زياراتها القديمة لها

استطاعت مايوركا أخيرا الوقوف مجددا على قدميها

خرجت فى الصباح الباكر كما تفعل دائما باتجاه البحر، تستنشق رائحته ويذكرها الموج فى تسابقه للحاق ببعضه بالأفكار المتضاربة فى رأسها

وأخيرا هدأت الريح واستسلمت مياه البحر لمصيرها، توقف الموج عن لعبه المطاردة وتوقفت مايوركا عن التفكير

عادت بوجه منتصر وبروح خفيفة

أبدا ما جربت مايوركا الإحساس بالنصر وخفة الروح معا

كل مرة كانت تعود من البحر بروح تقفز فرحا وجسد متثاقل كجسد جندى مثخن بالجراح

كان لقاءها بيدرو يصيبها بتأنيب ضمير

تذهب وتعود متخفية حتى لا يراها أحد فيسألها عما يدور هناك فوق الرمال ...

رمال كاستيليا شئ وتربتها الطينية شئ آخر...

هنا التصاق بالجذور وبالعادات القديمة، وهناك انطلاق لما وراء هذا البحر الواسع وخيال جامح يحقق لها المستحيل تستنشق الحرية والحب والحلم من بين نسمات البحر ثم تعود لتختنق ما أن تهبط لأرض الواقع الجامدة، تسير بخطوات متثاقلة فوق التربة الطينية كالمحكوم عليه بالموت الذى يمضى لحتفه

اليوم مايوركا تجرى بخفة عاشقة وبثقة قائدة منتصرة

جمعت مايوركا الشعب فى معسكر الجيش اعتلت المسرح وبدأت تشرح خطتها الجديدة لتحقيق النصر

على يمينها سيلجانو ووالدها

بدأت مايوركا حديثا طويلا حول الشقاء الذى لحق بكاستيليا من جراء الحرب الطويلة

قالت علينا أن ننهى هذه الصفحة للأبد، الخروج بكاستيليا قوية تستطيع الراحة أخيرا وممارسة حياتها كما كانت دائما البلدة الطيبة المسالمة هدف أكبر وأغلى من تحقيق نصر واهن يبدو بعيدا بعد أن خسرت كاستيليا فى سبيله كل شيء، قالت

كفانا ضحايا

كفانا دماء

كفانا جراحا وحدادا

فلتبدأ كاستيليا عهدا جديدا من السلام والمحبة ولنترك كل شئ خلفنا

ثم بدأت تعرض عليهم اتفاق سلام مع بيدرو ... "تحالف بين كاستيليا ومملكة الشمال"، متعللة بهزيمة أبناء القادة وعدم مقدرة الجيش على معاودة الكرة وتغيير الأمر وحسم المعركة

تحدثت كثيرا عن نفسها وتعرضها للموت المحقق لاستثارة عطف أهل كاستيليا

_ أنا مايوركا ابنتكم

ابنة كاستيليا التى ضحّت بكل شئ لأجلكم.. وعرضت نفسها للخطر من أجل أرضها

أرجوكم اليوم افتحوا آذانكم لنداء السلام

لا تلوح أى علامات تعاطف على وجه أحد، رغم كل ما قالته

بدأت زوجات أبناء القادة فى الصراخ والنحيب

هل جئنا لنموت يا كاستيليا، ليفقد أبنائنا آبائهم، لنذوق الذل على أرضك بعد أن كنا أسيادك

لا والله ما لهذا عدنا يا مايوركا .. أعيدى لهؤلاء الأطفال آبائهم أولا قبل أن تنهى هذه الحرب

علامات الحزن والتأثر كست الوجوه الملتفة حول مايوركا من جانب والصغار الباكين من أبناء الأشقاء وأمهاتهم من جانب آخر

تعالت الاعتراضات

أتقنعينا بوقف الحرب؟؟

أتقنعينا بالاستسلام لبيدرو؟؟

كم مرة انهزمنا يا مايوركا وما كان هذا حديثك أبدا

لقد فقدت كاستيليا أبرز شجعانها أبناء القادة أنفسهم راحوا ضحايا لهذه المعركة التى خسرتها بتركك المفاجئ للساحة كما قال لنا سيلجانو.. صاح إيزندر

أنا لم أترك المعركة لقد أصابنى السهم، ردت غاضبة

هذا ما تصوره سيلجانو ولهذا عاد هو الآخر لهنا، استكمل بيدرو حيلته المتفق عليها بينه وبين سيلجانو

ولكننا فوجئنا جميعا بعودتك سالمة ، إذا كان ممكنا لك الاستمرار والتحامل للسير فلما لم تستمرى هناك فى أرض المعركة بدلا من تفضيل حياتك وراحتك والذهاب لاستنشاق هواء البحر التى يبدو أن عشقك لها يفوق أرض كاستيليا

هل تظنينا جاهلين بما بينك وبين جنرال الشمال... حتى جنوده يعرفون ذلك

صه يا إيزندر.. اسكت، قال ألكسو محاولا التدخل عبثا لقد أضعفت عودة سيلجانو ومعه من يسبقونه في أقدميه قيادة الجيش من وضعه بين الجنود، أكمل إيزندر حديثه

وإن سكت إيزندر يا أميرة .. جنود الشمال يتحدثون عنك وعما بينك وبين قائدهم كل ليلة هنا فى خيمتك القديمة يتسلون بسيرتك كما كان الجميع يتسلى بصوتك قديما

أنت لا تصلحين سوى للتسلية أيتها الأميرة المزيفة

انهالت دموع مايوركا وهى تسمع اتهامات إيزندر

لم تعد مايوركا تعرف كيف ترد على ما بدا كمسرحية محفوظة يؤدى كل فرد فيها دوره فيها سيلجانو.. إيزندر.. زوجات الأشقاء

والآن مايوركا هى الخائنة؟!

صاحت بصوتها الخافت الذى مازال متأثرا بإصابتها

تشكون فى حب مايوركا لوطنها أيها الشعب العظيم؟!

نكس كل من ألكسو وجيريد رأسيهما ما أن فضح إيزندر كل شئ... همس لها ألكسو لقد حاولت كثيرا ولكن بطلبك هذا لم يعد هناك سوى أن أصدق أنا نفسى ما يردده جنود الشمال عن عشقك لجنرالهم

ساندها ألكسو كثيرا، وحاول قدر جهده نفى الشائعات المنتشرة حول عشقا يجمع الأميرة

بعدونا، راح يسألها معاتبا

هل تحبين بيدرو فعلا، أتدرين كم روحا قتلت يده من آبائنا وأخوتنا، أتدرين كم حملت بيدى من الرفاق لا أدرى جسد من هذا بينهم بعد أن احتفظ هو برؤوسهم؟!

هل ستبيعننا حقا يا مايوركا؟!

عادت مايوركا توجه حديثها للجماهير، لا تدرى كيف في جملة واحدة يمكنها شرح الأمر لألكسو

أنت تعرف الحب يا ألكسو، قالت في جوفها دون أن تجرؤ على فتح هذه السيرة بهذا الوقت، توقعت أن تتمكن من إقناع ألكسو وجيريد لاحقا بموقفها فهى من فتح باب غابة هيرتشى لهما ليرتاح قلب كل منهما مع رفيقته

سيعذرانى أقنعت مايوركا نفسها

فركزت جهدها على الجموع الثائرة، خاطبتهم بنبرة حاسمة كمن اتخذ أمرا

أنا لم أحمل يوما فى قلبى سوى الخير كل الخير لكم يا أهل كاستيليا ولأرضى

وإذا كان الخير الآن فى وقف القتال فسأكون أنا من يوقفه كما أشعلته يوما

بدا أهل كاستيليا الذين أدمنو نشيد النصر من مايوركا متذمرين غير متقبلين لنبرة صوتها المهزومة

لقد أخرجتى المارد يا مايوركا...جاءها صوت ليوبو من السماء

أقنعتى الكاستيلين الطيبين تماما بأفكارك العظيمة حول الأرض التى لا تنبت إلا طيبا مثلها

لا يرضى الكاستيليون اليوم بأقل من المجد ومن لمعان بريق الذهب.. لم تعد تغنيهم حمرة الكرز ولا يلهيهم صوت غنائك يحمل رسائل الحب والغرام

راحت مايوركا تنظر للسماء تحدث ليوبو

كيف يا حكيم؟!... كيف يتعلم الكاستيليون الدرس الذى تعلمته مايوركا بصعوبة

احتاجك إلى جوارى هنا، اهبط بحق الإله الواحد وتعال ساعدنى

كيف يدرك أبناء هذه البلدة الطيبة الآن أن الرمح الذى يصيبهم من الأعداء البعيدين ليس هو وحده مصدر الخطر الذى عليهم الحذر منه

وإنما ذلك الخنجر المسموم الذى ينسل بخبث فى جنبهم ليطعنهم فى هدوء، والذى سبق وتلقته

مايوركا نيابة عنهم لتذوق مرارته أولا حتى تجنبهم إياها

ارتفع صوت مايوركا مناشدا شبح ليوبو في السماء، لماذا لم تعلمنى شيئا عن طبع الخسة والخيانة المعتمل في صدورهم يا حكيمنا؟ لو كنت أعلم هذا مسبقا لاستطعت جلب النصر لأهل كاستيليا دون عناء

كنت لأضع السم بيدي فى سلة الغذاء قبل أن أقدمه لسيلجانو وأشقائه ومن على شاكلتهم

لتبقى كاستيليا حرة بحق

حرة من الخبث الذى نبت فى أرضها وأودى بها لهذا الهلاك

حرة من العقول التى لا تفطن سوى لمهارة التآمر والمكر والخداع

ومن القلوب التى لا تعرف حزنا سوي على مكاسبها الخاصة

لكن كاستيليا اليوم لن تسمع

لن تسمع لكل هذا

لن تسمع سوى لنعيق الحرب وصوت طبولها العالى

لا يبدو خرير الماء مغريا للتأمل وحدها الشلالات تدفعنا نحو جنونها وعنفوانها لنلقى حتفنا عطشي بين يديها

يجرى حديث مايوركا الآن بين الكاستيلين كمياه النهر الهادئة .. ينظر إليها الجماهير وهى تتحدث للسماء ويخبطون كفا كف

جنّت الأميرة

بينما يهدر سيلجانو كبحر هائج بحديثه الملتهب

تطوع سيلجانو للتعبير عن غضب الجماهير وتأكيده فى نفوسهم فى الوقت ذاته

_ ما هذا الذى تفعلينه يا مايوركا؟

أظننت نفسك ابنة الإله بحق لما تم منحك لقب أميرة.. لا تتحدث السماء لأبناء العامة

هذا حديث نفسك التى جنى عليها العشق.. تديرين معركة بلد بأكملها لأجل أن تأتى بعشيقك يلوث أرضها، ويلوث القصر الأحمر بجواريه بعد أن تصبحى واحدة منهم

حقا النفوس التى تربت على العبودية لا يمكنها أن تعرف معنى العز والفخر أبدا

لم تغيّر الثياب العسكرية والشرائط الحمراء ولا سُكنى القصر الأحمر فيكِ شيئا
أعظم أحلامك أن تخبزى فطيرة الكرز للجنرال العظيم لتقدميها له بجوار الخمر وتشعلى ليلته
رفعت مايوركا سيفها لتضرب سيلجانو فأمسك بيدها وأسقطها أرضا
التفت للجماهير التى لم تعطى سقوط مايوركا أى انتباه واستمر فى حديثه الملتهب
_ لقد أوشكت كاستيليا على النصر
أصبح الحلم الكبير ممكنا
سأنتقم لإخوتى وسأنتقم لوطنى العظيم
أعدكم يا شعبى الغالى
لن تتحرر كاستيليا فقط
ولكنها أيضا سترحف على مملكة الشمال
وتحررها بلدة بعد الأخرى
ستتولى كاستيليا قيادة العالم
سنكون أعظم بلدة فى الأرض
ستصبحون أسياد الكون يا شعب كاستيليا العظيم
حاولت مايوركا النهوض مزاحمة هتاف سيلجانو
لم تسعفها قوتها فانهارت مرة أخرى على الأرض
ليستمر سيلجانو فى هتافاته
وإن خانت مايوركا، وإن ذهبت، وإن ماتت
فهناك ألف مايوركا
كلنا مايوركا
وكلنا فداء الأرض الحمراء
أرض كاستيليا العظيمة
تعالى هتاف الجماهير ليمنع صوت مايوركا المتحشرج من الخروج من حلقها، حملها والدها وبعض جنود حراستها الملتفين حولها إلى خيمتها .. وجدت أن سيلجانو نقل أشيائها وأبيها للخيمة

واستحوذ وأسرته على القصر

عاشت كاستيليا العظيمة

تسمع مايوركا هتافات سيلجانو المتواصلة وهى مستلقيه فى خيمتها

عاشت الأرض الحمراء

امضى كاستيليا لتحكمى السيطرة على مملكة الشمال كلها

_ ومن سيفعل كل هذا، قالت

أنت أيها الفأر؟؟

يالعذاب الوطن حين يتردد اسمه على ألسنة منافقيه

اللعنه على تلك الحماقة التى أضعتي فيها عمرك يا مايوركا حين ظننت أن الخير هبة إلهية نكتسبها بالميلاد إذا ما ولدنا لآباء طيبون وبلاد طيبة

_ لم نعود لوطننا لنموت يا أهل كاستيليا.. تعالت هتافات زوجته وزوجات أشقائه تخالط صوته المستمر في الصياح وتعززه

جئنا لنهب هذه الأرض أرواحنا فداءا لحريتها

لنعيد لها حكمها الملكى العريق

***

ألكسو

أبلغ ألكسو عائلات القادة بقرار مايوركا أمرهم بمغادرة البلاد، استقبلوا الخبر باستهزاء واستأنفوا خطابهم للشعب

هل تقبلون أن تطلب منا مايوركا أن نغادر وطننا مرة أخرى ؟!وهذه المرة بأطفال يتامى؟!

صاحت الجماهير رافضة مغادرة أبناء القادة مرة أخرى ومبايعةً لسيلجانو للعودة للحكم، لاحقتها اتهامات الجماهير وسبابهم

لا يا مايوركا

لن نستسلم

لقد دفعنا الثمن غاليا

سنحارب حتى تعود كاستيليا حرة وحتى يعود للقادة السبع ملكهم

اذهبى أنتِ لتغسلين أقدام الخائن بيدرو كما تشائين

ترددت الأصوات تخترق الزحام لتصل لقلب مايوركا بخيمتها

تأخر الوقت كثيرا يامايوركا قال ألكسو الذى دخل إلى الخيمة يخبرها برفض أمرها من أبناء القادة والشعب، عليكي إيجاد حل آخر غير الاستسلام

حاولت مايوركا الدفاع عن نفسها فأوقفها ألكسو.. لم ولن أشك بك لحظة يا ابنة كاستيليا العظيمة.. أعرف أن الأمر ليس بيدك

_قالت مايوركا مستنجدة بكلمات ألكسو التي جاءت لإخراجها من حلق ظلمة خيمتها، لم أرى صدقا من قائد مثلما رأيته منك، لا أعرف أية علامات زرقاء تلك تخطئ النبل بعيونك وتمنحه لخائن خسيس كهذا الذى يهذى بالخارج كذبا وزورا

حكت له ما كان من أمر سيلجانو بالمعركة، ثم سألته

وماذا أفعل الآن يا ألكسو، وقد أدمن الجميع إرهاق قلبى لينتشوا هم بصليل الخيول تجرى على شراييني الممتلئة لآخرها بحب كاستيليا و بيدرو

اسألى قلبك يا مايوركا، أجابها فهو أصدق من يجيب على سؤالك هذا

يعرف ألكسو أن كاستيليا تهوى لمعة الأزرار الذهبية ببذلة الكرينتا أكثر من أي شيء آخر،

ويعرف أن خيار الهدنة مع الجنرال رغم كل حنقه ضده هو الخيار الأفضل لكاستيليا، ويعرف بحكم حربه الطويلة مع بيدرو ما يعنيه قرارا كهذا يصدره بيدرو بقدره وسطوته، ويعرف أن لا سبيل للم شمل هذا الوطن حول صوت مايوركا بعد الآن وقد احتلت الغربان أغصان أشجار كاستيليا والتهمت ثمارها

نصحها ألكسو بمعاودة التفاوض مع بيدرو للوصول لطريقة لفرض الهدنة

على غير موعد يلتقى اثنتهما دائما

ذهبت مايوركا إلى بارين تبتلع مع هواء البحر الدمع وتعيد إدخال وإخراج الزفير ذاته فى صدرها عشرات المرات حتى تستطيع الحفاظ على هيئتها القوية المعتادة

وجدت بيدرو فى انتظارها، يعرف كل ما قيل فى الساحة عن طريق رجاله الذين صاروا يدخلون ويخرجون إلى كاستيليا بمنتهى السهولة

_ماذا لديك يا مايوركا؟! ما الحل الآن أسمعينى، هيا حلّى أنت هذا الوضع الذى عقده عنادك

_أنا اليوم أعرض عليك أن تأخذنى يا بيدرو.. أنا أطلبها منك .. اخطفنى .. اجعلنى أسيرتك ثم نفذ خطتك وادخل كاستيليا لنبدأ بعدها فى حل الأمر كما اتفقنا

_ ما هذا الحل المهين!!

لا يخطف بيدرو النساء يا أميرة كما أنى لا أضمن لك رقبتك إذا أدخلتك بنفسى مملكة الشمال .. لن يكون فى استطاعتى منع جنودى عنك

ماذا أقول لهم..

لن يقول التاريخ عجز بيدرو عن حسم المعركة بسيفه فاحتال لحسمها بخطف إمرأة

ثارت مايوركا لإحباط خطتها، انتابتها حالة من صراخ متواصل فقد اشتعلت آخر السفن التى كان يمكن أن تهرب بها من هذا المأزق، أخرجت غضبها فى بيدرو

_ أنت تريد كل شئ يا بيدرو

الأرض والفخر ومحبة الجنود وقلب مايوركا

وهذا مستحيل

انتقل جنونها لبيدرو فبادلها صراخها

_ أريد حلا يليق بتاريخى .. بتاريخ بيدرو الثالث "الجنرال المنتصر دوما" .. بإرث جدى خوان العظيم

أنا أمنع نفسى عن سحق كاستيليا من أجلك، وأنتى لا تجرؤين على مواجهة فئرانكم الذين كادوا يقتلونك لولا وجودى

طفلة!!

مهما حاربتى تظلين طفلة يا مايوركا

_ لا تزيد الأمر صعوبة يا بيدرو

ألم تشبع من منظر الدماء بعد.. ألا يكفيك كل ما حققته من مجد

_ لست سارقا ولا قاتلا يا مايوركا.. أنا محارب.. وفى الحرب كل شئ مشروع

ومع هذا فمن أجلك غيرت قوانين الحرب، من أجلك حولت رحى الحرب التى يديرها جنود بيدرو فتنهى الأخضر واليابس فى طريقها إلى طاحونة هواء تدور وتدور وتدور بلا نتيجة.. والآن أنا أراكِ مثلهم فأرة كاستيلية جبانة

لا تختلفين عن أهلك فى شئ

عاجزة عن إقناعهم بأى شئ.. وأنت قائدتهم

لم تتحمل مايوركا السباب والصراخ الخارج من بيدرو الذى تحول للقائد الشرس القديم الذى كانت دائما ما تخاف حتى سيرته

استفزها اتهامه لها بأنها فأرة كاستيلية واستنفر فيها دفاعها وحميتها عن وطنها

_ فأرة كاستيلية مثل أهلى!!!، رددت كلمته بحزن وغضب

وأنا التى كدت انخدع فى رقتك يا جنرال وأنت تتغنى بحب كاستيليا بلد الفئران التى ستجعلها درة مملكة الشمال

الآن انكشفت الحقيقة

حتى أنا لا أعنى لك سوى مجرد فأرة كاستيلية

هذه هى الحقيقة التى تعيش بداخلك يا بيدرو

قلب متغطرس مثل قلبك لا يمكن له أن يعرف رقة الحب

لا تليق به سوى ساحات القتال ليُخرج سموم عنصريته وتعاليه المقيتة

_ ستقتلينا جميعا وأولنا نفسك يا مايوركا

اقترب بيدرو ممسكا بيدها

أنت من استفز شراسة بيدرو

وأنت من يملك استعادة رقة قلبه

لا تتركينى يا مايوركا حتى لا يعود لقلبي الكره والغضب

أنا أحتاجك بقدر ما تحتاجيننى وأكثر

شئ بداخلى لا يكتمل إلا بك

كل هذا القتال ولم تتعلمى من بيدرو كيف تقنعين الآخرين بقرارك

عودى إليهم واحسمى الأمر يا مايوركا

لم يعد الأمر يحتمل مزيدا من الوقت لنضيعه

إن انتظرت أنا لن ينتظر جنودى وإن انتظرتى أنتِ لن ينتظر سيلجانو ورفاقه

_ وماذا بيد مايوركا الآن أن تفعله سوى أن تموت بهذه الحرب لتريحكم جميعا من عبئها، قالت باكية

أقول لك شيئا يا بيدرو

لو أدرى أنك ستكون سعيدا من بعدى لتركتك... لألقيت بنفسى تحت سيف جندي من جنودك ليخلصنى من عبء الوقوف أمامك فى كل معركة وتركت هذه الحرب اللعينة ليكتب غيرى نهايتها فأنا عاجزة تماما على النصر عليك

_ اعترفتى بالهزيمة إذن يا مايوركا

_ غضبت مايوركا وصاحت منفعلة كل ما يهمك الآن هو أن تسمع منى الاعتراف بالهزيمة

أن يقول الناس فاز الجنرال بيدرو الثالث العظيم فى حربه مع مايوركا الصغيرة

ألا يهمك أنك أنت أيضا خسرت هذه الحرب الكاذبة ولو أمام نفسك؟

تعرف أن قلبك مهزوم يا بيدرو

ماذا عن قلبك يا بيدرو؟!

هل سيهدأ قلبك لو قتلت مايوركا؟!

_ لن أقتلك أبدا يا مايوركا، صاح بيدرو بحنان خفف حدة الجدال الدائر،وقال أنا أحبك

عادت مايوركا لتسأله، ألم يعد إليك منذ قليل وجه الجنرال الشرس الذى أقسم لجنوده أن يزين جبل جينوم برأسى؟!

كان هذا قبل أن أرى عينيكِ الجميلتين

أما الآن لا يقسم بيدرو بغير حُسنك، فقط أقسمت لنفسى أن أزين بك بيتى وقلبى يا مايوركا..

تعرفين هذا.. لا تتصرفى وكأنك لا تعلمين شيئا عن قلب بيدرو الذى صار

قالت بجدية، وأنا أطلب منك اليوم أن تذهب بى إلى أرض مملكة الشمال

اخطفنى بيدرو

اخطفنى من كل هذا الشقاء

_ آآخ يا مايوركا ليس هذا بحل،أجابها بيدرو بحنانه أيضا مختلطا باللوم

أنت من أوقعتينا فى هذا الشقاء يا أميرة

لولاكِ لكانت كاستيليا وممكلة الشمال قطعة واحدة، ولكان هؤلاء الفئران المذعورون يتجولون بسراويلهم الممزقة فى بلاد المنفى يتسولون طعامهم

اقترب منها أكثر ممسكا بيديها برفق قائلا، كنت سألتقيكِ حتما يا مايوركا

حتما كان قلبى سيعثر عليك وسط هذا الزحام

ولكان الحال أسهل كثيرا

_ لا يا بيدرو كنت ستجدنى وقتها جثة، عاد لمايوركا إبائها الغائب

أبدا لم تكن مايوركا لتكون فى بيتها وأنت تزحف بجيشك على أرضها

كنت سأكون دائما فى مقدمة الصفوف ولكان جنودك حتما بدأو بى

لم تكن لتجد مايوركا إلا رأسا مقطوعا

تزين بها جبل جينوم لتضيف انتصارا جديدا لنفسك

لم يعرف قلبك الرحمة إلا معى، أفكارا كهذه لم تكن لتجتاح رأس الجنرال بيدرو العظيم

لماذا ينكر الجميع على مايوركا فضلها الآن؟، صاحت باكية
ماذا جنيت على نفسى لأحصد هذا التنكر والقسوة منك ومن أهلى!
ها أنا أحصد عذابا من كل إتجاه
واليوم أنت لا تريدنى حتى كأميرة أسيرة
لا ترى فى مايوركا سوى غانية تضئ لياليك
هكذا تمنيتها
لا يا جنرال
لن تزين أميرة كاستيليا سرير بيدرو الذى تناوبت عليه عاهرات مملكة الشمال أبدا
غضب بيدرو بشدة
صفعها على وجهها ثأرا لشرف لم يحسب يوما أنه سيثور لأجله
كان دائما بيدرو يفاخر بعلاقاته النسائية المتعددة حتى أمام زوجته نفسها
اليوم لا يعلم لماذا آلمه أن تتهمه مايوركا بالخيانة
أصبح حب مايوركا فى قلبه غاليا تماما كشرف الجندية .... لم يقرب بيدرو أى إمرأة أخرى منذ رآها، ولا حتى مليسا نفسها
وأمام دموعها الغزيرة وسقوطها على الأرض متأثرة بصفعه يده القوية، رق بيدرو وذهب غضبه وجثا الجنرال على ركبتيه يمسح دموعها بأصابعه تارة وبطرف ثوبه تارة أخرى
سامحينى يا مايوركا سامحينى
غالبت مايوركا دموعها، وعادت ترفع وجهها وعينها فى الجنرال ثم ردت بصوت خافت مخنوق
هل ستكتب هذه الصفعة فى تاريخك العسكرى؟ .. هل ستعود لتخبر جنودك أنك رفعت يدك على إمرأة لا تملك سلاحا يا بيدرو
ستفخر مملكة الشمال بك حتما.. لم تهزمنى بجنودك.. فهل تعتقد أنك استطعت أن تهزمنى الآن بيدك التى امتدت لتصفعنى
وقفت مايوركا مستعيدة إبائها في الحديث.. لقد طردت كل ذرة حب لك من قلبى بيدك هذه يا بيدرو

حاولت الفرار من أمامه غير أنه أمسك بذراعيها بكلتا يديه وراح يهمهم

_ أنا مخلص لك يا مايوركا

قلبى وجسدى لا يريدان سواك

لن يزين بيدرو برأسك جبل بطولاته ولن يزين بجسدك سريره

لست زينة يا مايوركا، أصبحتِ أنتِ رأسا وجسدا عتاد بيدرو وذخيرته

أنا أطعم روحى من فيض وجودك لا يعينى على هذه الحياة الصعبة سوى لحظات ارتاح فيها بين مقلتيك

اقترب منها أكثر قائلا، ضمينى يا مايوركا

أؤكد لك أن قلب بيدرو أوسع من بيته العظيم

أرجوكِ لا تخسرينى.. ولا تتركينى أخسرك.. ضمينى إليكِ الآن

أفلتت مايوركا نفسها من بين يديه وابتعدت مستعيدة القوة فى صوتها

وأين أنت يا بيدرو لأضمك

هل هذا الجسد الشامخ أمامى هو أنت

أنا أبحث عنك بداخل هذا المحارب الذى يملأ الأرض جيئة وذهابا أمامى فلا أجدك... ليس خلف بذلتك العسكرية ووجهك الشرس هذا ما يستحق الاحتضان يا بيدرو

_ أنت تضحين بكل ما بيننا يا مايوركا، قال متأثرا فردت بإباء لا يقل عن سابقيه

لا يا بيدرو أنت من تصر أن تضحى بنفسك قبلنا جميعا قربانا لنار الحرب المستعرة، فلتذق نيران الحرب إذن يا بيدرو .. دعها تحرق جسدك كما حرقت قلبك ...

هزها بيدرو تلمع عينيه الساحرتين يزيدهما روعة بريق حبات المطر الموشك على الانهمار لولا إصرار بيدرو على حجزه، ثم تابع حديثه، سيحترق جسدى حتما إذا انسحبت أو خسرت هذه المعركة على أى حال .. أنت لا تفهمين شيئا .. النصر هو الخيار الوحيد المسموح به أمامى يا مايوركا

أنت لا تفهمين شيئا

_وماذا سيحدث إذن؟! سيقول الناس أن الجنرال بيدرو خسر معركة وحيدة طوال مسيرة حياته الناجحة..

أفلتت نفسها منه قائلة، أنت تعرف جيدا يا بيدرو أنك كنت الرابح لولا أنك خسرت تلك الروح التى قفزت من بين بذلتك العسكرية لتلقط مايوركا بين يديها

أتذكر يا بيدرو.. اقترب بيدرو منها محاولا إحتضانها

أعيديها يا مايوركا .. أعيدى الارتماء بين يدى مرة أخرى وسألتقطك مجددا

ارتمى مرة أخرى بين يدي اتركى يديك تلتف حول رقبتى كما فعلت وقتها طوقينى بحبك خذينى إلى حضنك يا مايوركا لم يعد هناك وقتا لنضيعه

ابتعدت مايوركا وعادت تتحسس أثر صفعته على وجهها وتغالب ضربات قلبها المتسارعة من لمسات بيدرو

هناك الكثير من الوقت دائما يا جنرال ... الكثير لتعرف من هى مايوركا أميرة كاستيليا

غادرت مايوركا مسرعة دون أن تلتفت وراءها كالعادة لترى وجه بيدرو وقد ذابت ملامحه تحت تأثير دموعه الكثيرة التى فاضت دفعة واحدة من خلفها

ألقى بيدرو سيفه اللامع أرضا.. لتتسرب حبات الماس التى تزينه وتغوص بين رمال بحر بارين

***

معركة البحر

عادت مايوركا إلى البلدة لتجد سيلجانو مازال يسير بين الناس يهتف مرة ويضحك مرة ويصافح الجموع المحتشدة فى كل مكان مصافحة المنتصرين

استغرق فى لعب الدور حتى أنه لم يلاحظ مجئ مايوركا

فاجأته بالخبط على كتفه

_مايوركا

كيف عدتِ؟

أقصد لما؟

أقصد أهلا يا أميرة

_هل ظننت أن مايوركا ستترك لك المعركة لتديرها وحدك سيلجانو

شرف كاستيليا لا يحتمل مغامرة خاسرة أخرى كالتى فررت منها أيها الشريف

ارتبك سيلجانو واستعاد تواضعه فى الحديث مع مايوركا

كانت لحظة غدر من جنود بيدرو الخائن

لم أدرى ما أفعله وقتها

صدقينى لم أفكر فى شئ وقتها سوى كاستيليا

كان لابد أن يعود أحدنا لكاستيليا ليحميها

ليس لدى أغلى منك سوي الأرض الحمراء يا أميرة مايوركا

آثرت مايوركا إخفاء أمر معرفتها بأنه هو من حاول قتلها لتفوّت عليه فرصة الكذب والتحايل بطريق آخر

فلننس المعركة السابقة يا شريف سيلجانو

لا وقت للمعاتبة الآن

فلنستعد لما هو قادم

ستكون المعركة القادمة هى معركة النهاية

نظر سيلجانو لطيفها يغادر مسرعا متعجبا من تبدل موقفها

أمرك يا أميرة

وفى الجانب الآخر أيقن بيدرو أن معركته مع قلب مايوركا وصلت لنهايتها

عليه الآن أن يلحق بآخر ما تبقى له من مكاسب من هذه الحرب

لم تعد الحرب ممتعة.. صار القتال مملا

نادى فورتان لبحث أمر المعركة القادمة معه ... بدئه فورتان بالحديث قبل أن يشرح أى شئ

سيدى الجنرال الأمير زينان فى انتظارك منذ فترة طويلة

زينان؟!!!

متى وكيف استطاع بيدرو تجهيز أسطول بحرى لا تعرف مايوركا ولا أهل كاستيليا

هل كانت لقاءاته معها على بحر بارين خطة ليدرس المكان جيدا يحتضنها بين يديه ليبحث عن أى نقطة يستطيع طعنها فيها بسهولة

يالك من خسيس يا بيدرو

فوجئت كاستيليا بمراكب لا عدد لها تملأ بحر بارين وبجيش بيدرو كامل العدد والعتاد ينطلق من البحر مخترقا كل مكان فى كاستيليا يأسر ويقتل من يصادفه بلا رحمة ولا هوادة

تأخر وصول المدد من جيش كاستيليا لُبعد البحر عن موقع المعسكر تحت سفح الجبل

يقف بيدرو فى مركبه بعيدا يدير وجهه بالاتجاه الآخر يراقب رمال بحر بارين وهى تمتلأ بدماء الكاستيليين الذين اندفعوا نحو البحر محاولين الزود عن بلادهم ومنع جنود الشمال من اقتحامها... هذا هو لقاءهم الأول والأخير مع رمال بارين .. تناثرت الرؤوس المقطوعة فى كل مكان

وأخيرا ظهرت مايوركا تصرخ وتبكى .. تدير الضرب فى جنود مملكة الشمال بسيفها فى كل اتجاه تستطيعه .. فى عقلها صراع أكبر من هذا الدائر على شاطئ البحر مع الجنرال الذى لا تلمح وجوده بين الجنود

على ذات الرمال يا بيدرو

على نفس الأرض التى حملت ما كان بيننا ..

لوثت كل الحب الذى رويناه بها يوما..

قتلك عشقك للدماء الذى يملأ كيانك أيها الجنرال الشرس الذى لم يعرف الرحمة والحب يوما

قلت لك يوما عقلك أكبر من قلبك يا بيدرو وهذه مأساتك

اليوم فقدت عقلك وقلبك معا

ما هذا الجنون الذى فعلته...

لم تنتبه مايوركا حتما لمركب بيدرو تقف فى البحر من هول الموقف، بينما بقى هو بداخلها يدعو الآلهة ألا تلتفت مايوركا لوجوده

لا تعرف مايوركا زينان ولم تستطع فهم اللعبة التى لعبها

لا يعلم بيدرو شيئا عن الأسطول مثلها تماما

خدعه زينان وجاء به للبحر ليشاهد بنفسه أرض هواه تلوثها دماء الطرفين

لم يملك بيدرو سوى إبداء اعجابه بخطة زينان وافتعال الحماسة فى صيحات باهتة يطلقها بين الحين والآخر لا يكاد يسمعها الجنود وعلى مركب آخر تألقت مليسا فى ثوب من أثوابها القديمة التى لطالما ما كان يتحاكى عنها الجميع

عرفت مايوركا مليسا

تعرفها جيدا

صحيح أنها تختلف فى زيها المتأنق هذا عن ثوب الحداد الذى كانت ترتديه يوم رأتها ترثى الجنود

ولكنها هى الحكيمة مليسا زوجة الجنرال بيدرو فى أوج جمالها وزينتها تحتفل مبكرا بهزيمة مايوركا وخسارتها لقلبها ووطنها معا

أصاب الجنون مايوركا.. ينزف قلبها دما أكبر بكثير من كل هذه الدماء التى غطت الرمال

زادت قوة ضرباتها بالسيف تصيب جنود بيدرو فى كل موضع ويتبعها الجنود متأثرين بحماستها فى القتال..

استطاعت إنقاذ الموقف بمهارة وخبرة أربكت جنود الشمال... أوعزت لجيشها باستهداف أقدامهم تعرف مايوركا أن رمال بحر بارين تحمل الكثير من الأصداف الجارحة.. استطاعت شل حركة جيش بيدرو الذى يحارب على الرمال لأول مرة وأفقدتهم القدرة على التركيز ومواصلة السير فى الوقت الذى عادت بجيشها للخلف لتقلل خسائر الأرواح التى طالتهم

عادت مايوركا إلى كاستيليا لتلحق بجيشها قبل أن يسيطر عليه اليأس .. وبنفس الروح الجسورة

التى جمعتهم حولها أول يوم تولت فيه زمام الأمور، أعادت مايوركا تنظيم الجيش استعدادا لمعركة الغد مع جيش الشمال، تعلم أن أصداف بحر بارين ستفعل فعلتها الليلة فى أقدام الجنود

ستمنحك مايوركا ليلة صعبة أيتها الحكيمة مليسا لعلاج كل هؤلاء الجنود المقعدين

ستواجه كاستليا غدا جيشا عاجزا عن الحركة خاليا من الحماس كربه الرائحة بفعل كل الدماء التى شربها إلى جوار خلطاتك

صاحت فى جنودها الذين رغم كل الدماء مازالوا على تأهبهم ويقظتهم

غدا يا رجال

لابد أن تنتهى هذه المعركة وللأبد

وافق الجميع وتعالت صيحات التأييد

باسم الانتقام .. باسم الشرف .. باسم كليهما، انطلق جيش كاستيليا بمطلع نور الصباح نحو معسكر الشمال مهاجما مفاجئا رجال بيدرو الذين بدو مسترخين مستمتعين بالنصر

ظهر بيدرو أخيرا يتجول بين الجنود دون فعل حقيقى .. انتبه لصوت صرخات مايوركا فالتفت لمكانها.. تراجع للخلف متفاديا النظر إليها.. ركزت مايوركا المذعورة بفعل بحر الدماء التى تنساب من الطرفين عينيها على بيدرو، ترددت فى أذنيها عباراته الأخيرة فأرة كاستيلية مثل أهلك.. كادت تشعر بحرارة صفعة يده على وجهها مجددا كما لو كانت حدثت فى الحال ...انتابتها حماسة أكبر فى القتال فراحت ترفع يدها بقوة وتنهال بها على جنود الشمال

وفى محاولة أخيرة للفت نظره إليها ليرى براعتها فى الانتقام من جنوده نادته

جنرال بيدروووو

خذلته أذنه التى ما كادت تلتقط حروف اسمه تخرج من فم مايوركا حتى التفت بكامل جسده مرغما لها انطلق بيدرو نحوها تاركا جانب جيش الشمال محاولا الوصول إليها وشرح خطة زينان

لم أكن أنا يا مايوركا

لم أكن أنا

سابقت كلمات الجنرال جسده

غير أن سهما مأمورا باختراق ظهر الجنرال نفسه إذا ما حاول الدفاع عن مايوركا كان أقرب من

إتمام اللقاء

أرسلت مايوركا سهمها بكل ثقة ليخترق قلب الجندى الشمالى الخائن

سقط الجنرال على الأرض مضرجا فى دمائه، محدثا دويا شديدا اهتز له جبل جينوم .. وهبت ريح شديدة فى الوقت ذاته حركت أغصان الأكاسيا لتطلق رائحتها الزكية لتصارع رائحة الدماء المنبعثة بين الغبار والجنود المندفعون فى قتال شرس من الطرفين استطاعت مايوركا المرور لتلحق ببيدرو، وقد بدت أكثر فزعا من أى وقت مضى، جذبته بين ذراعيها وضمته لصدرها

متجاهله صيحات جنودها الذين بدو منتشين بمصرع الجنرال فراحوا يهاجمون جنود مملكة الشمال الذين شتتهم موت بيدرو، تفرّق بعضهم عائدا إلى مملكة الشمال واستمر البعض الآخر فى قتالهم بارتياح غير مبرر.. بينما انطلق فورتان منهارا باتجاه البلاد لنقل الخبر لمليسا ولزينان اللذين لم يتفاجئا كما تصور بل كانا فى استعداد استقبال أحد الخبرين إما أن يعود الجنرال لرشده حاملا رأس مايوركا أو أن يعود لعائلة الجد الأكبر حكيم السيدر ولزينان سلطتهم على مملكة الشمال ويعود بيدرو محمولا على ظهره ليوارى الثرى مع خيانته لقلب الحكيمه مليسا ولتاريخ المملكة

لم تنتبه مايوركا وسط انشغالها بجسد الجنرال الثاوى بين يديها للسهم الصادر من يد سيلجانو نحوها

وقد بدا النصر محسوما لصالح كاستيليا

لا ينقصه سوى استعادة السلطة من ابنة عيدار

ليستعيد ملك عائلته

_ اذهبى يا مايوركا الساذجة

اذهبى

قالها سيلجانو قاذفا بالسهم ليخترق ظهر مايوركا المنشغلة بالجنرال الجريح تحاول البحث بين ثيابه عن أى شئ لتداويه به فلم تجد..

كانت آخر ما يملك بيدرو تلك القطرات التى أنقذتك بها يا أميرتى يوم التقطتك بين ذراعي

ارتمت مايوركا متأثرة بالسهم الذى اخترق ظهرها فوق جسده، يزاحم في ألمه يأسها من إنقاذ بيدرو، أو إنقاذ أرضها من الخائن الذى اخترق قلبه هو الآخر للتو

قالت أيضا بإباء
وكان هذا آخر سهم لمايوركا ما انتقمت لأجلك به يابيدرو
وضعت مايوركا رأسها على صدره
لتسمع صوته المخنوق تحت تأثير ألم الموت يصارع جسد الجنرال المهيب
كنت أخشى حقا أن أموت دون أن أضمك
لقد هزمتنى عينيكِ لا الحرب يا مايوركا
لقد كان فى إمكانى أن أربح هذه الحرب منذ اللحظة الأولى
ولكن كانت المعركة كلها فى عينيكِ يا مايوركا
ابتسمت مايوركا ابتسامتها غير المناسبة للحدث والمعتادة منها فى مثل هذا الوقت وقالت
لم نهزم بيدرو..لم نهزم
لقد انتصرنا..أنا وأنت ربحنا هذه المعركة
ثم أغمضت عينيها للأبد

***

تمت

القاهرة ٢٠٢٠

للتواصل مع الكاتبة/

https://www.facebook.com/noura.noreldien/
https://www.goodreads.com/author/show/18826657_.